مجلة جامعة البعث

سلسلة العلوم التاريخية والجغرافية والاجتاعية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 45 . العدد 2

1444 هـ - 2023 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. محمود حديد	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
عتاد الجيش العربي الإسلامي وعديده (1-132ه/ 622-749م)	د. أمية الغزي	70-11
قراءة نقدية لمفهومي الوجود والعدم عند سارتر	د. حسان علي	102-71
المسجد الأموي من خلال رحلة ابن جبير (540 - 614هـ/1145 - 1217م)	نزار سلطان د. عبد السلام زيدان د. شيرين حمودي	132-103
دور الرصاد والعيون في أبرز أحداث العهد النبوي	نور العبد د. عبد السلام زيدان د. شيرين حمودي	196-133

عتاد الجيش العربي الإسلامي وعديده

(1-132هـ/ 622-749م)

الباحثة: د. أمية الغزي

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة دمشق

ملخص

أرسى المسلمون الأوائل تقاليد عسكرية جديدة، وابتكروا الكثير من فنون القتال، فقد رتبوا الجيوش ونظموها بمواجهة جيوش لها تاريخ في التخطيط والتنظيم مثل الفرس والروم، وكانت الدولة تتعهد الجند بكل ما يحتاجون إليه من سلاح ومؤن، واستخدمت عدة أنواع من الأسلحة منها الفردية كالسيوف والرماح والأقواس والسهام، والأسلحة الجماعية كالمجانيق والدبابات والسفن الحربية، وأسلحة الوقاية من ضربات العدو كالخوذ والدروع والتروس، كما اهتمت الجيوش الإسلامية بالخيل لأنه سلاح مهم في القتال، والجمل الذي اعتمدوا عليه في النقل والتنقل عبر المسافات الصحراوية البعيدة، وما انتصار العرب المسلمين وتفوقهم في مواقع عديدة إلا انعكاس لمكانة وطبيعة الجيش في الحضارة العربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الجند– الأسلحة الفردية– الأسلحة الجماعية– الخيل– الجمل– الانتصار.

Numerous equipment of the Arab Islamic Army

(622-749 AD/ 1-132 AH)

Summary

- The early Muslims established new military traditions, and invented a lot of martial arts. They arranged and organized the armies to confront armies that had a history of planning and organizing, such as the Persians and the Romans.

-Several types of weapons were used, including individual weapons such as swords, spears, bows and arrows, collective weapons such as catapults, tanks and warships, and weapons to prevent enemy strikes such as helmets, shields and gears.

- The Islamic armies also cared about the horse because it is an important weapon in the fighting, and the camel on which they relied for transport and movement across the far desert distances, and the victory of the Muslim Arabs and their superiority in many locations is only a reflection of the status and nature of the army in the Arab-Islamic civilization.

key words:

Soldiers - individual weapons - collective weapons - horses - .camels - victory

عديد وعتاد الجيش العربي الإسلامي
(1-132هـ/ 622-749م)

تمهيد:

إن العلوم العسكرية تطورت بتطور الصراع بين الأمم، ولا شك أن العرب المسلمين أسهموا في تطوير فن الحرب، وقد يكون دورهم في تطوير هذا الفن أكثر مما أحدثوه من تطور في مختلف المجالات الأخرى، وهذا الرأي ناتج عن حقيقة أن الجيوش العربية الإسلامية أزالت أكبر دولتين عرفهما التاريخ، الفارسية والبيزنطية، وتمكنت من الانتشار حتى نهاية العصر الأموي من حدود فرنسا وإسبانيا غرباً إلى الصين شرقاً، مع السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، والسؤال كيف انتشرت هذه الجيوش، وهل عرفت تلك الجيوش بعض المفاهيم الحديثة من تطور العلوم العسكرية، وما هي الوسائل التي اتبعوها لتحقيق أهداف الحروب، وكيف كانت عقيدة الجيوش في تلك الأيام الغابرة.

مقدمة:

يرتبط إنشاء الجيش المنظم بوجود الدولة، وهذا ما افتقده عرب القبائل قبل الإسلام، لذلك لم يكن لهم جيش بالمعنى الدقيق للكلمة، رغم أن حياتهم كادت تكون حرباً دائمة، وقدراتهم القتالية وإقدامهم في الحرب جعلتس منهم محاربين مثاليين، أما العرب المتحضرون الذين أقاموا دولاً؛ كدولة اليمن وتدمر والأنباط فكانت لهم جيوشهم المنظمة التي خاضت حروباً هجومية أو دفاعية.

ثم ظهر الإسلام كدعوة للإيمان بما جاء من عند الله تعالى، وبلغها رسوله الكريم ﷺ، ثم أضحى بعد الهجرة دولة مختلفة عن كل الدول التي قامت من قبل،

فدولة الإسلام لم تكن دولة قبلية أو ملكية تخضع لأمر شيخ أو ملك، وإنما تعمل بأوامر من الله ﷻ التي يبلغها رسوله، كذلك تكوّن مجتمع لا تربط بين أفراده طاعة ملك أو رابطة الدم المتمثلة بالقرابة وإنما رابطة الإيمان وانعكس ذلك على طبيعة الحروب التي خاضتها، فلم تعد تغزو الآخرين بغاية الغنيمة والكسب، كما لم تهدف إلى توسيع الملك وتضخيم السلطان والاستزادة من الثروة والمال، وإنما حرباً لخدمة الدعوة وفي مصلحتها، للدفاع عن معتنقيها وتأمين حرية انتشارها وسعياً لتطبيق شريعتها، وهذه الحرب هي الجهاد وهو شكل من الحروب الجائزة.

مشكلة البحث وأهميته:

يسعى البحث للتقصي عن كيفية استطاعت العرب المسلمين تكوين جيش منظم والتعامل مع الأسلحة والنصر على أكبر دولتين كبيرتين واخضاع مساحات شاسعة لسلطتهم.

أهداف البحث:

تعريف مفهوم الجيش عند المسلمين الأوائل والتعريف بعديدهم وعتادهم وأخلاقهم في الحروب، وكيف استطاعوا أن يؤسسوا دولة مدنية حضارية يحميها جيش قوي منظم اتبع أساليب قتال متنوعة ضد الأعداء معتمداً على العنصر البشري الذي امتلك الشجاعة والروح المعنوية العالية، إضافة إلى استخدام كافة أنواع الأسلحة والتي طورها حسب تطور المعارك وحسب طبيعة العدو.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات تحدثت عن الجيش الإسلامي الأول والجديد هو التعمق في معرفة نشأته وتطوره وتنوع الأسلحة البرية والبحرية المستخدمة والأخلاق المتبعة في الحروب في العقيدة الإسلامية.

أولاً: الجهاد

تعني كلمة الجهاد لغوياً: المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو عمل[1]، وشرعاً واصطلاحاً : يطلق على أمرين: الأول الجهد الموجه نحو الذات بهدف الوصول إلى الكمال خلقياً ودينياً ويسمى الجهاد الأكبر، والثاني بذل الجهد في قتال الكفار والذي يسمى الجهاد الأصغر[2]، وهو المعنى البارز والظاهر في الفترة الإسلامية الأولى، وكانت الآيات القرآنية التي نزلت على الرسول ﷺ منذ الهجرة وحتى قبيل وفاته تحض على ذلك كقوله تعالى في إعطاء إشارة أمر القتال:چ ٱ ب ب ب ب ب پ پ پ پ چ[3]، ونبّه سبحانه وتعالى أن القتال هو في سبيله وفي الدفاع عن النفس ويجب عدم الاعتداء على الآخرينچ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى چ[4].

[1] – ابن الأثير،(المبارك بن محمد ت.606هـ/ 1209م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوى؛ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ، بيروت، 1979م، ج1، ص319.

[2] – العسقلاني،(أحمد بن علي ت.852هـ/1453م): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: براز أبي حيان، دار الفجر للتراث، ط1، القاهرة، 1996م، ج7، ص343.

[3] – القرآن الكريم: سورة الحج، الآية 39.

[4] – القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 190.

وبعد الانتصارات المدوّية التي أحرزها المسلمين بفتح مكة، وبسط السيادة على الجزيرة العربية، والتطلع لنشر الدين الإسلامي خارجها، أصبح التشريع يدفعهم للهجوم قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﭼ[5]، وقد استثنت الآيات من القتال المشركين المرتبطين بعهد مع المسلمين ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﭼ[6].

ثانياً: نشأة الجيش العربي الإسلامي

وقف رسول الله ﷺ على أصحاب الصّفة[7] في المدينة المنورة، فرأى فقرهم وجهدهم، وطيب قلوبهم، ومن هؤلاء كانت نواة مجموعات صغيرة عرفت بالسرايا[8] التي أرسلها الرسول ﷺ قبل موقعة بدر سنة 2هـ/624م للإغارة على قوافل القرشيين، وكانت كلها من المهاجرين، لأن بيعة أهل المدينة وما نصت عليه الصحيفة الناظمة للعلاقات بين الرسول من جهة وأهل المدينة من جهة أخرى

---

[5] – القرآن الكريم: سورة التوبة، الآية29.

[6] – القرآن الكريم: سورة التوبة، الآية4.

[7] – الصفة في مكان في مؤخرة المسجد النبوي في الركن الشمالي منه، أمر النبي ﷺ فظلّ بجريد نخل وأطلق عليه اسم الصفة أو الظلة، وقد أعدت الصفة للغرباء العذاب من المهاجرين الذين صادرت قريش دورهم في مكة ولا مأوى لهم ولا أهل، أبو خليل،(شوقي): أطلس السيرة النبوية، دار الفكر، ط1، دمشق، 2002م، ص94.

[8] – السرية: تعني قطعة من الجيش مابين 5–300 شخص، وأصل التسمية مأخوذة من أنها تسري ليلاً في خفية أي تتحرك في تكتم وتستر لئلا ينذر العدو، ابن منظور،(محمد بن مكرم ت.711هـ/ 1311م): لسان العرب، ط3، دار صادر ، بيروت، 1993م، ج14، ص383؛ مصطفى؛ الزيات؛ عبد القادر؛ النجار،(إبراهيم؛ أحمد؛ حامد؛ محمد)(مجمع اللغة العربية): المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ج1، ص431.

كانت دفاعية، وعند الاستعداد لخوض غمار غزوة[9] بدر انضم الأنصار، مما جعل الجماعة الإسلامية في المدينة كلها جماعة محاربة يتوجب على

أفرادها المشاركة في الجهاد والقتال بشكل أو بآخر، وكان لا يتخلف عن ذلك إلا المنافق[10]، وأخذت المدينة المنورة تظهر شيئاً فشيئاً في مجتمع الجزيرة العربية كقوة سياسية وعسكرية وذلك بعد تتابع نزول تشريع الجهاد الذي أعطى المسلمين صفة سياسية، كما أعطى مجتمعهم صفة الدولة القادرة على حماية المسلمين والتي لا تستطيع أن تستغني عن مجالدة أعدائها في سبيل نشر مبادئها، وأصبحت المدينة القاعدة الإدارية والعسكرية الأولى التي تنطلق منها سرايا الرسول وغزواته، وبقيت كذلك حتى بعد فتح مكة 8هـ/629م.

في زمن الخليفة أبي بكر الصديق 11-13هـ/632-634م لجأ إلى التكليف، حيث كان هناك انقسام بين القبائل حول الردة سنة 11هـ/632م فكلف من بقي على الإسلام والطاعة بمواجهة المرتدين من بني قومه، ولتشكيل قوات لمحاربة مناطق الردة الكبرى اعتمد على أهل المدينة أولاً ثم كلف في المناطق

[9]- سرايا الرسول هي الحملات أو البعوث أو المفارز التي بعث بها النبي للاستطلاع أو القتال دون أن يشترك في معظمها، وكانت جملة السرايا سبع وأربعون سرية، وأما الغزوة فهي التي اشترك فيها الرسول بنفسه وهي تسع، الواقدي،(محمد بن عمر ت.207هـ/ 822م): المغازي، تح: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط3، بيروت،1989م، ج1، ص7.

[10] – ابن هشام،(عبد الملك ت.213هـ/ 828م): السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الخير، دمشق، ط5، 2004م، ج2، ص187.

الأخرى ممن يلتحق طوعاً في الجهاد، إذ كتب إلى عتاب بن أسيد[11] أن أضرب على أهل مكة وعملها خمسمائة مقو" المقوي بنفسه ودابته"[12].

ثالثاً: توسيع الجيش

بدأت الفتوحات في عهد الخليفة أبي بكر11-13هـ/632-634م، بعد إخضاع الجزيرة العربية كلها، لكنه لم يرض بالاستعانة بأحد من أهل الردة فيها، وأرسل خالد بن الوليد إلى العراق سنة 11هـ/632م بعد حروب الردة مباشرة وبلغ تعداد جيشه مع القبائل الحليفة 18000 مقاتل، وتم فتح العراق بالتتابع ، ثم قام أبو بكر الصديق بعقد أربعة ألوية سنة 13هـ/634م في أوقات مختلفة وبجبهات متعددة، بقيادة يزيد بن أبي سفيان ووجهته البلقاء، وشرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن، وأبو عبيدة بن الجراح إلى الشام، وعمرو بن العاص لقصد الأردن، وعندما أخذ هرقل يجيش الجيوش ويستعد لمنازلة عظمى مع المسلمين، انطلق خالد بن الوليد ومعه 9500مقاتل من العراق إلى الشام بأمر من أبي بكر الصديق وقطع 450مسافة كم في الصحراء لتنفيذ أكبر مأثرة عسكرية في التاريخ[13]، وانتصر الجيش العربي وقوامه 30000 جندي على الروم في معركة أجنادين سنة 13هـ/634م والتي كانت بمثابة تمهيد لمعركة اليرموك، وبعد تسلم عمر بن

---

[11] – عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، أسلم يوم فتح مكة، استعمله النبي ﷺ على مكة بعد الفتح، وأقره أبو بكر عليها إلى أن مات، توفي يوم مات أبو بكر، ابن الأثير،(علي بن أبي الكرم محمد ت. 630هـ/ 1232م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض؛ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1994 م

[12] – الطبري،(محمد بن جرير ت.310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط3، بيروت، 1987م، ج3، ص322.

[13] - مادون،(محمد علي): مسيرة خالد أو الدرب المفقود، مطبعة الشؤون الدينية،ط1، قطر،1982م، ص13.

الخطاب الخلافة 13-23هـ/632-644م لجأ إلى الاستعانة بكافة شرائح أهل الجزيرة بما فيهم أهل الردة للاستفادة من طاقاتهم في الفتوح، وبقيت المدينة القاعدة العسكرية التي تنطلق منها جيوش الفتح، وكان المتبع أن يتم تجميع القوات في المدينة ثم إرسالها إلى الجبهات التي هي بحاجة إلى مزيد من الإمدادات[14]، وسار جيش المسلمين إلى فحل في الأردن بتوجيه من الخليفة لتصفية الوجود الرومي من جنوب بلاد الشام وقد بلغ عديده 30000مقاتل، وحدثت المعركة سنة 13هـ/634م وكان الانتصار للمسلمين، أما في معركة اليرموك فقد بلغ تعداد الجيش الاسلامي 36000 رجل وقيل 40000 رجل حققوا أعظم انتصار على الامبراطورية الرومية، وعندما تم إنشاء البصرة والكوفة وتجنيد الأجناد في الشام وتأسيس الفسطاط[15]، لم تعد المدينة القاعدة العسكرية الوحيدة التي تنطلق منها جيوش الفتح، وإنما أصبح لكلّ قاعدة مقاتليها وساحات حربها مع بقاء الخليفة الموجه الرئيسي، كما حدث في معركة نهاوند21هـ/641م حينما كتب عمر بن الخطاب إلى عمال العرب على الكور والقبائل:" لا تدعوا أحد له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلي والعجل العجل"، وأرسل أهل المدينة

[14] – ابن عبد الحكيم،(عبد الرحمن بن عبد الله ت.257هـ/ 870م): فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت،1996م، ص56.

[15] – معناه أنه كان لعمرو بن العاص وهو بيت من أدم وشعر، وقيل: الفسطاط ضرب من الأبنية، وقيل: الفسطاط مجتمع أهل الكورة حوالي مسجد جماعتهم وهؤلاء أهل الفسطاط، وقيل: هي مدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص، الحموي،(ياقوت بن عبد الله ت.626هـ/1228م): معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، ج4، ص262.

وفيهم المهاجرين والأنصار وكتب إلى أبي موسى الأشعري[16] أن يسير بأهل البصرة وإلى حذيفة بن اليمان[17] أن يسير بأهل الكوفة حتى يجتمعوا جميعاً في نهاوند[18]، وحينما غزا حبيب بن مسلمة[19] أرمينية في أهل الشام وبلغ حبيباً أنّ القائد الرومي قد توجه نحوه في 80000 من الروم والترك، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان الذي كتب بذلك إلى الخليفة عثمان بن عفان23-35هـ/643-655م فأمر والي الكوفة بإمداد حبيب بن مسلمة، فأمده والي الكوفة بسليمان بن ربيعة

16 – عبد الله بن قيس بن سليم من بني الأشعر، ولد في زبيد باليمن، صحابي من الشجعان الفاتحين وأحد الحكمين اللذين رضيا بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين، ولاه عمر بن الخطاب البصرة فافتتح أصبهان والأهواز ثم ولي في عهد عثمان بن عفان الكوفة، توفي في الكوفة سنة 44هـ/ 665م، الزركلي،(خير الدين): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م، ج4، ص114.

17 – صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين، ولد في مكة وعاش في المدينة، ولاه عمر بن الخطاب المدائن بفارس، توفي سنة 36هـ/ 656م، الزركلي: الأعلام، ج2، ص171.

18 – الطبري: تاريخ، ج3، ص478.

19 – ولي زمن عثمان غزو أرمينية، توفي سنة 42هـ/664م، الذهبي،(محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م): تاريخ الإسلام، تح: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ج2، ص397.

الباهلي[20] في 6000مقاتل وفق رواية الواقدي، و8000 مقاتل في رواية أبي مخنف[21].

تبع ذلك توسيع جبهات القتال وتعددها، مما خلق حاجة ووفر الإمكانيات في الوقت نفسه للاستعانة بجماعات غير عربية، ولعل أول عملية انضمام على نحو ذلك تمت في جنوب غرب إيران الحالية حيث حصل اتصال بين أبي موسى الأشعري قائد الجيش الفاتح وسباه الأسواري قائد مقدمة يزدجرد[22] في المنطقة الذي عرض الانحياز بقومه الأساورة إلى جانب العرب المسلمين بصفة حلفاء، ولم تلبث مجموعات محاربة أخرى في الجيش الفارسي أن حذت حذو السابقين مثل السيابجة والزط والإندغار، وأكثرهم من سبي الفرس من أهل السند، ثم أسكنهم أبو موسى في البصرة مع الأساورة الذين سبقوهم، وحفروا قناة خاصة بهم سميت نهر الأساورة[23]، وكانوا مهرة في رمي النشاب، لكن في عصر الأمويين لاحقاً نفيّ أغلبهم من العراق إلى جهات متعددة باعتبارهم خالفوا التحالف الذي ينص أن لا

18- سليمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي، صحابي، من القادة، قاضي، شهد فتوح الشام، سكن العراق واستقضاه عمر على الكوفة، قال ابن قتيبة:" هو أول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق، ثم ولي غزو أرمينية في زمن عثمان، واستشهد فيها سنة 30هـ/650م، الزركلي: الأعلام، ج3، ص111.

21 – الطبري: تاريخ، ج4، ص248.

22 – يزدجر بن شهريار، آخر ملوك الدولة الساسانية، قتل في خراسان حوالي سنة 30هـ/650م في خلافة عثمان بن عفان، البلاذري،(أحمد بن يحي ت.279هـ/892م): فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص307.

23 – الحموي: معجم البلدان، ج5، ص317.

يعينوا العرب على بعضهم بعضا[24]، كذلك سار مع عمر بن العاص من الشام إلى مصر لفتحها بعض الروم واليهود؛ والذين أسلموا حديثاً، دعوا باسم الحمراء[25]، وتم فتح مصر والاسكندرية سنة 20ه/640م، ثم فتحت إفريقيا(معركة العقوبة) سنة 27ه/647م، كما بدأ العمل في إلحاق المحاربين الغرباء بالجيش الفاتح في أذربيجان منذ بداية فتحها في زمن عمر بن الخطاب وذلك مقابل إعفائهم من الجزية في عام حشده[26].

جددت الحروب ضد الروم في عصر الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ت.60ه/ 680م وأعاد أرمينيا إلى الحظيرة العربية والتي فتحت سنة 25ه/ 645م، وفي الغرب تم فتح بنزرت سنة 45ه/665م، ودخلت ليبيا في طاعة العرب سنة 46ه/ 666م، بينما وصلت طلائع الجيوش العربية لاهور شرقاً، وسار جيش أخر حتى وصل الحدود الشرقية لخراسان سنة 51ه/672م، ونجح الجيش في عهد يزيد بن معاوية ت. في الوصول إلى المغرب سنة 62ه/682م، وازداد اهتمام الخليفة عبد الملك بن مروان ت.86ه/705م بفتح المغرب، فأمد الوالي حسان بن نعمان 40000 من الجند وبسط نفوذه على البلاد كلها من برقة إلى أطراف المغرب الأقصى، وتعد انجازات الوليد بن عبد الملك ت.96ه/715م العسكرية من أضخم ما أنجزه خلفاء بني أمية، وبلغت الدولة العربية الأموية ذروة

---

[24] – البلاذري: فتوح، ص366.

[25] – ابن ماكولا،(علي بن هبة الله ت. 475ه/1082م): الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1990م، ج1، ص183.

[26] – الطبري: تاريخ، ج4، ص155.

قوتها واتساعها، إذ توسعت فتوحات الجيش حتى وصلت إلى الأندلس سنة 92هـ/711م بقيادة طارق بن زياد في 7000 رجل أغلبهم من المغاربة، إذ كانت عملية إلحاق أبناء الجناح الغربي لديار العرب والإسلام جارية، وقام الفاتحون بضم أعداد من القبائل المغربية والتي دعيت القبائل البربرية[27]،

واستأنفت العمليات الحربية في منطقة ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي[28] سنة 86هـ/705م وتمكن من الدخول إلى بخارى وسمرقند، وظلت قاعدة الاستخدام لأبناء البلاد المفتوحة مستمرة ، ولو أنها تقدمت باتجاه تحديد أعداد ثابتة من كل بلد عوضاً عن ترك أعداد المجندين خاضعة للظروف، وتذكر هذه الأعداد في شروط الأمان والصلح بكل مدينة، وهكذا فرض قتيبة بن مسلم الباهلي على أهل بخارى وخوارزم والذين قاتلوا معه قتالاً شديداً وبذلوا أنفسهم، وعندما صالح قتيبة أهل سمرقند فرض عليهم 30000 رجل ليس فيهم صبي ولا شيخ ولا عيب[29]، وظل الجيش يتوغل في المشرق حتى وصل إلى حدود الصين، كذلك جهز جيش آخر بقيادة محمد بن القاسم الثقفي سنة 89هـ/708م إلى السند، وتم فتحها ووصلوا إلى عاصمتها الديبل(كراتشي اليوم)، وأما على الجبهة

---

[27] – ابن عذاري،(محمد بن محمد ت.695هـ/ 1295م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان؛ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ج1، ص42.

[28] – قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أبو حفص، أمير، فاتح، افتتح كثير من المدائن كخوارزم وسجتان وسمرقند وغزا أطراف الصين وأذعنت له بلاد ما وراء النهر كلها، استمرت ولايته ثلاثة عشرة سنة، توفي سنة 96هـ/715م، الزركلي: الأعلام، ج5، ص189.

[29] – الطبري: تاريخ، ج6، ص475.

البيزنطية فقد قام الجيش العربي بفتح حصون طواتة وعمورية هرقلة وغيرهما[30]، وبلدة الجرجومة التي انضم قسم من أهلها إلى الجيش العربي الفاتح[31]، ووصلت بعض الحملات إلى كيليكيا، أما في فترة حكم الخليفة هشام بن عبد الملك ت.125هـ/743م فقد قام بعدة حملات عسكرية بعد توقف لمدة وجيزة، فوصلت الجيوش العربية سنة 112هـ/730م إلى جبال البرانس في جنوب فرنسا، وفي خلافة مروان بن محمد ت.132هـ/750م آخر الخلفاء الأمويين نجح في تغيير بنية الجيش، وذلك بالاعتماد على الجنود المحترفين للجندية كمهنة، بعد أن كان الاعتماد على المتطوعة، الذي لايمكن تدريبهم بما فيه الكفاية، بحيث يمكن الاعتماد عليهم بثقة شبه كافية، كذلك قام باعتماد مقاتلين في الجيش من القبائل العربية كافة، بعد أن كان الجيش يتألف من قبائل تحارب كمجموعات قبلية تخضع لقادتهم القبليين، بينما أصبح قادة الجيش من الرجال المجربين والمؤهلين الذين تعتمدهم الدولة على هذا الأساس، وهو صاحب الاعتماد في المعارك الحربية على الوحدات الصغيرة المتراصة التي يسهل تقدمها وتأخرها، وتبديل مواقعها، وعمم هذا الأسلوب واعتمده كلياً في الحروب، وبالإضافة للملحقين بالجيش العربي الإسلامي أو بالخدمة كحلفاء للعرب، شارك في الفتوح أيضاً عنصر آخر هو عنصر العبيد، الذين حاربوا إلى جانب أسيادهم، وقد يمنّ عليهم هؤلاء ليصبحوا موالي لهم،

30 - الطبري: تاريخ، ج6، ص439.

31 - البلاذري: فتوح البلدان، ج2،ص220.

ولكن موالي عتاقة[32] مختلفين عن موالي الحلف كحلف الأساورة[33]، وتشير الوقائع أن دورهم كان فاعلاً وحاسماً أواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي في طرفي الدولة أقصى الغرب وأقصى الشرق، فقد استخدموا بأعداد كبيرة في فتوحات ما وراء النهر وفي أرمينيا، وفي المغرب كانت فعالية دورهم أكبر وأوضح، أما في الفترة الأولى وفي قلب الدولة كان دورهم متواضعاً.

رابعاً: الموارد البشرية للجيش العربي الإسلامي

إن تحديد أعداد القوات المحاربة في الدولة العربية الإسلامية ليس بالأمر السهل، ولكن يمكن اعتبارها قريبة من الواقع لكون مصادرها ذات صلة بالدواوين[34] التي تسجل العطاء والحائزين على نسبة من الغنيمة، وقد سارت هذه الأعداد في

---

[32] – مولى العتاقة هو مولى يورث ولا يرث، علي،(جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 2001م، ص366.

[33] – المولى: العبد أي المملوك التي يمن عليه صاحبه بأن يفك رقبته فيعتقه ويصير المملوك بذلك مولى لعاتقه، والموالي نوعان: مولى يرث ويورث فهؤلاء ذوو الأرحام، ومولى يورث ولا يرث فهؤلاء العتاقة، الطبري،(محمد بن جرير ت.310هـ/ 922م): تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1،القاهرة، 2001م، ج5، ص33.

[34]– ديوان العطاء: هو المؤسسة المالية المختصة بشؤون الموارد والرواتب والأعطيات للدولة في العصر الراشدي والأموي والعباسي، وفي العصر العباسي كان يتولى الديوان ذوو الخبرة الإدارية والعسكرية، كما أن صاحب الديوان كان يتولى قيادة الجيش في بعض الأحيان، وأصبح ديوان العطاء والجند ديواناً واحداً تحت مسمى" ديوان الجند والعطاء"، المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال؛ محمد حلمي محمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط1، القاهرة، د.ت، ج1، ص51؛ طقوش،(محمد سهيل): تاريخ الخلفاء الراشدين، دار النفاش، بيروت، 2011م، ص337.

خط متصاعد منذ الهجرة حتى ذروة موجة الفتوحات في العصر الأموي، إذ لم تتجاوز العشرات في زمن بعث الرسول ﷺ للسرايا عندما كان خاصاً بالمهاجرين فقط، ثم قفز العدد إلى بضعة مئات بعد مشاركة الأنصار، ففي موقعة بدر2هـ/624م كان العدد313 رجلاً[35]، وتضاعف هذا العدد ثلاث مرات عند خروج المسلمين لمواجهة قريش في غزوة أحد سنة3هـ/625م، وفي غزوة خيبر سنة7هـ/629م حوالي1540 رجلاً[36]، وشارك في فتح مكة سنة8هـ/629م 10000 رجل[37]،أما في أخر غزوات النبي تبوك[38] سنة 9هـ/630م فقد تجمع لديه30000 مقاتل، ولهذا العدد في ظروف هذه الغزوة البعيدة عن المدينة المنورة دلالة خاصة، إذ طبق الرسول لأول مرة الحرب الشاملة وعبأ كل قادر على حمل السلاح، وارتفع عديد الجيش الذاهب للفتوح في عهد الخليفة أبي بكر الصديق الذي بلغ حوالي30000 مقاتل موزع على عدة جيوش، وانتصر العرب على الروم في معركة أجنادين بقوام جيش بلغ30000 مقاتل، وكانت هذه المعركة بمثابة تمهيد لمعركة اليرموك، الذي ارتفع عديد الجيش فيها ليبلغ 40000مقاتل، قسموا إلى أربعين كردوساً[39]، ثم جمعت هذه الكراديس في وحدات أكبر وقسمت على

---

[35] –أبو خليل: أطلس السيرة النبوية، ص108.

[36] – البلاذري: فتوح البلدان، ص39.

[37] – أبو خليل: أطلس السيرة النبوية، ص193..

[38] - تبوك: تقع على طريق الشام من جهة المدينة المنورة، وهي حصن وتبعد عن مائتي وخمسين ميلاً إلى الجنوب من عمان، عطوان، (حسين): الجغرافية التاريخية لبلاد الشام، ط1، دار الجيل، بيروت، 1987م، ص52.

[39] – الكردوس: القطعة من الخيل العظيمة، وهي فرقة ذات نظام مرن الحركة، يرتبط فيه الجندي بأمير، ويرتبط الأمير بالقائد العام، أبو خليل،(شوقي): في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1991م، ص283.

مقدمة وقلب وجناحان، أما على الجناح الشرقي للأمة العربية فقد أرسل الخليفة عمر بن الخطاب قبيل معركة القادسية سنة 14هـ/ 635م جيشاً بقيادة سعد بن أبي وقاص4000 رجل، ثم أمده ب2000 رجل يماني و2000رجل نجدي وكان في العراق 8000 مقاتل مسلم وتتابعت الامدادات حتى بلغ قوامه 30000مقاتل، كما سار مع عمرو بن العاص عند فتح مصر سنة20هـ/640م 43500 رجل وأرسل إليه الخليفة عمر بن الخطاب الزبير بن العوام مع 12000رجلاً[40]، ثم زاد حجم القوات حتى وصل إلى 20000 مقاتل في معركة العقوبة سنة 27هـ/647م(في تونس) بقيادة عبد الله بن سرح، أما عند فتح برقة سنة26هـ/646م في غزو إفريقيا فقد ذهب إليها 20000 مقاتل، وعند اتساع موجة الفتوحات والقبول بمشاركة جميع عناصر الجزيرة العربية قفز العدد قفزة هائلة إذ وصل في زمن معاوية بن أبي سفيان والذين سجلوا في الديوان 40000عنصراً من الجيش[41]، وعند تولي زياد بن أبي سفيان[42] على البصرة كان عدد المقاتلين فيها 40000 وزاد عددهم إلى 80000 مقاتل بسبب هجرة عدد من قبيلة الأزد اليمنية إلى البصرة، كما قام بنقل 50000 مقاتل من البصرة والكوفة مع عائلاتهم إلى خراسان والاستقرار فيها، أما في فترة الفتوحات الواسعة في العصر الأموي فقد بلغ عدد الجنود المسجلين في الديوان في الشرق؛ أي مركز التوسع الكبير، 100000م

[40] – البلاذري: فتوح البلدان،ج1، ص211.

[41] – ابن عبد الحكيم: فتوح، ص102.

[42] - زياد بن أبيه، قائد عسكري وسياسي أموي، وهو ابن غير شرعي، ارتبط اسمه بمعاوية بن أبي سفيان، ولاه معاوية البصرة والكوفة سنة 44ه/ ، كان جباراً ميالاً لسفك الدماء، وهو أول من فرض حظر التجوال في الاسلام، الأعظمي،(علي): مختصر تاريخ البصرة، مؤسسة الهنداوي، العراق، 1927م، ص42.

ومعهم مثلهم من الموالي[43]، وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أعد جيشاً كبيراً عدده 50000 مؤلفاً من أربع فرق للتوغل في الأراضي البزنطية[44]،أما في حالات النفير عند الخطر فيجب أن يخرج الجميع.

خامساً: التخلف عن الجيش ومعالجته

لوحظ ميل عام نحو التراخي وإهمال الالتحاق بالحملات والجيش المحارب منذ وقوع الفتنة بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فأمر علي منادياً بأن لا يتخلفن أحد وأمر معقل بن قيس[45] أن يسير في الرساتيق[46] فلا يدع أحد من جنوده فيه إلا حشره (أي يسير دوريات شرطة عسكرية للقبض على المتخلفين)، فلم ينصرف هذا إلا بعد مقتل علي[47]، وتزايد هذا الأمر باضطراد في العصر الأموي، ووجد فيه بعض القادة خطراً شديداً يتجاوز ضرورة الدفاع عن عدو خارجي ليتعداها إلى تعريض أعراض الجند الذين يذهبون للقتال ويخلفون

---

[43] – هم الخدم والحلفاء في لغة العرب، تم استخدام هذا المصطلح بكثرة في زمن الخلافة الأموية إشارة إلى المسلمين من غير العرب كالفرس والترك والأفارقة والأكراد، خماش،(نجدة): الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص42؛ المقداد،(محمود): الموالي ونظام الموالاة، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص23.

[44] - عثمان،(فتحي): الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج2، ص 103.

[45] – معقل بن قيس الرباحي من بني يربوع من تميم، قائد عسكري أدرك عصر النبوة، أرسله عمار بن ياسر مبشراً لعمر بن الخطاب بفتح تستر، كان صاحب شرطة علي بن أبي طالب يوم الجمل، الزركلي: الأعلام، ج7، ص271.

[46] – رستاق: هي المواضع التي فيها زرع وقرى أو بيوت مجتمعة، مسعود،(جبران): الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص475.

[47] – الدينوري،(أحمد بن داود ت.282ه/895م): الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، ط1،القاهرة، 1960م، ص212.

نساؤهم وراؤهم من قبل المتخلفين عن اللحاق بهم، وقد أدى هذا الأمر لقيام الخلفاء والولاة بفرض عقوبات على المتخلفين منها إلغاء العطاء، وقام الحجاج بن يوسف الثقفي[48] بفرض عقوبة أشد وصلت إلى الإعدام ومصادرة الأموال للمتخلفين وذلك في حال النفير العام[49]، وبدأت هذه الأمور تزول وزادت نسبة التخلف كما شاعت قضية إرسال البديل وذلك بقيام المكلف بدفع ما يسمى جعالة[50](البدل حالياً)؛ وهذا الأمر كان مثار أخذ ورد ومؤيد ومعارض، فباستطاعة من يملك المال أن لا يذهب للقتال بدفع البدل والفقير يجبر على ذلك، طبعاً دون الأخذ بالاعتبار الحالة الجهادية، ويظهر أن المتخلف والمتقاعس عن تلبية داعي الحرب مرده إلى الاستقرار الذي تجاوز القواعد القديمة إلى المناطق البعيدة في أقصى الشرق وأقصى الغرب، وإذا كان صعباً بالنسبة للقريبين من الثغور المستقرين فهو أكثر صعوبة لمن يوجهون من القواعد البعيدة كالبصرة والكوفة إلى أقصى الشرق، وكان الثائرون من القواد يستغلون النقمة التي تعمر القلوب من جراء البعد عن الموطن، ولعل ما يعطي صورة عن هذا الواقع هو وعد يزيد الثالث[51] أن يبقي قوات الشام

---

[48] – قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام، ولاه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليه العراق، بنى مدينة واسط، توفي سنة 95هـ/714م، الزركلي: الأعلام، ج2، ص168.

[49] – الطبري: تاريخ، ج5، ص199.

[50]– معناها أجر العمل أو الرشوة، لكن المعنى الاصطلاحي أن يكتب الغزو على الرجل فيعطي رجلاً آخر شيئاً ليخرج مكانه أو يدفع المقيم إلى الغازي شيئاً فيقيم الغازي ويخرج هو، ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص111.

[51] – يزيد بن الوليد بن عبد الملك، أبو خالد، الملقب بالناقص لكونه نقص عطاء الأجناد، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص375.

في أرضها ولا يرسلها للخارج كما جرى مراراً وتكراراً قبله:" ولا أجمركم في ثغوركم فافتنكم وأفتن أهليكم"[52].

سادساً: عتاد الجيش الإسلامي

أ- وسائل النقل:

*-**الجمل:** من أقدم الحيوانات عند العرب، وهو حيوان أليف استطاع بعناده وصلابته على السير بجبروت وتبختر فوق رماد الصحراء، ويعتبر الجمل ثروة العربي، فالثري العربي هو من يملك عدداً كبيراً من الإبل، لذلك أدى فقر المسلمين الأوائل إلى قلة عدد الجمال التي رافقتهم في المسير إلى بدر، إذ لم يكن بحوزتهم إلا ما يقارب السبعين جملاً، وعدد الرجال يزيد على الثلاثمائة مقاتل، فضلاً عن ثقلهم ومتاعهم، لذا كان الرجال يتناوبون ركوب الجمال، وذكر الواقدي أن المسلمين في بدر ما رجع أحدهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً حتى حصل بعضهم على البعير والبعيرين[53] ، ولقد تبدل الحال فيما بعد وغدا عدد الجمال أوفر بتصرف المسلمين وذلك بسبب ما غنموه في معاركهم التالية؛ ففي غزوة بني المصطلق مثلاً غنموا ألفي بعير[54]، كذلك انضم عدد أوفر من الأعراب راكبي الجمال إلى الصف الإسلامي، وكان للنبي ﷺ عدة جمال منها القصواء التي أتى

---

[52] – ابن خياط:(خليفة ت240ه/854م): تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، ط2، دمشق، 1976م، ج1، ص369؛ الطبري: تاريخ، ج4، ص246.

[53]– الواقدي: المغازي، ج1، ص26؛ المقريزي: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م، ج1، ص24.

[54] – المقريزي: إمتاع الأسماع، ج1، ص205.

بها عام الفتح[55]، وكانت الإبل في غزوة تبوك سنة9هـ/630م اثني عشر ألفا، وطبيعي أنه كان للجمل أهمية بالغة في الأعمال الحربية لأنه كان وسيلة الانتقال الأكثر شيوعاً، ولم يأت عصر الفتوح حتى كان أغلب المقاتلين يملكون الجمال، واستمر اعتماد العرب على الجمل كوسيلة أساسية في النقل والانتقال طوال عصر الفتوح، وكان بين غنائمهم من شمال إفريقيا الأعداد الكبيرة من الجمال التي حصلوا عليها من مصر وإفريقيا ورغم أنه كان في جيشهم الذي فتح مصر خيالة لم يكن ما يماثلها في الفتوح السابقة[56]، وقد عادوا للاعتماد على الجمل في فتوحهم لبلاد المغرب والذي كانوا قد أهملوا الجمل قبل ذلك بأمد طويل.

وأما عن فتح فارس وهضاب آسيا الوسطى، وبسبب طبيعة الأرض فلا توجد إلا إشارات قليلة عن استخدام الجمال، وربما استخدمت الجمال ذات السنامين التي تستخدم لنقل العتاد والمتاع وليس جمال الركوب ذات السنم الواحد، وقد أدى اعتماد الفاتحين لهذه الأصقاع على البغال والخيل الثقيلة والجمال ذات السنامين إلى تغيير نمط القتال الذي كان سائداً من قبل، فلم يعد المقاتلون يركبون الجمال أثناء القتال بل أصبح الجيش مؤلفاً من مشاة يقاتلون على الأقدام وفرسان يقاتلون وهم يمتطون صهوة الخيول، وغدا هؤلاء الفرسان صفوة المقاتلين، أما في الأراضي الصحراوية والقاحلة في الشرق وخراسان، حيث يندر وجود الماء، وبالتالي يصعب استخدام الحصان والبغل، وكان الناس في تلك المناطق

[55] – ابن كثير،(إسماعيل بن عمر ت.774هـ/1372م): الفصول في سيرة الرسول، تح: محمد العيد الخطراوي؛ محي الدين مستو، ط3، مؤسسة علوم القرآن، سورية، 1981م، ص124.

[56] – الطبري: تاريخ، ج4، ص109.

يستخدمون الجمال ذات السنام الواحد منذ قرون عديدة سبقت الفتح الإسلامي، فمن المرجح أن العرب استخدموا هذا النوع من الجمال للنقل والركوب عند غزوهم في الصحاري والسهوب الواسعة الواقعة في شرق وشمال الهضبة الفارسية، ومعروف أن العرب استخدموا الجمل ذا السنم الواحد لأغراض عدة منها الركوب ونقل الأمتعة وللأعمال الزراعية، في العموم ليس سهلاً أن يقوم المقاتل بمواجهة خصمه على ظهر الجمل، لذا فإن استخدام الجمل لركوب الفرسان لم يكن شائعاً، ونجد إشارات قليلة لهذا النوع من المطية في قتال هذه الفئة من الجيش؛ منها على سبيل المثال أن حامل راية هوازن في غزوة حنين قاتل برمحه من على ظهر جمله[57]، كما أن بعضهم قاتل في القادسية وهو يركب جملاً، ولكن هذه الأخبار قليلة[58]، بل إن هناك العديد من الإشارات إلى ترجل الرجال عن جمالهم ليقاتلوا، أو تركهم لها في المعسكرات بحراسة العبيد، هذا فضلاً على أنهم في معركة اليرموك وضعوا الجمال حول المعسكرات لحمايتها، وكان على المقاتل الذي لا يملك فرساً أن يقاتل مع المشاة، أو يصنف مع المشاة المحمولة إذا أصر ركوب جمله.

*-**الحصان:** إن معرفة العرب بالخيل تعود إلى فترة ما قبل الإسلام، وللخيل نصيب كبير في الحروب لأنها سريعة الحركة ومرنة في القتال وفي الكرّ والفرّ، وتضبط أعصابها في القتال، وهي تمكن الفارس من مقارعة خصمه

---

[57] – أتى على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل، ويدعى أبو جروة، النمري،(يوسف بن عبد الله ت. 463ه/1070م): الدرر في اختصار المغازي والسير، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص223.

[58]– حمل بنو عم القعقاع عشرة عشرة من الرجالة على إبل قد ألبسوها خرقاً ووضع عليها براقع فصار لها منظراً مخيفاً عندما رأتها خيول الفرس فرّت هاربة، الطبري: تاريخ، ج3، ص545.

بسهولة، ومن ملاحقة الراجل والوصول إليه بسهولة، وبفضل الخيل ظهر الأبطال الفرسان، فالحصان مثل المقاتل المقدام يجب عده من أبطال المعارك، وعندما نزل القرآن الكريم كرمها عزّ وجلّ بقوله: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ[59]، ولم يكن القرآن وحده من قام بذلك، بل إن هناك العديد من الأحاديث النبوية التي قامت بتكريم الخيل والحث على اقتنائها وتعلم ركوبها، وطلبت من المسلم الإحسان لها والترفق بها، ومن ذلك قولهﷺ:"ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأعجازها"[60]، وقوله:" إن المنفق على الخيل في سبيل الله كباسط يديه بالصدقة لا يقبضها"[61]، ولعل أهم تشجيع على اقتناء الخيل إعفاؤها من ضريبة الزكاة، برغم أن الزكاة فرضت على كافة الأنعام بما في ذلك الإبل التي استعملت للركوب في الجهاد، بقوله ﷺ:" إنّ الله تجاوز لكم عن صدقة الخيل"[62].

لقد كان عدد الخيل بحوزة المسلمين في أيام معاركهم الأولى قليلاً، ففي معركة بدر كانوا يملكون ثلاثة خيول فقط[63]، وكان الكفار قد جاؤوا بمائة فرس

---

[59] – القرآن كريم: سورة الأنفال، الآية60.

[60] – حنبل،(أحمد بن محمد ت.241هـ/ 855م): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط ؛ عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، 2001م، ج29، ص147.

[61] – حنبل: مسند، ج29، 159.

[62] – ابن سلام،(القاسم ت. 224هـ/ 838م): الأموال، تح: حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1985م، ص562؛ حنبل: مسند، ج2، ص118.

[63] – كان معهم فرس مرثد الغنوي ويقال له السبل، وفرس المقداد البهراني ويقال له بعزجة، وفرس الزبير بن العوام ويقال له اليعسوب، ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص233.

فنجوا منها بسبعين وحصل المسلمون على ثلاثين[64]، ولكن العدد ازداد بعد فتح مكة، وانضم إليهم ما كان بحوزة أثرياها من خيل، وبعد أن طرد المسلمون بني قريظة، كان بين ما خلفه هؤلاء عدد غير كبير من الخيل استولى عليها المسلمون. وإمعاناً في تكريم الخيل وراكبيها جعل نصيب الفارس من الغنيمة ضعف الراجل، فذلك عندما قسم الرسول ﷺ الغنائم في بدر أعطى الفارس سهمين والراجل سهماً واحداً[65]، وذكر ابن هشام أنه في غزوة بني قريظة سنة5ه/626م كان عدد الخيل ستة وثلاثين فرساً وأن الرسولﷺ "أعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل من ليس له فرس سهم"؛ وقد ابتاع المسلمون خيولاً وسلاحاً لسبايا بني قريظة الذين انضوا تحت راية الإسلام من نجد[66]، قال في ذلك الشيباني: "وليس في هذا تفضيل البهيمة على الأدمي، فإن السهمين لا يعطيان للفرس وإنما للفارس فيكون في هذا تفضيل للفارس على الراجل، ثم هو سيقوم بالتزام مؤونة فرسه والقيام بتعاهده، والسهم الآخر لقتاله عن فرسه والسهم الثالث لقتاله ببدنه"[67]، وتفسير ذلك أنه ما جرى في غزوة أحد حيث انشغل رماة المسلمين بجمع الغنائم،

---

64 – سبط ابن الجوزي،(يوسف بن قزا أوغلي ت.654ه/1256م): مرآة الزمان في تواريخ الأعوان، تح: محمد بركات، الرسالة العالمية، بيروت، د.ت، ج3، ص224.

65 – السرخسي،(محمد بن أحمد ت.483ه/1090م): المبسوط ، دار المعرفة ، بيروت، د.ت، ج10، ص41.

66 – ابن هشام: السيرة النبوية،ج3، ص192.

67 – الشيباني،(محمد بن الحسن ت.189ه/804م): السير الكبير، بشرح الأمام محمد بن أحمد السرخسي ت.483ه/ 1090م: تح: محمد حسن الشافعي، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1958م، ص885.

فاغتنمت خيالة المشركين هذا الموقف ووجهوا للمسلمين ضربة قاسية من الخلف، فأدرك المسلمون أهمية الخيالة وعملوا مذ ذاك على تقوية هذا الجزء من جيشهم[68].

ولا نجد في معركة حنين 8هـ/629م وما وقع للمسلمين فيها من غنائم أي ذكر للخيل، رغم أنهم استولوا على ستة آلاف جمل، ونصت معاهدة الصلح مع نجران أن على أهل نجران تقدمة ثلاثين حصاناً في حال وقوع حرب، وقد أخذت أعداد الخيول بالتزايد، حيث كان عدد خيول المهاجرين والأنصار وحدهم عند فتح مكة 800 فرساً، وكان لقبائل بني قريظة في هذه الوقعة مائة فرس، ولأسلم ثلاثون فرساً، ولجهينة خمسون فرساً، ولبني سليم تسعون فرساً، وحين أسلم أكيدر بن عبد الملك[69] ملك دومة الجندل[70] سنة 9هـ/630م وصالح النبي ﷺ كان من ضمن البنود أن يأخذ المسلمون منه الحافر أي الخيل والبغال والحمير[71]، وفي غزوة تبوك سنة 9هـ/630م آخر غزوات الرسول بلغ عدد الخيل أوج ارتفاعه في زمن النبي ﷺ، إذ اشترك في هذه الغزوة عشرة آلاف فارس مسلم [72]، وأضاف أبو بكر

---

[68] – ابن قدامة،(أحمد بن أحمد ت.630هـ/ 1232م): المغني، تح: عبد المحسن التركي؛ عبد الفتاح الحلو، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض،1981م، ج8، ص407.

[69] – هو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن، صاحب دومة الجندل، كان نصرانياً أسلم وقدم إلى النبي ﷺ، ثم عاد إلى دومة، ولما مات النبي ﷺ ارتد، فلما سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام قتله، وقال ابن الأثير: لا ينبغي أن يذكر من الصحابة: أسد الغابة، ج1، ص272، رقم 320، العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص379، رقم549.

[70] – من أعمال المدينة قرب جبلي طيء في الشمال الشرقي وبينهما خمس عشرة ليلة، وسميت ب دومي بن إسماعيل الذي كان نزل بها، وتعرف اليوم بالجوف وتتألف من مزارع صغيرة على بعد 320 ميل من المدينة، ابن هشام: السيرة النبوية، ج3، ص169، حاشية رقم3؛ عطوان: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام، ص52.

[71] – الحموي: معجم البلدان، ج2، ص488.

[72] – الواقدي: المغازي، ص800.

الصديق في عهده عنصراً جديداً في هذا المجال، إذ استخدم جزءاً من حصة الدولة من الغنائم وهو الخمس في شراء الخيل والسلاح للمقاتلة الذين لا يملكون ما يكفي لشرائها[73]، ويمكن القول أن عدد الفرسان كجزء من جيوش المسلمين ظل قليلاً حتى كان نصرهم في القادسية واليرموك، إذ كان بين الغنائم عدد كبير من الخيول، واستمر الخليفة عمر بن الخطاب في رعاية الخيل والعناية بها[74]، وحاول أن يزود جيوش الفتح بها من مناطق شمال بلاد الشام والكوفة، وقد أقطع لنافع بن الحارث[75] أرضاً في البصرة جعل منها مزرعة لتربية الخيول، ولقد لعبت الخيل وفرسانها دوراً بارزاً في الفتوح في عهده التي اتسعت اتساعاً كبيراً وشملت العراق وفارس ومصر، وربما كان الجديد في هذا المجال هو ما تم زمن هذا الخليفة من تجربة جديدة ومثيرة وهي المواجهة التي وقعت بين خيل العرب وأفيال الفرس بدءاً من موقعة الجسر[76] وما تلاها، كما اهتم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بتوفير المراعي واشترى كسلفه أبي بكر عدداً كبيراً منها من أموال الخمس[77].

---

[73] – السرخسي: المبسوط، ج10، ص14.

[74] – يوجد موضع اسمه نقيع حماه عمر بن الخطاب لخيل المسلمين وهو من أودية الحجاز يدفع سيله إلى المدينة، يسلكه العرب إلى مكة، الحموي: معجم البلدان، ج5، ص301.

[75] – نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي، كان مع عتبة بن غزوان حين وجهه عمر بن الخطاب إلى الأهواز والأبلة، ونزل بالبصرة قبل أن تبنى، بعد فتح الأبلة وجدوا فيها غنائم كثيرة، وهو من اقتنى خيلاً بالبصرة، الزركلي: الأعلام، ج7، ص352.

[76] – إحدى المعارك التي دارت بين المسلمين والفرس سنة13هـ/ 634م وسميت الجسر لأن المسلمين أقاموا حواجز على نهر الفرات لعبورهم قواتهم، مجموعة من المؤلفين، نقلها: أبو سعيد المصري: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، دار أسامة للنشر، عمان، 2009م، ج13،ص133.

[77] – في موضع أبرق الربذة الذي كان به وقعة بين أهل الردة وبين أبي بكر الصديق وجعله حمى لخيول المسلمين، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص68.

– **الحمير والبغال:** الحمار حيوان أليف من جنس الحصان، وهو الرفيق الدائم للإنسان، حامل المشقة، ويسمى صغير الحمار" جحش"، وإن تزاوج ذكر الحمار مع أنثى الحصان يعطي البغل، وهو عقيم لايلد، ويتميز الحمار في سلوك الطرقات الوعرة ويتمتع بحدة السمع وقدرة تحمل تفوق الحصان، استعمل في الحروب لنقل المعدات وفي حالات قليلة للركوب، وذكر الواقدي أن المسلمين في بدر ما رجع أحدهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً حتى حصل بعضهم على البعير والبعيرين ولقد ذكر أن النبي ﷺ يوم حنين كان يركب بغلة له بيضاء[78].

ب–الأسلحة المستخدمة وتطور صناعتها

عرف العرب في الجاهلية أنواعاً كثيرة من الأسلحة المعدنية، وفرضت الظروف السياسية والعسكرية في العصر الإسلامي تطوير الأسلحة والاكثار منها والبحث عن وسائل جديدة، وزاد عددها كماً ونوعاً بالتدريج ولم تبق على ما هي عليه من أيام غزوات النبي وسراياه بل تطورت وتكاثرت يوماً بعد يوم، وكان العرب المسلمون يقتبسون صنوف الأسلحة من أعدائهم كما كان أعدائهم يقتبسون منهم صنوف الأسلحة نتيجة للمعارك التي يخضونها، فكانت هجرة الأسلحة من جانب إلى جانب من جملة الدروس المستفادة من تلك المعارك، لقد كانت أسلحة المسلمين بداية في غاية البساطة، ثم تطورت تباعاً، وقد انتصروا بفضل الأيدي التي استخدمتها في القتال، ثم تشعبت العلوم العسكرية في المراحل اللاحقة، وأهم هذه الأسلحة المستخدمة:

[78] – مسلم،(ابن الحجاج ت.261هـ/874م): صحيح مسلم، دار السلام، ط2، الرياض، 2000م، ج3، ص1393، رقم 1775.

*-**السيوف:** السيف من أشهر أدوات الحرب في الجاهلية والإسلام، وهو السلاح الرئيسي في القتال، سواء في الدفاع أو الهجوم، ويكون ذا حدّ واحدة أو ذا حدّين، وربما يكون رأسه مدبباً حاداً يستعمل في الطعن، ويتكون السيف من جزئين رئيسين هما رئاسة السيف(أو قائمه) ونصله إضافة إلى غمد السيف، ويصنع السيف الحديد أو الفولاذ، وأما السيف الجيد هو المصنوع من الحديد النقي ومن الفولاذ معاً[79]، وتم اتقان صناعة السيف منذ العصر الجاهلي، ويقوم بعضهم بتوشيته بالذهب والفضة[80]،أما مراحل صناعته فهي تبدأ بمرحلة الصياغة بتشكيل النصل على هيئة قضيب ثم مرحلة السقي بالإحماء لتلين النصل، ثم تصليبه بواسطة غمره في سوائل تبريد خاصة، وكانت السيوف في العصر الاسلامي تصنع في اليمن المشهورة بصناعتها وجودتها، كما اشتهرت مكة بصنع السيوف أيضاً، ويؤكد ذلك أن الصحابي خباب بن الأرت[81] كان يعرف بهذه الصنعة، وصنعت أيضاً في نجد من قبل القبائل العربية فيها كقبائل عدوان وسليم، وقد وصفت السيوف العربية بأنها صلبة تقطع الأذرع والسيقان كما تقطع مغاليق

---

79 – الفولاذ: نوع مميز من أنواع الحديد ويعني انه الحديد المنقى من خبثه، ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص503.

80 – يعتبر سعد بن سيل جد قصي بن كلاب لأمه أول من حلى السيوف بالفضة والذهب، ويوجد له سيفين محليين في خزانة الكعبة، عبد الصمد،(واضح): الصناعات الحرفية عند العرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ص126.

81 – خباب بن الأرت التميمي أبو عبد الله، كان من سبايا الجاهلية وهو من أوائل من أسلموا، تعلم صناعة السيوف وأتقنها حتى اشتهر ببراعته في ذلك وأصبح الناس يقبلون من كل مكان ليشتروا منه السيوف، توفي في الكوفة سنة 37هـ/657م، ابن الأثير: أسد الغابة، ج1، ص591، رقم1407.

الحصون الحديدية وغيرها كالسلاسل، وتميزت بشكليها الطويل إذ أن بعض القبائل عرفت بطول سيوفها كبني عبد المطلب، فيما فضلت أخرى السيوف القصيرة للدلالة على الشجاعة والإقدام، يقول عمران بن حطان[82]:

إذا قصرت أسيافنا عن عدائنا مددنا خطانا نحوه فتطول

وبالإضافة إلى صناعتها في بلاد العرب كانوا يقومون باستيرادها من الهند المعروفة بصناعة الحديد والتي اشتهرت بصناعة السيوف الأجود، ربما لأن السيف الهندي كانت صناعته أفضل من السيوف المصنوعة في الجزيرة العربية، وقد ورد في الأشعار ما يشير إلى وجود ذلك ومنها شعر الخنساء:

بكل مهند عضب حسام رقيق الحد مصقول رحيض[83]

وقول الأعشى:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الجيل[84]

[82] – عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي أبو سماك، خطيب وشاعر، كان من رجال العلم والحديث، من أهل البصرة توفي سنة 84هـ/703م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985م، ج4، ص214.

[83] – الخنساء،(تماضر بنت عمرو ت. 24هـ/645م): ديوان الخنساء، اعتنى بشرحه حمدو طماس، دار صادر، بيروت، 1985م، ص53.

[84] – الأعشى،(ميمون بن قيس ت.7هـ/ 629م): ديوان الأعشى الكبير، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م، ص147.

ولقد اشتهرت عدة أنواع من السيوف منها:

-السيوف السريجية: وهي منسوبة إلى سريج بن معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة وهو يعمل بصناعة السيوف[85].

-السيوف الأريحية: وهي تنسب إلى أريح حي من اليمن حسب قول الأزهري، وإلى أريح بلد بالشام حسب قول ياقوت[86].

-السيوف البصرية: عرفت سوق بصرى للسيوف بالجودة، وبصرى في حوران من بلاد الشام[87].

-السيوف القلعية: نسبة إلى القلعة وهي موضع في البادية وإليه تنسب السيوف، ويوجد موضع آخر في بلاد الهند وفيها قلعة عظيمة فيها معدن الرصاص القلعي، وفي هذه القلعة تضرب السيوف الهندية القلعية[88].

-السيوف المشرفية: منسوبة إلى مشرف، وتعددت الروايات حولها، فهي قرية في اليمن عملت السيوف فيها، وقيل أنها تنتسب إلى مشارف الشام أو مشارف الريف(أي قرى للعرب تدنو من الريف لأنها أشرفت على الواد، وقيل هي التي تقترب من المدن)[89].

---

85 – ابن رشيق،(الحسن القيراوي ت.456ه/1063م): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مطبعة مصر، القاهرة، 1907م، ج2، ص232.

86 – الزبيدي،(محمّد بن محمّد ت.1205ه/1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، 1965م، ج4، ص70؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص165.

87 – الحموي: معجم البلدان، ج1، ص441.

88 – الحموي: معجم البلدان، ج4، ص389.

89 – الحموي: معجم البلدان، ج5، ص132؛ ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص127.

-سيوف البلقاء: في جنوب بلاد الشام، ونصالها من الحديد الأنيت، وهي رقيقة وطويلة.

-السيوف الديافية: نسبة إلى دياف في جنوب البتراء، وتعد من أهم الأنواع في العصر الأموي.

-السيوف الشامية: ازدهرت فيما بعد دمشق في تطور صناعة السيوف، فأصبحت سقايتها أصيلة، وامتازت نصالها بقطعها الجيد وحدها الأرهف وبلغ لمعانها حداً كبيراً من الصنعة بحيث أصبح السيف الدمشقي كمرأة، وكان ينقش على السيف الأشعار والآيات القرآنية والعبارات الاسلامية بماء الذهب[90].

*- **الرماح:** أداة من أدوات الحرب، وهي عبارة عن عصا خشبية أو معدنية في نهايتها قطعة معدنية مدببة الشكل، وهناك نوع من أنواع الرمح الخشبية التي يمكن حدّها بواسطة أداة حادة لتصبح رمحاً بدون وضع القطعة الحديدية مثل عصا الخيزران، ويختلف طول الرمح فالطويل يسمى المطروح وأما قصيرها فيسمى المطرود[91]،

وأشهر أنواع الرماح في الإسلام هي الرماح الخطية[92]، واستطاع المسلمين الحصول على الكثير منها من نوفل بن الحارث[93] الذي أسر في بدر، وقال له

---

[90] - الكندي،(يعقوب بن إسحاق ت. 256هـ/873م): رسالة الكندي في عمل السيوف، تح: فيصل دبدوب، مطبعة العاني، العراق، 1962م، ص18.

[91] - ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص240.

[92] - نسبة إلى المنطقة التي يصنع بها هذه الرماح وهي الخط، وهي عبارة عن عدة قرى منها القطيف، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص378.

[93] - نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، أبو الحارث وهو ابن عم الرسول ﷺ، أسره يوم بدر كافر وفدى نفسه برماح كانت له، وأعان النبي ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح، توفي سنة 15هـ/ 636م، ابن الأثير: أسد الغابة، ج5، ص347.

النبي ﷺ عند فداء الأسرى:" افد نفسك برماحك التي بجدة"، ففدى نفسه وكانت ألف رمح، وفي طبقات ابن سعد أنه أعان النبي ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح[94].

*-**القوس والسهم:** كان العرب لا يفصلون بين الرماية والصيد، فقد ارتبطا ببعضهما ارتباطاً وثيقاً فكانوا كلما حلّوا في مكان لا ينفكون عن تعلم الرماية وإجادتها، ويعتبر الرمي من أفضل ما أوصى به النبي ﷺ إذ قال:" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"[95]، وكان النبي ﷺ يخطب وهو متكئ على القوس لبيان أهميتها، والقوس عبارة عن بدن من الخشب ووتر من خيوط مفتولة ثم صار يتخذ من عصب في عنق البعير المسن، وأما السهم فهو مقذوف يطلق باستعمال القوس، ويتكون السهم من عود خشبي طويل على رأسه قطعة حادة من الصوان أو المعدن وفي مؤخرته ثلاث ريشات موضوعة بشكل يوفر الثبات للسهم عندما يطلق في الهواء، وريش اللؤام (القاطع) أفضل ما يكون، ويسمى السهم الذي يطلق على الأهداف سهم المرماة، كانت السهام تودع في وعاء من قوائم خشبية يوصل مابينها بالجلد، أو وعاء جلدي لا خشب فيه، وكانت تعرف بالكنانة[96].

---

[94] – الكتاني،(محمد عَبْد الحَيّ): التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية= نظام الحكومة النبوية، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، ط2، بيروت، د.ت.

[95] – مسلم: صحيح مسلم، ص1917.

[96] – ابن سلام: السلاح، ص24؛ عثمان،(مجدي عبد العظيم): الرماية بالقوس والسهم، مجلة الكويت، العدد 47، الكويت، 1986م ، ص72-75.

*-**الطبر أو الطبرزين:** نوع من السلاح يشبه الفأس[97].

*-**القراقل:** الدرع تصنع من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأصفر والأحمر[98].

*-**الدرق أو الترس(اللمطية):** من أكثر أسلحة بلاد المغرب شهرة، ولها فاعلية في الحروب، تتميز بخفة وزنها ومقاومتها لضربات السيوف والرماح والسهام، ليس فيها خشب ولا عقب، تكون بالغالب بيضاوية الشكل، تؤخذ من حيوان اللمط (يعيش في صحراء بلاد المغرب وهو دابة دون البقر لها قرون دقاق حادة، من جنس الظباء، أبيض اللون، صابر على العطش)[99].

*-**ارتداء الخوذات** أو البيضات الحديدية لحماية رؤوسهم، أو يلبسون الغفارة[100] وفوقها غطاء الرأس القماشي العربي، وارتداء الجواشن[101] لحماية

---

97 – مسعود: الرائد، ص325.

98 – القلقشندي،(أحمد بن علي ت.821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحها وعلق عليها: محمد حسين شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج4، ص11؛ الكيلاني: مصطلحات، ص59.

99 – ابن أبي زرع الفاسي،(علي بن محمد ت.726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المنصور للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 1972م، ص120؛ حسن،(حسن إبراهيم): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م، ج4، ص379، حاشية رقم 4.

100 – الغفارة: زرد من الدرع ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، الكيلاني،(ابراهيم): مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الأيوبي والمملوكي والعثماني، التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد49، دمشق، 1992م، ص33-63، ص54.

صدورهم، كما اهتموا بحماية الحصان وسلامته في المعارك فكانوا يغطون جسمه بدروع فولاذية أو جلدية تسمى التجافيف[102].

*-**الصلت:** السكين الحديدية الكبيرة وهي شديدة الحدة[103].

*- **الدبابيس:** سلاح حربي يدوي على شكل هراوة، للضرب، ولها أنواع[104].

*-**القوارير:** أداة طويلة لها مقبض ورأس تحمل مواد قابلة للاشتعال، وظيفتها إنارة الأماكن المظلمة على شكل مشعل[105].

كما استخدم العرب المسلمون الأسلحة الثقيلة(تحتاج إلى أكثر من شخص لاستعمالها) ومنها:

*-**القسي الناوكية:** هي عبارة عن أقواس كبيرة تنصب على الأسوار والأبراج وتسمى "الزياد"، وتحتاج هذه الأقواس في شد وترها إلى عدد من الرجال، ويصيب الرشقة الواحدة منها عدة أشخاص[106].

---

[101] – الجوشن: الصدر، أي درع من الحديد يلبس على الصدر، ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص277.

[102] – التجافيف: آلة للحرب من حديد وغيره تلبسها الفرس للوقاية بها كأنها درع، الكيلاني: مصطلحات تاريخية، ص 53.

[103] – ابن سلام: السلاح، ص39.

[104] – علي،(آزاد): البنية النظرية لكتاب الأنيق في المناجيق، مجلة دراسات تاريخية، العدد 33، دمشق، 1989م، ص146.

[105] – علي: البنية النظرية، ص146.

[106] – الطرسوسي،(مرضي بن علي ت. 589هـ/1193م): تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، تح: كلود كاهين، الدراسات الشرقية، بيروت، 1948م، ص6.

*-**الزحافة:** من الآلات الحربية على دواليب خشبية، وهي الشكل البدائي للدبابة أو العربة المصفحة وفيها غرفة تحوي جنود وفي مقدمتها جسر على امتداد الجسر الطويل يشكل معه قاعدة وهيكل الزحافة، وفي امتدادها أرضية خلف الغرفة لاحتماء الجنود خلف الغرفة وللمحافظة على توازن الزحافة وزيادة الأمان ضد الانقلاب لكون معظم ثقل الزحافة يتركز في المقدمة[107].

*-**الدبابة:** هي عبارة عن خشب(صنبور) مغطى بالجلد، يكمن الجنود في داخلها ليتقوا النبال الموجهة إليهم من حصون الأعداء، ويهاجموا بها جدران الحصون محاولين ثقبها وتدميرها، والدبابات كانت تصنع من الخشب الثمين، وتغلف باللبابيد المنقوعة في الخل لدفع النار، وتركب على عجلة وتحرك فيدفعها الرجال، وهي قديمة استخدمها المصريون القدماء ثم الآشوريون فاليونان فالرومان فالفرس فالعرب، وهي قلعة سائرة على عجل، يهجمون بها على الأسوار لمحاربة المحاصرين الذين في أعلى السور[108]، وقد استخدمها المسلمون عند جدار الطائف[109]، كما استخدمها العرب كثيراً في حروبهم ضد الروم.

[107] – الزردكاش،(ابن أرنبغا ت.867هـ/ 1462م): الأنيق في المناجيق، تح: إحسان هندي، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1985، ص13؛ ابن غانم الرياشي،(إبراهيم بن عز ت. 1198هـ/1783م): العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، تح: إحسان هندي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، د.ت، ص34.

[108] – زيدان،(جرجي): تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة: حسين مؤنس، دار الهلال، ط1، القاهرة، 1968م، ج1، ص190.

[109] – ابن هشام: السيرة النبوية، ج4، ص100.

*- **الضبور**: جلود يغشى فيها خشب، يتقى بها في الحرب عند الانصراف، وفيها رجال، تقرب إلى الحصون لقتال أهلها، وقيل: هي دبابات تقرب إلى الحصون لتنقب تحتها، استخدمت في غزوة الطائف سنة 8هـ/629م[110].

*- **المنجنيقات:** هي آلة ترمى بها الحجار على الأعداء من بعيد، وكان النبي ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق[111]، وحدث ذلك أثناء حصار الطائف سنة8هـ/629م، ومطاردة فلول قبيلة ثقيف، الذين اعتصموا بحصونهم، ورموا المسلمين من فوقها بنبالهم، مما اضطر أصحاب الرسول ﷺ لنصب منجنيق ورميهم به[112]، واهتم الأمويين بصناعة المجانيق حتى استطاع الحجاج بن يوسف الثقفي صنع منجنيق أسماه(العروس) يحتاج إلى خمسمائة رجل لخدمته والعمل عليه[113].

*- **الكسكنجيل:** هو منجنيق صغير خاص لرمي السهام بواسطة شد الأوتار[114].

---

110 – ابن هشام: السيرة النبوية، ج4، ص96، حاشية رقم 4.

111 – المنجنيق: هي آلة من الخشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه، فما أصاب شيئاً إلا أهلكه، القلقشندي،: صبح الأعشى، ج2، ص137.

112 – ابن هشام: السيرة النبوية، ج4، ص99.

113 – أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص362.

114 – علي: البنية النظرية، ص146.

*- **المكاحل:** الشكل الأولي للمدافع(آلة قذف المقذوفات) وهذه التسمية على الأرجح مصدرها إما لون مسحوق البارود الأسود الذي يشبه مسحوق كحلة العين أو للتشابه بين شكل مدفع القدر وبين مكحلة العين[115].

*-**القدور**: أوعية من الفخار أو المعدن مختلفة الأشكال والأحجام تحوي مواد متفجرة وحارقة وسامة وذات روائح كريهة أو مسيلة للدموع، حسب وظيفة كل قدر والآلة التي تقذفها[116]، ولقد توصل العرب المسلمين إلى تطويرها وتصغير حجمها كالقدور الكفيات(وهي قدور خزفية بحجم الرمانة محشوة بالنشادر والجير)، وتلقى على العدو باليد، فإذا اصطدمت بجسمه المدرع بالحديد فإنها تنكسر وتخرج منها رائحة النشادر الكريهة فتسبب له الاختناق[117].

وقد ظهرت تخصصات فرعية في الجيوش الإسلامية وهي:

-القاذفين بالمقاليع[118]على الأعداء، الرماة بالعرادة، الرماة بالمنجنيق، رماة السهام المختلفة القسي الناوكية أو قسي الرجال، الرماة بالحجارة، وهناك من اختص بالنعير والصياح[119].

---

[115] - علي: البنية النظرية، ص147؛ الكيلاني: مصطلحات، ص60.

[116] - علي: البنية النظرية، ص146.

[117] - النويري،(محمد بن قاسم الاسكندراني ت. بعد775هـ/1382م): الأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية، تحقيق: عزيز عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، د.ت، ص206.

[118] - المقلاع يتكون من كفة توضع فيها القذيفة (الحجر) المربوطة بثلاثة حبل تمسك من أطرافها، القرغولي،(جهادية): العقلية العربية في التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986م، ص269.

[119] - كان يقف على رؤوس الجبال بالليل والنهار غلمان ينعرون(يصيحون) إذا جاءهم بريد أو خبر، فإذا سمع الذي يليه_ وبينهم حوالي فرسخ- النعير تهيأ فلا يبلغ الذي نعر حتى

ورافق الجيش عناصر ليست في الأصل ذات مهمات حربية: وفي مقدمة هؤلاء التجار وكان هؤلاء يقومون بفتح الأسواق كي يتجهز منها الجند، كما كان قاص وقاض وقارئ، ولقد اشتركت النساء في العمليات الحربية: إما بسقاية القوم وخدمتهم أو مداواة الجرحى في خيم خصصت لذاك وإما بجمع الأجر وامداد الرجال بها ومناولة السهام وإما بتشجيع الرجال وحثهم على الإقدام في القتال أو بالمساعدة مع الصبيان في حفر القبور للشهداء وعندما يتعرضن للهجوم كن يدافعن عن أنفسهم وعندما تتوفر الحماسة لدى بعضهن كن يقمن بمساعدة الرجال في الحرب[120]، يضاف إلى ذلك اختصاصيون من الأطباء، والبياطرة للخيول، وجواسيس من الرجال والنساء يكلفون بالسفر إلى بلاد الأعداء لاستقصاء أخبارهم وأحوالهم[121].

سابعاً: الترتيب العسكري في الجيش الإسلامي

مع بداية العهد الإسلامي وخلال الغزوات بدأ الأمر التنظيمي للجنود، فقد تم تقسيم الجنود إلى جماعات، وفي الفتوحات في العهد الراشدي كان الجيش ينظم في المعركة على النظام العشري، وقسم إلى أقسام وهذه الأقسام:1- القلب أو المركز،2- الميمنة أو الجناح الأيمن، 3- الميسرة أو الجناح الأيسر، وكل قسم كان تحت قيادة قائد، وعلى مسافة قريبة من بعضهما البعض حوالي 150م، وكل وحدة قبلية كان لها زعيم يسمى عريف، وفي مثل هذه الوحدات يمكن أن يقود 10

يقف له على الطريق، وذلك لسرعة وصول البريد والأخبار، الطبري: تاريخ، ج9، ص52.

120 – الكتاني: نظام الحكومة النبوية، ج2، ص74.

121 – برو: التاريخ السياسي، ص55.

أو100 أو 1000 رجل، وسمي فيما بعد الأفواج، وتجمع وحدات العرفاء تحت قيادة رجل يسمى أمير عشر، وأمير العشر كان تحت قيادة قائد قسم، والذي هو تحت قيادة القائد العام، وتطور ترتيب الجيش وفقاً لأهمية المعارك وقوة الخصم وكثرة عديده، ففي موقعة فحل قسم الجيش إلى خمسة ألوية متقاربة ومتفاوتة القوى، لواء العراق ويشكل حرس المقدمة ولواءان على المجنبتين ولواء على الرجال في الوسط ولواء على الخيل في الخلف، أما في معركة اليرموك فقسم الجيش العربي إلى أربعة جيوش، والذي قسم أيضاً إلى أربعين كردوساً وكل كردوس ألف رجل، وعلى كل واحد منهم أمير، وقسم الكردوس إلى تسعة سرايا منظمة على أساس التجمع القبلي أو العشائري، وتطور الأمر عند الأمويين فكان الجيش يتوزع على خمسة أقسام: المقدمة والميمنة والميسرة والساقة بالإضافة إلى القلب الذي يكون تحت إمرة القائد العام، واعتمد في القتال على العناصر التالية: الفرسان أو الخيالة والرجالة أو المشاة و الرماة أو النشابة، ثم أصبح الترتيب كالتالي: الأمير وقائد ونقيب وعريف وجنود، فالأمير له عشرة قواد ومائة نقيب وألف عريف، والقائد له عشرة نقباء ومائة عريف وألف جندي، والنقيب له عشرة عرفاء ومائة جندي، والعريف له عشرة جنود. وقد رفعت الجيوش الرايات والألوية الميزة بألوانها الخاصة، وهي تشبه الأعلام المستخدمة حالياً.

ثامناً: طريقة الإنفاق على الجيش وتموينه:

اعتمد الجيش في تمويله وتجهيزه على ما يعده الأفراد من عدة، إضافة إلى ما كانوا يقدمونه من نفقة وصدقة يتطوعون بها للإنفاق على من كانت الحاجة تقصر بهم عن النفقة على خروجهم للقتال، ففي غزوة تبوك أفصح النبي عن وجهته للغزو لشدة الحر وبعد الطريق ليتجهز الناس بالعتاد والمؤن الكافية ولكل لا

ينقصهم شيء، وحضّ أهل الغنى على النفقة، فتسابق المسلمون في إنفاق المال وبذل الصدقات فتبرع عثمان بن عفان بألف دينار وألف بعير وسبعين فرساً، وتبرع أبو بكر الصديق بماله كله أربعة آلاف درهم، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله، كذلك فعل بقية الصحابة وحملوا مالاً[122]، حتى النسوة ساهمن بالتبرع بالحلي، فكن ينزعن حليهن ويقدمنها تطوعا في سبيل الله، وكان الأفراد يتدبرون المال مما كانت بين أيديهم من زراعة، أو تجارة، أوإبل ، أو ماشية، أو حظهم من الغنائم، وكان تجهيز الجيش بالطعام يتم بطرق متعددة، فقد كان التمر أغلب زاد الجند يضاف إليه السويق(طعام من مدقوق الحنطة والشعير) واللحم مقددة أو طازجة، فكان المحارب يصطحب زاده معه، وذكر الواقدي أن وائلة بن الأسقع الليثي ت.83هـ/ 702م عندما خرج مع الرسول إلى تبوك قال لأخته:" جهزي أخاك جهاز غاز، فإن الرسول على جناح سفر"، فأعطته مداً من دقيق، فعجن الدقيق في الدلو، وأعطته تمراً فأخذه، وكان الرجل في تبوك يحمل الدقيق والسويق والتمر، كذلك كان الموسرين يتبرعون بالطعام، فكان سعد بن عبادة خلال حصار بني النضير يأتي المسلمين بالتمر من عنده، كما أمد الجيش بلحوم الإبل في غزوة حمرا الأسد، وكان ينحر اثنين في يوم و ثلاثة في يوم آخر[123]، وكان الجيش يعتمد من جهة أخرى على ما تقدمه الدولة من سلاح وخيل كانت تشتريها من مواردها من خمس الغنائم وما تأخذه من أهل الذمة على سبيل الجزية، وما كان يصرف من أموال الزكاة في هذا السبيل[124]، وبعد تأسيس ديوان الجند، صار

---

[122] - الواقدي: المغازي، ج3، ص991؛ الديار بكري،(حسن بن محمد ت966ه/1558م): تاريخ الخميس في أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت، 1970م، ج2، ص123.

[123] - الواقدي: المغازي، ج1، ص338.

[124]- بطانية، (محمد): الجيش وتمويله، مجلة دراسات، العلوم الانسانية، المجلد الثامن، العدد الثاني، كانون الأول، الجامعة الأردنية، الأردن، 1981م،

الجند يصرفون قسماً من رواتبهم في تجهيز أنفسهم واعداد ما يلزمهم في السفر والقتال، وإلى جانب تجهيز الجند لأنفسهم، كانت مساهمة الدولة في الانفاق كبيرة، فقد ورد أن عمر بن الخطاب كان يحمل في كل عام أربعين ألفاً من الظهر، وأنه جعل ثلاثين ألف بعير وثلاثمائة فرس ووسم على أفخاذهن حبيس في سبيل الله[125]، وبلغ مقدار ما أنفق الحجاج على الجيش الذي سيره إلى سجستان ألفي ألف سوى الأعطيات حتى دعي الجيش بجيش الطواويس[126]، وأما عن التموين فقد كان على المقاتل أن يعد نفسه، فيشتري جمله أو حصانه ويشتري سلاحه ويحمل إذا خرج للقتال زاده ومتاعه[127]، وعندما أصبحت خطوط المواجهة مع الأعداء بعيدة عن مراكز الحكم، كان القادة يتخيرون فصول الخصب والدفء من السنة تخففاً من حمل الزاد والمئونة وتخلصاً من متاعب البرد والحاجة إلى الادفاء وبالتالي تقليل الصرفيات[128]، وذكر أن عمرو بن العاص كان يعتمد بالإمداد على ما تحصل عليه قوات العرب المسلمين من خلال معاركهم مع الروم، وأن رؤساء القبط أخذوا على عاتقهم إمداد جيش المسلمين بما يحتاج من أطعمة وأغذية ومتطلبات للمقاتلين وخيولهم وذلك عن فتح الاسكندرية سنة 21هـ/ 641م ، وكان المسلمين يتخيرون أوقاتاً معينة من السنة للغزو، فمنها:" الربيعية" التي كانت تقع لعشرة أيام تخلو من شهر أيار، بعد أن يكون الناس قد أربعوا دوابهم(سرحت في المراعي وأكلت كيف شاءت وشربت)، وحسنت أحوال خيولهم؛ وذلك يوفر عليهم حمل الأعلاف وثمنها، ثم يعودون في حزيران وخمسة من تموز، حتى يقوى

[125] - الشيباني: شرح السير الكبير، ج4، ص2085.
[126] - الطبري: تاريخ، ج6، ص329.
[127] - عون، (عبد الرؤوف): الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف، القاهرة، 1961م، ص125.
[128] - الطبري: تاريخ، ج6، ص34.

ويسمن ظهر الدواب، ويغزون" الصائفة"، أما " الشواتي" فلا يحاربون إلا عن اضطرار، ولا يوغلون كثيراً، بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه على ظهره[129]، وكانت الطرق التي تسلكها الجيوش في الغالب هي طرق التجارة لما قد يتوفر في هذه الطرق من خدمات، وبخاصة الماء الذي كانوا ينزلون عليه، فيستقون ويملؤون القرب لحاجتهم منه في الطريق، واتخذ الجيش في منازله على الطريق الخيام للراحة، ويعجن ويخبز، وكان يأكل في طريقه من الثمار التي يمر بها شرط ألا يحمل، ورخص للجيش في الطعام والعلف من الغنيمة في أرض العدو، فيصيب الطعام بأنواعه، ويذبح البقر والغنم لأغراض الأكل للحاجة الماسة، وإذا طال به المقام كان يزرع ويأكل[130].

تاسعاً: اللباس في الجيش

كان اللباس في المجتمع الاسلامي الأول امتداد لما سبقه، وإن طالته بعض التعديلات جراء الاعتبارات الأخلاقية الجديدة التي كرسها، وكانت القطع الرئيسية للثياب في عصر النبي تتكون من لباس تحتي وقميص سابغ أو ثوب طويل، وثوب خارجي كعباءة أو معطف، وما يغطي القدمين من حذاء أو صندل، واقتضت الطقوس أن يرتدي الرجال عباءة فوق ما يلبسونه حين يظهرون للملأ، وكان من المعتاد أن يعتمر الرجال أغطية للرأس تحشماً ووقاراً، ولقد احتاج المقاتلة إلى الثياب فقام النبي بالحصول عليه عن طريق معاهدات الصلح، فكانت معاهدة صلح نجران تنص:" ألفي حلة في صفر وألف حلة في رجب"، وكذلك أهل مقنا

[129]- قدامة، (بن جعفر بن قدامة ت.337ه/ 948م): الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد، ط1، بغداد، 1981م، ص192.

[130] - الطبري: تاريخ، ج6، ص335؛ الشيباني: شرح السير الكبير، ج3، ص1017.

صالحهم على ربع ما اغتزلت نساؤهم[131]، ووجد النبي في خيبر خمسمائة قطيفة(نوع من الثياب)، وجاء في كتاب النبي إلى معاذ بن جبل ت.19هـ/640م في اليمن أنه طلب أخذ الجزية أو عدل ذلك من المعافر[132](نوع من الثياب)، وأما الوسيلة الأخرى لتجهيز المقاتلة باللباس فهو ما يحصلون عليه من عدوهم، فذكر أن النبي جمع أمتعة بني قريظة وما وجد في حصونهم من الحلقة واللباس، وحصل كذلك المسلمون على المتاع في غزوة المريسيع سنة 6هـ/ 627م وغزوة خيبر سنة 7هـ/ 628م[133]، وفي الفتوح والعصر الأموي أصبحت الدولة مسؤولة عن تأمين اللباس للجنود وتوزيع، حيث كان الجنود يرتدون الخوذات، وهي تشبه البيضة على غرار خوذات الدولة الرومانية مع بعض ملامح خوذات أسيا الوسطى، ومن الشائع استخدام السلاسل لحماية الوجه والعنق والخد، إما مركبة مع الخوذة أو سلسلة قلنسوة ضيقة، وفي كثير من الأحيان يغطى الوجه نصفاً بعمامة لتوفير الحماية من الرياح والغبار، إضافة إلى لبس الصنادل الجلدية الثقيلة، وكذلك كان يلبس المسلمون الأحذية الرومانية في وقت مبكر، ووضع حول جسدهم الدرع الملبوس من الجلد المتصلب ذو حجم وقائي، الذي ينتج من اليمن أو ساحل الجزيرة العربية أو العراق، وكانت الدروع المسلسلة هي المفضلة في وقت لاحق خلال غزو الإمبراطوريات المجاورة، التي حصلوا عليها من الغنائم، ولتجنب الصدأ كان يتم صقله وتخزينه في خليط من الغبار والزيت وروث الجمال، وجنود المشاة بشكل عام أكثر تدرعاً من الفرسان، وفي بعض الأحيان لبس الجنود درعين الأول ذو السلاسل والثاني أصغر وهو مصنوع من الجلد والقماش، واستخدم أيضاً

131 - البلاذري: فتوح، ص67.

132 - المعافر هي من همذان وإليهم تنسب الثياب المعافرية، ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص590.

133 - ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص331.

الدروع اليدوية المصنوعة من الخشب أو القش والمغطاة بجلد الجمال أو البقر، وخلال فتوح الشام استخدمت دروع من جلد الفيل على نطاق واسع وربما استولى عليها المسلمون من الغنائم، واستخدم التجفاف وهو ألة حربية من الحديد ليلبسها الفرس ليقيه في الحرب[134]، ولم يشجع العرب المسلمين على ممارسة الترف من أي نوع في الملابس، وإنما مع انتقالهم خارج الجزيرة العربية شرع الأمويين في تجاهل حياة التقشف التي اتبعها الأولون متأثرين بشكل واضح بالثقافة الامبراطورية التي سادت في البلاط الروماني و القصور الفارسية، ولقد ذكر أن هشام بن عبد الملك أول الخلفاء الذين ارتدوا ثياباً مزركشة ومطرزة بالزخارف التي صنعت خصيصاً له.

عاشراً: البحرية العربية الإسلامية

شكل الانتصار الحاسم الذي أحرزته الجيوش العربية الإسلامية على الروم في معركة اليرموك نقطة تحول مهمة في حركة الفتوح أدت إلى انهيار قوى الروم وانفصال الشام عن جسم الإمبراطورية الرومية، وأخذت مدن بلاد الشام تتساقط سريعاً، ثم توجه المسلمون إلى فتح مدن الساحل الشامي كصيدا وبيروت وجبيل وعرقة واللاذقية وأنطرسوس(طرطوس)[135]، ومن ثم أنطاكية شمالاً وحتى برقة غرباً، وبعد هذه السيطرة على الكثير من المدن الساحلية كان من الطبيعي حدوث صراع بحري بين المسلمين(الذين يعتمدون اعتماداً وثيقاً على المعارك البرية) والروم(المتفوقين في الحروب البحرية)، فعمد الخليفة عمر بن الخطاب لانتهاج

[134] - إبراهيم،(رجب): المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم، دار المعارف العربية، القاهرة، د.ت، ج1، ص113.

[135] – العبادي؛ سالم،(أحمد مختار؛ عبد العزيز): تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981م، ص164.

سياسة بحرية دفاعية معتمداً في ذلك على وسائل برية، تتجلى بترميم القلاع والمفارز والمراقب والمسالح الممتدة على جانب الساحل وشحنها بالمقاتلة والمرابطة[136]، وأصبحت سواحل الشام سلسلة متصلة من التحصينات ترابط فيها مجموعات، وكل مجموعة تتألف من مئة رجل، وهذه التحصينات مزودة في أعلاها بمواقيد يشعلها الحراس عند اقتراب الأعداء ليلاً، وظل العرب يعتمدون هذه السياسة إلى أن تهيأ لهم تثبيت أقدامهم في الشام ومصر، فتطلعوا إلى مجاراة الروميين في سياستهم البحرية الهجومية وبدأوا يؤسسون القوة البحرية العربية الإسلامية[137]، وأصبحت الحاجة ماسة إلى تكوين أسطول بحري وذلك للسيطرة على جزر البحر المتوسط الشرقي، لذلك أمر معاوية بن أبي سفيان– وكان والياً على الشام– بغزو جزيرة قبرص سنة28هـ/648م، وكانت هذه أول غزو للعرب في البحر، ثم أرسل في سنة 33هـ/653م بجيش عدته 12000 مقاتل من أهل الديوان لتعريبها، وعندما عزم معاوية بن أبي سفيان على إنشاء أسطول بحري إسلامي كان يعلم أن بإمكانه تحقيق ذلك، فالأخشاب متوفرة في مصر والشام؛ فأشجار الصنوبر والأرز والبلوط تزخر بها جبال لبنان وسوريا لصناعة السفن، كما أن أخشاب السنط المصرية صالحة لعمل الصواري وضلوع السفن[138]، كذلك يتوفر معدن الحديد في مصر والشام لصناعة المراسي والمسامير والكلاليب، بالإضافة إلى توفر الأيدي العاملة الخبيرة في صنع السفن والتي تقطن السواحل.

---

[136] - البلاذري: فتوح البلدان، ج1،ص152.

[137] – العبادي، سالم: تاريخ البحرية، ص15.

[138] – لوكاس،(ألفريد): المواد والصناعات عند قدماء المصريين، تر: زكي اسكندر، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص707.

وبعد انتصار العرب على الروم في الاسكندرية برزت لدى بعض القادة العرب فكرة السياسة البحرية الدفاعية وأن مقتضيات الأمور تتطلب بناء أسطول عربي في البحر المتوسط للرد على الروم الغائلة وهي في عرض المياه قبل وصولها ومفاجأتها للسواحل[139]، ثم كان الفضل في دفع العرب نحو التوسع البحري على يد معاوية بن أبي سفيان، وتولى قيادة أسطول بحري كبير عبد الله بن سعد مستهدفاً مهاجمة الدولة الرومية في أراضيها، وكان أسطولها 5000 سفينة، وحدثت معركة ذات الصواري في منطقة ليكيا على ساحل آسيا الصغرى سنة 35هـ/655م، وانتهت بانتصار حاسم للعرب[140]، ثم قام جنادة بن أمية الأزدي[141] بفتح رودس[142] سنة 52هـ/672م ثم جزيرة أرواد[143] سنة 54هـ/674م وجزيرة أقريطيش(كريت) وتهيأ بعد ذلك لمهاجمة القسطنطينية، واستمر العرب في التوسع البحري؛ وقد استكمل موسى بن نصير[144] إنشاء صناعة السفن في تونس،

---

[139] – العدوي،(إبراهيم): الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1957م، ص7.

[140] - الطبري: تاريخ، ج5، ص70.

[141]– قائد بحري، صحابي، من كبار الغزاة في العصر الأموي، كان قائد غزوات البحر أيام معاوية كلها، توفي في الشام سنة80هـ/ 699م، الزركلي: الأعلام، ج2، ص140.

[142]– جزيرة ببلاد الروم، فيها تبنى المراكب البحرية، تقارب الاسكندرية عل ليلة منها في البحر، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص78.

[143] – جزيرة في البحر قرب قسطنطينية غزاها المسلمون وفتحوها سنة 54هـ/674م أيام معاوية بن أبي سفيان، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص162.

[144] – أصله من وادي القرى بالحجاز، كان أبوه على حرس معاوية، فنشأ موسى في دمشق، وولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرص وبنى بها حصوناً، كان على خراج البصرة للحجاج، غزا إفريقيا في عهد عبد العزيز بن مروان، تولى إفريقيا الشمالية وما ورائها من المغرب في عهد الوليد بن عبد الملك ت.97هـ/ 715م، الزركلي: الأعلام، ج7، ص330.

وتابع ولاة العرب تلك الاستراتيجية البحرية الهجومية واستمروا في غزو جزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط حتى غدا بحيرة عربية[145].

-أنواع العتاد الحربي البحري العربي الإسلامي وتطوره عبر الأزمنة:

*- **الشلنديات:** من المراكب المسطحة، وتختص بحمل العتاد والرجال[146].

*-**الشواني:** مفردها شونة، سفن كبيرة بها أبراج كبيرة، وبها آلات الدفاع والهجوم، وهي أهم القطع التي

يتألف منها الأسطول في الدول الإسلامية[147].

*-**شيني:** سفينة حربية كبيرة[148].

*-**الطرادات:** سفن صغيرة قوية سريعة، تحمل الواحدة منها نحو مائة فارس[149].

*-**العشاريات:** قوارب نهرية تستخدم في الغزوات البحرية[150].

***البطس:** وهي المراكب الكبيرة(الأسطول)[151].

---

[145] – العبادي؛ سالم: تاريخ البحرية، ص56.

[146] – العبادي؛ سالم: تاريخ البحرية، ص35؛ ماجد،(عبد المنعم): نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1905م، ج1، ص222.

[147] – العبادي؛ سالم: تاريخ البحرية، ص136؛ دياب، (صابر محمد): سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي،ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1973م، ص107.

[148] – الكيلاني: مصطلحات، ص51.

[149] – العبادي؛ سالم: تاريخ البحرية، ص135.

[150] – دياب: سياسة الدول، ص108.

[151] – الكيلاني: مصطلحات، ص36.

*–**الحراقات:** تلي الشواني في الضخامة، تحمل منجنيقات وغيرها من معدات الهجوم، وفيها مرامي نيران يرمى بها العدو من البحر[152].

حادي عشر: أخلاقيات الحرب في الإسلام

لم يشرع الإسلام القتال إلا لحماية العقيدة وحرية الفكر، وحماية الضعفاء من الطغيان[153]، وفي الوقت نفسه حرم الحرب في صورها الأخرى، باستثناء الدفاع الشرعي ٹ ڈ چ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں چ[154]، ولهذا قيل أن الحرب في الإسلام هي حرب دفاعية، لأنها حرب ضد الكفار، والمرتدين، والباغين، ومثيري الفتن، ودعاة الانفصال، ولحماية المرافئ والثغور[155]، وبمقتضى هذه القواعد لا يمكن أن تكون الحرب في الإسلام لغير الدفاع، ولا يمكن أن يكون القتال لأجل مخالفة دينية، أو لحمل الناس على الإسلام، وإنما لدفع الاعتداء عن النفس والمحرمات الدينية، ومنع الفتنة في الدين[156]، وحاول الإسلام تضييق نطاق الحروب ما أمكن، فحرم حروب التشفي والانتقام للإساءات الأدبية لقوله تعالى: چ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ې ې ۉ ۉ □ □ □

---

152 – دياب: سياسة الدول، ص109؛ الكيلاني: مصطلحات، ص42.

153 – القرطبي،(محمد بن أحمد ت.671هـ/ 1272م): الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني؛ إبراهيم أطفيش، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ج3، ص17.

154 – القرآن كريم: سورة البقرة، الآية 194.

155 – الفتلاوي،(سهيل حسن): تسوية المنازعات الدولية، دار القادسية، بغداد، 1985م، ص262.

156 – الشيباني: السبر الكبير، ج1، ص62.

چ[157]، كما أنكر الإسلام حروب التخريب والتدمير، واستنكر حروب التنافس بين الأمم في مجال علو المكانة والجاه والفخامة يقول تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ[158]، أي أعلى مكانة وأكثر جمعاً وأوسع جاهاً، لكن إن وقعت الحرب كان على قائد الجيش ألا يبادر أعدائه في القتال حتى يدعوهم إلى خصال ثلاث، كما وردت في الحديث الشريف، فمن وصايا النبي ﷺ لقادة السرايا أو جيوش المسلمين" وإذا لقيت عدوك من المشركين فأعدهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، فأدعوهم إلى الإسلام، فإن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فلهم مالكم وعليهم ما عليكم، فإن أبوا فأدعوهم إلى الجزية يعطونكم عن يد وهم صاغرون، فإن أبوا فقاتلوهم حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين"[159]، ولا يجوز في الإسلام أن يبدأ الحرب بالمفاجآت ولو كانت دفاعية، فأوجب الفقهاء على قائد جيش المسلمين إذا ما دعا أعداءه إلى الإسلام أو العهد ودفع الجزية، ألا يحارب فور ذلك، بل ينذرهم إنذاراً متكرراً ولمدة ثلاثة أيام، وقد ذهب السرخسي ت.483هـ/1090م أنه يحسن ألا يقاتلهم فور الدعوة والسكوت، بل يبيتهم، أي يتركهم يبيتون ليلة على الأقل يتفكرون ويتدبرون ما فيه مصلحتهم[160]، وقد سبق الإسلام جميع الأديان والدول والقواعد في هذا المجال، وهذه المهلة –أي أربع

---

[157] – القرآن كريم: سورة المائدة، الآية 2.

[158] –القرآن كريم: سورة النحل، الآية92.

[159] – مسلم ،(بن الحجاج أبو الحسن ت. 261هـ/ 874م): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1956م، ج3،ص1357.

[160] – السرخسي: المبسوط ، ج10، ص6.

وعشرين ساعة– بين الأخطار وبدء الحرب، اقترحتها الحكومة الهولندية في مؤتمر لاهاي سنة 1907م، ورفضت بقية الدول الأخذ بها[161]، وقد تشدد فقهاء الإسلام في هذه المسألة، فجعلوا جزاء قائد المسلمين الذي يبدأ القتال قبل الإنذار والدعوة إلى إحدى الخصال الثلاث، وقتل من الأعداء، ضمان ديات نفوسهم، وتعويض ما يتلف من الأموال، وقد ذهب الإمام الشافعي إلى أن دية الواحد منهم في هذه الحالة مثل دية المسلم[162]، كذلك إذا كان بينهم وبين دولة أو جماعة عهد أو معاهدة، وبدا من هؤلاء ما يشير إلى الخيانة ونقض المعاهدة والموادعة، فلا يجوز محاربتهم إلا بعد نبذ عهدهم وإخطارهم بانتهاء مدة الموادعة، استناداً إلى قوله تعالى: چ ﮒ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ چ[163]، كما التزم الإسلام بقواعد الشرف والإنسانية ضد خصومه المنهزمين في المعارك، فلم يتعرض للأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، وعامل الأسرى بمنتهى الإنسانية، كما لقي جرحى الأعداء نفس العناية التي لقيها جرحى المسلمين[164].

الخاتمة:

الحرب حالة بلا شك حالة مؤلمة ومدمرة للإنسانية ولكنها في الإسلام ضرورة عندما تكون لاستعادة حق مغتصب واسترجاع كرامة مهدورة، أو الدفاع عن تراب الأمة وسيادتها أو ردّ اعتداء يقع على الوطن، هذا وإن السلام في مبادئ

---

[161] – النواوي،(عبد الخالق): العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م، ص115.

[162] – الماوردي،(علي بن محمد ت.450ه/ 1058م): الأحكام السلطانية ، تح: أحمد المبارك، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م، ص73.

[163] – القرآن كريم: سورة الأنفال، الآية58.

[164] – الواقدي: المغازي، ص89.

الإسلام أعمق من أن يكون مجرد رغبة يدعوا إلى تحقيقها في الحياة، وإنما هو أصل في عقيدته وعنصر من عناصر تربيته، وهدف يعمق الإحساس به في ضمير الفرد وفي واقع المجتمع وفي بناء الأمة، وإن الفكرة تعتبر الحياة وحدة إنسانية غايتها التعارف والتعاون بين الجميع، لا صراعاً بين الطبقات ولا حرباً بين الشعوب ولا عداوة بين الأجناس، والإنسان في نظر الإسلام مخلوق كريم، ويهدف إلى تحقيق كرامته في الحياة بصرف النظر عن دينه وجنسه ولونه، فمنحه حق الحياة الحرة الكريمة، ففرض لكل جاهل أن يتعلم، ولكل محتاج أن يعان، ولكل مريض أن يداوى، ولكا خائف أن يؤمن، وصان ماله وعرضه ومسكنه، وحرم دمه أن يسفكٹ ڈ چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ چ[165]، وعظم من حرمة النفس البشرية واعتبر النفوس كلها واحدة من اعتدى على إحداها فكأنما اعتدى عليها جميعاً، ٹ ٹ چ پ پ پ پ ٹ ٹ ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ چ

ويستخلص من هذه الدراسة عدداً من النتائج والملاحظات وهي:

-لم يكن سكان البلاد المفتوحة بكل فئاتهم يتمتعون بمثل هذا الأمن والاستقرار الذي تمتعوا به بعد مجيء الاسلام وقد عانوا الكثير أثناء حكم الدواتين الرومية والفارسية.

-لم يكن الإسلام دين حرب بل دين دبلوماسية، فالهدف الأول والأخير هو نشر الدين الإسلامي، والدليل على ذلك أن الدعوة بدأت بإرسال الرسائل، وفي بداية كل معركة كانت توضع مبادئ للتنفيذ(الإسلام- الجزية- الحرب).

[165] – القرآن كريم: سورة الإسراء، الآية33.

– إن للحرب قوانينها المعروفة وقواعدها الراسخة ومبادئها الثابتة وقد خاضت قوات العرب المسلمين– قيادة ومقاتلين– حروبها وفق قواعد ثابتة وواضحة ومنها:(إعطاء الأفضلية لمسرح العمليات وتسلسل عمليات الفتح– الانطلاق من قواعد قوية ومأمونة– المباغتة– الحفاظ على الهدف– وحدة القيادة– كفاءة أفراد القيادة– التموين من مؤونة العدو نفسه– الحرب النفسية– التسليح– الروح المعنوية للمقاتلين)

–لم يتغلب المسلمين بقوة جيوشهم فقط، بل تغلبوا كذلك بقوة إيمانهم، فكان النصر يأخذ أماكن متعددة ومختلفة غير نصر ساحة المعركة، وإنما كان النصر الحقيقي في كسب تلك الأعداد الهائلة واعتناقهم الإسلام.

– خروج العرب بشكل عام من حالة التمزق والضعف، لتظهر لأول مرة دولة تعرف باسم الدولة العربية الإسلامية تمتد من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً.

وبسبب الانتكاسات العسكرية المتلاحقة التي منيت بها هذه الأمة، كان لا بدّ من الكتاب العرب المحدثين من تزايد اهتمامهم بالشؤون العسكرية، وإصدار كتب غير قليلة تظهر وضعية الجيوش العربية الإسلامية عبر التاريخ، والتركيز على الانتصارات التي تحققت بفضل كفايتها في التدريب والتنظيم واستعمال

السلاح وتقدمها على الجيوش البيزنطية والفرسية والصليبية، وقدرة العرب على صناعة الأسلحة الفعالة، وتهدف هذه الدراسات النبيلة والنابعة من الواقع القومي للأمة العربية، هي دعوة العرب في الوقت الحالي كما فعل السلف الصالح لتوحيد الجيوش ومركزية القرار وصناعة الأسلحة المتنوعة والتدريب المستمر والجاهزية القتالية العالية ورفع المعنويات للتخلص من الاستعمار بكافة أشكاله ومن الاستيطان العسكري الصهيوني، وما الشدائد إلا مقدمات النصر، وما البلاء إلا تمهيد التمكين، وإنما النصر صبر ساعة.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

-المصادر:

- ابن الأثير،(المبارك بن محمد ت.606هـ/1209م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوى؛ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ، بيروت، 1979م.
-ابن الأثير،(علي بن أبي الكرم محمد ت. 630هـ/ 1232م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض ؛ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1994 م.
- الأعشى،(ميمون بن قيس ت.7هـ/ 629م): ديوان الأعشى الكبير، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م.
- البلاذري،(أحمد بن يحي ت.279هـ/892م): فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، 1988م.
- الحموي،(ياقوت بن عبد الله ت.626هـ/1228م): معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.
- حنبل،(أحمد بن محمد ت.241هـ/ 855م): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ؛ عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، 2001م.
- الخنساء،(تماضر بنت عمرو ت. 24هـ/645م): ديوان الخنساء، اعتنى بشرحه حمدو طماس، دار صادر، بيروت، 1985م.
- ابن خياط:(خليفة ت240هـ/854م): تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، ط2، دمشق، 1976م.
- الدينوري،(أحمد بن داود ت.282هـ/ 895م): الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي ، ط1،القاهرة، 1960م.
- الذهبي،(محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م): تاريخ الإسلام، تح: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

- _____: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985م.
- ابن رشيق،(الحسن ت.456هـ/ 1063م): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مطبعة مصر، القاهرة، 1907م.
- الزبيدي،(محمّد بن محمّد ت.1205هـ/ 1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، 1965م.
- الزردكاش،(ابن أرنبغا ت.867هـ/ 1462م): الأنيق في المناجيق، تح: إحسان هندي، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1985م.
- ابن أبي زرع الفاسي،(علي بن محمد ت.726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المنصور للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 1972م.
- سبط ابن الجوزي،(يوسف بن قزا أوغلي ت.654هـ/1256م): مرآة الزمان في تواريخ الأعوان، تح: محمد بركات، الرسالة العالمية، بيروت، د.ت.
- السرخسي،(محمد بن أحمد ت.483هـ/1090م): المبسوط ، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- ابن سلام،(القاسم ت. 224هـ/ 838م): الأموال، تح: حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985م.
- الشيباني،(محمد بن الحسن ت.189هـ/804م): السير الكبير، بشرح الأمام محمد بن أحمد السرخسي ت.483هـ/ 1090م: تح: محمد حسن الشافعي، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1958م.
- الطبري،(محمد بن جرير ت.310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط3، بيروت، 1987م.
- _____: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1،القاهرة، 2001م.
- الطرسوسي،(مرضي بن علي ت. 589هـ/1193م): تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، تح: كلود كاهين، الدراسات الشرقية، بيروت، 1948م.

-ابن عبد الحكيم،(عبد الرحمن بن عبد الله ت.257هـ/870م): فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت،1996م.
- ابن العديم،(عمر بن أحمد ت.660هـ/ 1262م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1988م.
- ابن عذاري،(محمد بن محمد ت.695هـ/ 1295م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ومراجعة: ج س كولان؛ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- العسقلاني،(أحمد بن علي ت.852هـ/1453م): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: براز أبي حيان، دار الفجر للتراث،ط1، القاهرة، 1996م.
-ابن غانم الرياشي،(إبراهيم بن عز ت. 1198هـ/ 1783م): العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، تح: إحسان هندي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، د.ت.
-قدامة،(بن جعفر بن قدامة ت.337هـ/ 948م): الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، ط1، بغداد،1981م.
- ابن قدامة،(عبد الله أحمد بن أحمد ت.630هـ/ 1232م): المغني، تح: عبد المحسن التركي؛ عبد الفتاح الحلو، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض،1981م.
- القرطبي،(محمد بن أحمد ت.671هـ/ 1272م): الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني؛ إبراهيم أطفيش، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
-القلقشندي،(أحمد بن علي ت.821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحها وعلق عليها: محمد حسين شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- ابن كثير،(إسماعيل بن عمر ت.774هـ/1372م): الفصول في سيرة الرسول، تح: محمد العيد الخطراوي؛ محي الدين مستو، ط3، مؤسسة علوم القرآن ، سورية، 1981م.
- الكندي،(يعقوب بن إسحاق ت. 256هـ/873م): رسالة الكندي في عمل السيوف، تحقيق: فيصل دبدوب، مطبعة العاني، العراق، 1962م.
- ابن ماكولا،(علي بن هبة الله ت. 475هـ/ 1082م): الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1990م.

- الماوردي،(علي بن محمد ت.450هـ/ 1058م): الأحكام السلطانية ، تح: أحمد المبارك، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.
- مسلم،(ابن الحجاج ت.261هـ/874م): صحيح مسلم، دار السلام، ط2،الرياض، 2000م.
-المقريزي،(أحمد بن علي ت.845هـ/1441م): إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م.
-_____: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1956م.
-ابن منظور،(محمد بن مكرم ت.711هـ/1311م): لسان العرب، ط3، دار صادر ،بيروت، 1993م.
-النمري،(يوسف بن عبد الله ت. 463هـ/ 1070م): الدرر في اختصار المغازي والسير، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1982م.
- النويري،(محمد بن قاسم ت.بعد775هـ/1382م): الأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية، تحقيق: عزيز عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، د.ت.
- ابن هشام،(عبد الملك ت.213هـ/ 828م): السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الخير، دمشق،ط5، 2004م.
-الواقدي،(محمد بن عمر ت.207هـ/ 822م): المغازي، تح: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط3، بيروت،1989م.

-المراجع:

-برو،(توفيق): التاريخ السياسي والحضاري العباسي والأندلسي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، حلب، 2005م.

-حسن،(حسن إبراهيم): تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م.

- أبو خليل، (شوقي): أطلس السيرة النبوية، دار الفكر، ط1،دمشق، 2002م.

- _____ : في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1991م، ص283.

- _____ : الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق، 2002م،

- خماش،(نجدة): الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق،1988م.

- دياب ،(صابر محمد): سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي،ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1973م.

- الزركلي،(خير الدين): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م.

- زيدان،(جرجي): تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة: حسين مؤنس، دار الهلال، ط1، القاهرة، 1968م.

- العبادي؛ سالم،(أحمد مختار؛ عبد العزيز): تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981م.

- عبد الصمد،(واضح): الصناعات الحرفية عند العرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م.

- العدوي،(إبراهيم): الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، ط1، دار نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1957م.

- عطوان،(حسين): الجغرافية التاريخية لبلاد الشام، دار الجيل، ط1، بيروت، 1987م.

-علي،(آزاد): البنية النظرية لكتاب الأنيق في المناجيق، مجلة دراسات تاريخية، العدد 33، دمشق، 1989م، ص146-152.

- علي،(جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 2001م.

-عون،(عبد الرؤوف): الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- الفتلاوي،(سهيل حسن): تسوية المنازعات الدولية، دار القادسية، بغداد، 1985م.

- القرغولي،(جهادية): العقلية العربية في التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986م.

- الكيلاني،(ابراهيم): مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الأيوبي والمملوكي والعثماني، التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب،العدد49، دمشق، 1992م، ص33-63.

- لوكاس،(ألفريد): المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة: زكي اسكندر، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.

- ماجد،(عبد المنعم): نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1905م.

- مادون،(محمد علي): مسيرة خالد أو الدرب المفقود، مطبعة الشؤون الدينية،ط1، قطر،1982م.

- مجموعة من المؤلفين، نقلها: أبو سعيد المصري: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، دار أسامة للنشر، عمان، 2009م.

- مسعود،(جبران): الرائد، دار العلم للملايين، ط7، بيروت، 1992م .

- مصطفى؛ الزيات؛ عبد القادر؛ النجار،(إبراهيم؛ أحمد؛ حامد؛ محمد)(مجمع اللغة العربية): المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت.
- المقداد،(محمود): الموالي ونظام الموالاة، دار الفكر، دمشق، 1988م.
- النواوي،(عبد الخالق): العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م.

قراءة نقدية لمفهوميّ الوجود والعدم عند سارتر

الدكتور حسَّان محمد علي*

*عضو الهيئة الفنية ـ قسم الفلسفة ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة تشرين اللاذقية ـ سورية

الملخص

يحاول هذا البحث تقديم قراءة نقدية فلسفية لمفهومي الوجود والعدم عند الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر، وعلاقة هذين المفهومين ببعضهما البعض من جهة، وبغيرهما من المفاهيم التي عالجها سارتر، لما لهذين المفهومين المعاصرين من أهمية فكرية نشأت في إطار الفلسفة المعاصرة عموماً والوجودية خصوصاً، فقد احتل كل من الوجود والعدم المحور الرئيس في الفلسفة الوجودية، وعند سارتر الذي أفرد لهما كتاباً ضخماً يعتبر أساساً في الفهم الوجودي والأنطولوجي لهما، ولهذا يحاول البحث تقديم قراءة تتبعيّة لهذين المفهومين عند سارتر، وكيف تناولهما من الناحية المنهجية فينومينولوجياً، إضافة إلى مدى قربه وبعده عن هيغل وهيدغر اللذين تناولهما بالنقد في كتابه (الوجود والعدم)، فما هي علاقة الوجود باللاوجود؟ وما علاقتهما بالعدم؟ وهل اللاوجود هو عدم عند سارتر؟ ومن ثم ما هو أصل العدم الذي من خلاله سندرك ما هو الوجود على مبدأ تُعرف الأشياء بضدها.

سنحاول في هذا البحث الإجابة على تلك الأسئلة المطروحة وغيرها من الأسئلة التي ستظهر في سياق البحث.

كلمات مفتاحيّة: الوجودية، الوجود، العدم، اللاوجود، الحرية.

A critical reading of Sartre's concepts of Being and Nothingness

Dr. Hassan Mohammad Ali*

* Academic Assistant in Department of Philosophy, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Latakia, Syria

Abstract

This research tries to present a philosophical critical reading of the concepts of Being and Nothingness of the existentialist philosopher Jean-Paul Sartre, and the relationship of these two concepts to each other on the one hand, and to other concepts that Sartre dealt with, because of the intellectual importance of these two contemporary concepts that arose within the framework of contemporary philosophy in general and existentialism in particular. Existence and non-existence are the main axis in existential philosophy, and for Sartre, who devoted a huge book to them that is considered the basis for the existential and ontological understanding of them, That is why the research tries to provide a sequential reading of these two concepts of Sartre, and how he dealt with them methodological and phenomenological, in addition to the extent of his closeness and distance from Hegel and Heidegger, who dealt with criticism in his book (Being and Nothingness), so what is the relationship of Being with non- Being? And what is their relationship to nothingness? Is non- Being a Nothingness when Sartre? And then what is the origin of non- Being through which we will realize what existence is based on a principle that Things are known by their opposite.

In this research, we will try to answer these questions and other questions that will arise in the course of the research.

Key words: Existentialism - Being – Nothingness - Nonbeing – Negation

1. المقدمة:

لقد حاول سارتر أن يقدم في كتابه (الوجود والعدم) تحليلات فينومينولوجية، محاولاً من خلالها الإجابة عن سؤال ما الوجود؟ ما العدم؟ ومن ثم تقديم محاولة لتعريف الوجود وتعريف العدم، مستخدماً في ذلك منهجاً فينومينولوجياً، امتلك مقدماته من الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل*، وقد تناول في القسم الأول من كتابه آنف الذكر مشكلة العدم وأصله، وتجلياته في الوجود، مع محاولة تقصي ماهيته الخاصة، وهذا ما أنتج عند سارتر السؤال التالي: هل العدم موجود؟ وفي حال كونه موجوداً؛ أي له نصيبٌ في الوجود، فما هو تأصيله الأنطولوجي؟ ومن ثم سيقوده هذا إلى سؤال جديد هل الوجود سابق على العدم أم العكس؟ وبالتالي ما العلاقة بينهما؟ وبعد تحليلات فينومينولوجية معمقة للعدم وأصله يصل سارتر إلى أن العدم ليس موجوداً في الوجود في ذاته وإنما هو موجود في الوجود لذاته، ويمارس عدمه انطلاقاً من السلب، وهنا لا بد لنا من توضيح أن سارتر قد أحال الوجود إلى نوعين أولهما: الوجود في ذاته وهو الوجود العام، أما الثاني: فهو الوجود لذاته ويقصد به الوجود الإنساني أو الواقع الإنساني المعيش.

وانطلاقاً من ذلك حاولنا في بحثنا تناول هذين المفهومين عند سارتر، وخصوصاً أن هذين المفهومين لهما الصدى الكبير في تاريخ الفلسفة عموماً، لذلك انصب اهتمامنا على تبيان مدى عمق فهم سارتر لهما، وخاصة في مناقشته لكل من هيغل وهيدغر، ومحاولته الميل نحو أحدهما دون الآخر، فهل كان سارتر موفقاً في تحليلاته؟ لقد حاولنا إظهار إخفاقه في أماكن محددة ونجاحه في أماكن أخرى، مع علمنا أن كلاً من هيغل وهيدغر

* إدموند هوسرل (1859–1938) فيلسوف ألماني ومؤسس لعلم الظواهر (الفينومينولوجيا)، أنظر: مجموعة من المؤلفين، د.ت ــ الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمها فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق، دار القلم ــ بيروت، ص509

قد أثرا تأثيراً واضحاً في فكر سارتر وفي تبلور فلسفته الوجودية، وخصوصاً أنه قد استفاد بشكل كبير من مناقشته لهما فيما يتعلق بهذين المفهومين.

2. مشكلة البحث:

يطرح هذا البحث مشكلة أساسية في الفلسفة وهي كيفية القراءة المعاصرة للمصطلح الفلسفي، وخصوصاً مصطلحي الوجود والعدم، ولهذا نحاول تقديم قراءة مختلفة حول هذين المصطلحين ضمن مناقشة سارتر لهما في كتابه (الوجود والعدم)

3. أهميّة البحث وأهدافه:

3.1. أهميّة البحث:

تأتي أهمية البحث من كونه يطرح مناقشة أهم مفهومين في الفلسفة عند أحد أهم الفلاسفة المعاصرين والذي يندرج ضمن مذهب أو تيار الوجودية، حيث إن هذين المفهومين شديدي التعقيد في الفهم، لذلك فإن مناقشتهما ربما تفتح الآفاق أمام تسهيل فهمهما، بوصفهما مفهومين مؤسسين لمجمل الفلسفة

3.2. أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة مفهومي الوجود والعدم ضمن السياق الفلسفي السارتري للمفهومين، وخصوصاً في كتابه (الوجود والعدم)، ومقارنة هذين المفهومين مع مثليهما عند هيغل وهيدغر، إضافة إلى مناقشتهما ونقدهما كما وردا عند سارتر.

4. مصطلحات البحث:

- الوجود* Being:

الوجود مقابل العدم...وإذا أردنا توضيح معنى الوجود نستطيع أن نميزه عن غيره بما يلي: أن الوجود هو كون الشيء حاصلاً في نفسه... أن الوجود هو كون الشيء حاصلاً في التجربة...أن الوجود هو الحقيقة الواقعية الدائمة... أن الوجود هو الوجود

* صليبا، جميل، 1385هـ ـ المعجم الفلسفي، ج2، ط1، منشورات ذوي القربى ـ قم، ص558-559

الحقيقي أو الواقعي...إن الوجود ينقسم إلى وجود خارجي ووجود ذهني... الوجود مقابل الماهية.

- العدم** Nothingness :

العدم ضد الوجود، وهو مطلق أو إضافي، فالعدم المطلق هو الذي لا يضاف إلى شيء، والعدم الإضافي ...هو المضاف إلى شيء.

- اللاوجود*** Nonbeing:

اللاوجود هو جزء من البنية الأساسية للوجود، ومن خلاله يستطيع العدم أن يهدد الوجود، وهذا اللاوجود عند هيدغر هو الموت، أما عند سارتر فهو حالة من حالات الوجود.

5.الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت مفهومي الوجود والعدم عند سارتر، إما بشكل منفرد كمفهوم، أو بشكل عام كفلسفة، وما يميز دراستنا عن تلك الدراسات هو خصوصيتها؛ فهي تناولت فقط مفهومين أساسيين بالنقد والتتبع في كتابه (الوجود والعدم) دون التطرق إلى فلسفته بشكل عام، مع التركيز على جوانب مختلفة من النقد لم نجدها في أي من الدراسات الأخرى، مع الإشارة إلى أن هناك العديد من الدراسات التي تناولت سارتر نذكر منها لقربها من بحثنا:

- كتاب (قراءة نقدية في وجودية سارتر) للدكتور علي محمود، حيث يتحدث فيه عن مجمل فلسفة سارتر

** المرجع السابق، ص64

*** الباحث

- رسالة ماجستير عنوانها:(مشكلة الوجود عند جان بول سارتر) للباحثة سهيلة بوقرة، في جامعة محمد بوضياف في الجزائر تناولت فيها الوجود كمشكلة بين ما هو أنطولوجي وما هو ميتافيزيقي، من دون إعطاء تبيان واضح حول الوجود والعدم.
- مقالة بعنوان (النقد الوجودي عند سارتر)، للباحثة أسماء بن عاشور في مجلة الآداب العدد 14 تناولت فيه نقد وجودية سارتر في كتابه الوجودية نزعة إنسانية.

6. منهج البحث:

من الصعب على الباحث أن يضع منهجاً للبحث بشكل كامل ومنظم، لذلك فقد حاولنا في هذه الدراسة أن نستخدم منهجا: التحليل النصي تارةً، والتحليل المقارن تارةً أخرى، وذلك بهدف وضع النصوص والمفاهيم الفلسفيّة المرتبطة بالبحث تحت عدسة التحليل، محاولين بذلك إعادة قراءتها وإنتاجها وبنائها ضمن قالب جديد، واستخراج الدلالات الجديدة التي انطوت عليها في سياق فلسفي مختلف.

7. الوجود واللاوجود:

لقد نحى سارتر في كتابه (الوجود والعدم) منحًى مختلفاً عن كل من كيركيغارد وهيدغر، فيما يتعلق بفهم الوجود، إذ يقول: «في كل سؤال نحن نجد أنفسنا حيال موجود نُسائله، فكل سؤال يفترض إذن موجوداً يسأل، وموجوداً يُسأل... ومن ناحية أخرى، فإننا نسائل الموجود المسؤول عن شيء ما. وما أُسائل عنه الوجود يشارك في علو الوجود. إني أسائل الوجود عن أحوال الوجود أو عن وجوده. ومن هذه الناحية فإن السؤال نوع من الترقب: فإنني أرقب جواباً من الموجود المسؤول ... [أي أنني] أترقب من هذا الموجود كاشفاً لوجوده أو لحال وجوده. وسيكون الجواب بنعم أو لا. ووجود هاتين الإمكانيتين الموضوعيتين المتناقضتين هو الذي يميز .... سؤال الإثبات أو سؤال النفي» [1] .

(1) سارتر، جان بول، 1966م ــ الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الآداب ــ بيروت،ط1، ص51-52

إن مناقشة هذا النص تحيلنا إلى أن ليس كل سؤال يفترض موجوداً يَسأل وموجوداً يُسأل؛ لأننا قد نسأل أنفسنا، فيكون السائل والمسؤول واحداً، كما أنه في حالة مساءلة الموجود عن شيء ما، فإما أن يكون هذا الموجود شخصاً آخر مثلنا، وإما شيئاً آخر، وفي الحالتين فإن المُساءلة تدل على جهل؛ لأن معرفة الشخص الآخر عن الشيء المسؤول عنه قد لا تزيد على معرفتنا عنه، والشيء الآخر الذي نسأله لا يجيبنا. وهذا يعني أن المساءلة يجب أن تكون لأنفسنا.

من جهة أخرى فإن مُساءلة الموجود عن أحوال الوجود تدل على جهل؛ لأن الموجود الذي أسأله إما أن يكون في نطاق خبرتنا، أو مماثلاً لموضوعات المُساءلة، وفي هذه الحالة فإن أحواله تكون مدركة من قِبلنا، وما من داعٍ للسؤال عنها، وإما أن يكون خارج نطاق خبرتنا، وغير مماثلٍ لموضوعاتها، وفي هذه الحالة فإن سؤالي عن أحوالهِ لا قيمة له؛ لأن ما يهمني منه هو: هل هو موجود أم غير موجود؟ وفي حال كونه موجوداً فسؤالي هو: هل هو موجود بذاته أم بغيره؟ وفي الحالتين فإن الإجابة اختيار لأحد الاحتمالين بناءً على صلة الموجود بموضوعات خبرتنا، أما بالنسبة إلى إثبات وجود الموجود في نطاق خبرتنا يتم عن طريق ادراكنا له بحواسنا. وإنَّ كونه موجوداً بذاته أو بغيره، فهذا يُثبت كونه مركباً معلولاً أم لا.

ويتابع سارتر كلامه عن المساءلة قائلاً: «يوجد إذاً بالنسبة إلى السائل الامكان الدائم الموضوعي لجواب سلبي، وبالنسبة لهذا الامكان، فإن السائل... لا يعرف ما إذا كان الجواب موجباً أو سالباً. فإن السؤال جسر ملقى بين اللاوجودين: لا وجود المعرفة في الإنسان، وامكان اللاوجود في الوجود العالي. وأخيراً فإن السؤال يتضمن وجود حقيقة.... وبالجملة فإن الحقيقة تُدخل لا وجوداً ثالثاً كمحدد للسؤال، لا وجود التحديد، وهذا اللاوجود المثلث هو شرط في كل مساءلة، وخصوصاً في المساءلة الميتافيزيقية» [1]

(1) المصدر السابق، ص 52-53

ولكن هذه الاشكاليات مصطنعة؛ لأننا نرى أن السائل عن الوجود يجب ألا يسأل إلا نفسه، وأن الاجابة هي اختيار لأحد احتمالين، وأن الخبرة هي منطلقنا لمعرفة الوجود، وأن لا وجود المعرفة لدينا في البداية مرده إلى أننا نولد ونحن لا نعلم شيئاً، ويزول جهلنا بالتعلم والتفكير في الوجود، وأن اللاوجود العالي لا وجود له؛ لأنه لا أساس له في عالم الخبرة، فكل سؤال عن الوجود يمكن أن يُجاب عنه بالتحديد. أما بالنسبة إلى الموضوعات الميتافيزيقية، فإننا لا نستطيع إدراكها، بل نحكم عليها من جهة الموجود من خلال علاقتها بالموضوعات الفيزيقية فقط.

إن عدم المعرفة لا يعني عدم الوجود، فقد يكون موجود لا نعرفه، كما أن عدم الوجود يمكن أن يكون مطلقاً أو إضافياً؛ فلا وجود المطلق لا يمكن أن يوجد، أما الإضافي فيمكن أن يوجد بالنسبة إلى الموجود النسبي، كعدم المعرفة للإنسان، يمكن أن تتحول إلى معرفة ما يمكن أن يُعرف، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإننا لا نستطيع تحديد الوجود إن لم نستطع القول أن خارجه لا يوجد شيء، فليس كل موجود يمكن أن يُشار إليه؛ لأن هناك ظاهرات وموجود بذاته وراءه ـ وفق كانط ـ وهنا سارتر لا يشير إلى أي شيء من هذا، وإنما يرى أن هناك دائماً عنصراً جديداً يتكشف و« يدخل في تأليف الواقع هو اللاوجود. [وهذا العنصر يزيد المسألة تعقيداً] لأنه ليس أمامنا أن نعالج فقط العلاقات بين الوجود الإنساني والوجود ذاته، بل أيضاً العلاقات بين الوجود واللاوجود، والعلاقات بين اللاوجود الإنساني واللاوجود العالي» [1].

إلا أن اللاوجود لا يؤلف الواقع سواءً كان مطلقاً أو إضافياً، وهذا يعني أنه ليس مشكلة واقعية بل إن المشكلة هي العلاقة بين الوجود الإنساني والوجود ذاته، أما العلاقة بين الوجود واللاوجود فمعدومة. فالوجود ذاته هو العالي؛ لأن الإنسان غير موجود بذاته بوصفه مركباً ومعلولاً، وعلة وجوده هو الموجود ذاته الذي يكمن وراءه، وهذا الموجود ذاته هو الوجود ذاته؛ لأنه لا يحتاج إلى موجود آخر ليوجد به، وما سواه بحاجة إليه وموجود

(1) المصدر السابق، ص 53

به، وهو العالي الذي يعلو جميع الموضوعات بطبيعة الحال، فلو كان منها وفيها لأصبح معلولاً مثلها، وبالتالي لم يعد علةً أولى لها.

ويربط سارتر بين اللاوجود والتوقع الإنساني بقوله: «اللاوجود يظهر دائماً في حدود توقع إنساني، فلأني كنت أتوقع أن أجد 1500 فرنك لم أجد غير 1300؛ ولأن الفيزيائي يتوقع تحققاً معيناً للفرض الذي يضعه فإن الطبيعة يمكن أن تقول له: لا. فمن العبث إذن إنكار أن السلب يظهر على الأساس الأولي لعلاقة بين الإنسان والعالم؛ والعالم لا يكشف لا وجودات لمن لم يبدأ فيضعها كإمكانيات. لكن هل معنى هذا أن هذه اللاوجودات ينبغي أن تُرد إلى الذاتية المحض؟ ... نحن لا نعتقد ذلك» [1]، إلا أن التوقع وإن كان صحيحاً، فهذا لا يعني أن اللاوجود هو نتيجة له، فإذا كان حسابي صحيحاً، كان توقعي لما هو موجود في جيبي صحيحاً، وكذلك الفيزيائي، لو أنه قدم فرضاً واقعياً، لكان توقعه لتحققه صحيحاً أيضاً، وهذا يعني أن ظهور السلب على أساس العلاقة بين الإنسان والعالم يعود إلى توقع غير واقعي للذات.

ثم يخلُص سارتر إلى القول: أن «اللاوجود لا يأتي إلى الأشياء بواسطة الحكم السالب، بل على العكس: الحكم السالب هو المشروط والمسنود للاوجود..... فمن الوجود لا يُشتق أبداً السلب. والشرط الضروري لكي يمكن قول (لا) هو أن يكون اللاوجود حضوراً مستمراً، فينا وخارج أنفسنا، وأن يتردد العدم على الوجود»[2]. ويبدو أن قول سارتر بأن الحكم السالب مشروط باللاوجود، يعني بأنه مشروط باللاوجود الذي فينا وبداخلنا، ويأتي قوله اللاحق ليؤكد ذلك، بحيث جعل السلب غير مشتق من الوجود وبالتالي فهو موجود خارجنا، وهنا لا بد لنا من القول: أن اللاوجود واقعي والسلب ذهني، والسلب يعتمد على اللاوجود، وبالتالي لا وجود لعدم في الذات، فما في الذهن هو صورة لما في الواقع، وهذا يعني أن الواقع هو الأصل ، وما في الذهن يعتمد عليه في وجوده؛ لأنه هو السلب بوصفه وجوداً، أي اللاوجود الواقعي، ومن ثم فإن تردد العدم على

(1) المصدر السابق، ص 55

(2) المصدر السابق، ص 61-62

الوجود هو تردد من حيث الأعراض، فيعدِم بعضها ويوجِد بعضها الآخر، سواء بالنسبة إلى الوجود الخارجي أو الوجود الداخلي، على اعتبار أنهما نسبيان، أما من حيث الجواهر فإن ايجادها وإعدامها يتعلق بعلتها الأولى، أي الموجود المطلق بذاته، الذي لا يتردد عليه العدم أبداً، فهو لم ينشأ من العدم، ولا يؤول إلى عدم، على عكس الموجودات الأخرى باعتبارها معلولة له، وموجودة به لا بذاتها.

إن موقف سارتر السابق ينبع من رفضه لثنائيّة القوة والفعل، فكل شيء هو في حالة فعل، وهذا الوجود هو وجود فعلي، لكل ما يمكن أن يكون، ومن ثم فهو ينكر مفهوم القوة الذي جعل منه أرسطو محركاً للوجود، لذلك نجد أن الوجود عند سارتر يحقق نوعاً من التَعَجُّن الداخلي والتكاثف الساكن، و«الواقع أن الوجود معتم بالنسبة إلى ذاته ... إنه ممتلئ بذاته. وهذا ما نعبّر عنه على نحو أفضل فنقول إن الوجود هو ما هو» [1] ولهذا لا يمكن التحدث عن السلب في إطار الوجود في ذاته بوصفه الوجود الذي يمتلئ به العالم ويغلّف الوجود لذاته دون أن ينفصل عنه، وبذلك يكون الوجود لذاته الذي يختزن بجوانيته الشعور هو «أساس كل سلب»[2]، ومن هنا يستخلص سارتر أن رؤية الوجود واللاوجود بوصفهما عنصرين مركبين متكاملين للواقع هو أمر يشد بإغراء نحو فهم ومواجهة العدم « فالوجود الخالص واللاوجود الخالص هما تجريدان اتحادهما وحده سيكون الأساس في الوقائع العينيّة»[3]، فالواقع الفعلي يحتمل الوجود واللاوجود بوصفهما الأساس الحقيقي المجرد لعينيّة كل واقعة، لذلك يمكن الحديث مع بول تيليتش* إلى أن هناك ما يسمى «صدمة اللاوجود التي تجعلنا نتساءل عن وجودنا تساؤلاً أنطولوجياً... ومن خلال تلك الصدمة يكون الوجود لغزاً بوصفه إمكانية اللاوجود، واللاوجود هو أيضاً لغز بوصفه إمكانية الوجود، مما يعني أن سؤال الوجود وسؤال اللاوجود يسيران في حالة

(1) المصدر السابق، ص 43

(2) جوليفيه، ريجيس، 1988م – المذاهب الوجودية، ط1، ترجمة فؤاد كامل، دار الآداب ـ بيروت، ص127

(3) المصدر السابق، ص 63

* بول تيليتش (1886–1965م) فيلسوف ألماني ولاهوتي وجودي له العديد من المؤلفات منها: الشجاعة من أجل الوجود، واللاهوت النسقي، الحب والقوة والعدالة، زعزعة الأساسات....

من التساوق في تفكير الإنسان»[1]، وهنا لا مناص لنا من الذهاب إلى مناقشة سارتر لهيغل الذي يجد أن كل ما هو واقعي حقيقي وكل ما هو حقيقي واقعي[2].

7. بين سارتر وهيغل:

إن التصور الديالكتيكي للعدم والوجود عند هيغل ينطلق من فكرة أن «الوجود هو فراغ مطبق فهو من ثم مرادف للعدم، لأن فكرة العدم هي ببساطة فكرة الخلو من كل تعين»[3]، وهذا ما حاول أن يُعبّر عنه سارتر بقوله: «إذا كانت بداية المنطق هي المباشر، فإننا سنجد إذن البداية في الموجود الذي هو اللاتعيُّن الذي يسبق كل تعين، واللامتعيّن بوصفه نقطة ابتداء مطلقة. لكن الموجود غير المتعين... ينتقل إلى ضده... وتبعاً لذلك السلب المطلق ... هو اللاوجود... فالوجود المحض والعدم المحض هما إذن شيء واحد... ومعنى هذا عينيّاً أنه لا شيء في السماء ولا على الأرض لا يحتوي في ذاته على الوجود والعدم»[4]، لكن ما يقوله هيغل عن الوجود والعدم هنا، يدخل في إطار التصور الكلي؛ أي إن كان ما هو عقلي عنده واقعيّاً وما هو واقعي عقليّاً، مع أن ما هو تصور كلي لا وجود له إلا في ذهن ما، كما أن تصور الوجود ضد تصور اللاوجود، ولا يمكن أن يكون الضدان شيئاً واحداً، ومن جهة أخرى ، فإن تفسير سارتر لقول هيغل، وإن جاء متفقاً معه، فهو لا يتفق مع الواقع؛ لأن الوجود والعدم لا يجتمعان في شيءٍ واحدٍ في وقتٍ واحدٍ ومن جهةٍ واحدة، فنقول مثلاً: إن الإنسان حيٌّ وميتٌ في الوقت نفسه والجهة نفسها! وهنا نرى أن سارتر يوضح قول هيغل المتقدم بقوله: «ما مكّن هيجل من نقل الوجود إلى العدم هو أنه أدخل النفي ضمنيّاً في تعريفه للوجود وهذا مفهوم بنفسهن لأن التعريف، وهيجل يقول: إن كل تحديد أو مضمون يميز الوجود في شيء آخر، ويضع فيه

(1) علي، حسان، 2014م - الوجود في فلسفة بول تيليتش، رسالة ماجستير، جامعة تشرين ـ اللاذقية، ص50

(2) HEGEL, G.W.F,1975- Hegel's logic, 3st ed, trans: William Wallace, clarendon press, Oxford university press, p9

(3) ستيس، ولتر، 1975- فلسفة هيجل، ترجمة إمام عبد الفتح إمام، دار الثقافة للطباعة والنشرـ القاهرة، ص 201

(4) المصدر السابق، ص64- 65

مضموناً، لا يمكّن من المحافظة عليه في صفائهن إنه عدم تحدّد خالص وخواء، ولا يمكن أن ندرك فيه شيئاً»[1]، وانطلاقاً من ذلك، فإن عدم تحديد الوجود هو جهلٌ به، حيث يبدو فيه كل شيء مماثلاً للآخر، معلولاً كان أم علةً، فهل يمكن لنا عد وجود حبة الرمل كوجود الشمس؟ إن عدم التحديد هذا مرده انطلاق هيغل من تصور الوجود بشكل عام، فلو كان انطلاق هيغل من موضوعات الخبرة الخارجية، وميز بين ما هو ظاهرة وما هو موجودٌ بذاته، لما توصل إلى هذه المجموعة من التصورات أو المقولات التي لا تؤدي إلى معرفة الوجود؛ لأن هذه المعرفة يجب أن تنطلق من الوجود، لا من الفكر، فالحسيّات معابر للعقليّات.

إلا أن سارتر بعد ذلك يعتبر أن فكرة السلب ناشئة عند هيغل من خلال التلاعب بالألفاظ لا أكثر، فيقول: «إذا نفيت عن الوجود كل تحديد، وكل مضمون، فلن يكون ذلك إلا بتوكيد أنّه هو... وحينما يكتب هيجل: الوجود والعدم تجريدان خاويان، وأحدهما خاوٍ كالآخر، ينسى أن الخاوي خاوٍ من شيء ما، والوجود خاوٍ من كل تعين... لكن اللاوجود خاوٍ من الوجود. وبالجملة، فما ينبغي أن نذكره هنا ضد هيجل هو أن الوجود هو وأن العدم ليس هو»[2]، وهنا لا بد لنا من القول أننا ولو اتفقنا مع سارتر على أن الوجود ضد العدم، إلا أن سارتر لم يقدم توضيحاً لأي منهما، فلم يميز بين الموجود بذاته والموجود بغيره، وبين العدم المطلق والعدم الإضافي، إلا أنه بانفصاله عن هيغل في هذه النقطة يتفق مع مبدأ عدم التناقض، بينما نجد هيغل يقرر أن كل شيء يحوي ضده في ذاته، كما يحوي الوجود العدم.

وتعقيباً على وجهة نظر هيغل عن الوجود والعدم، يخلص سارتر إلى القول: «إن العدم سيكون متأخراً عنه [الوجود] منطقياً؛ لأنه يفترض الوجود من أجل نفسه،... وليس معنى هذا فقط أن من الواجب أن نرفض وضع الوجود واللاوجود على نفس المستوى، بل وأيضاً أن نحتاط، فلا نضع العدم كهاوية أصلية منها ينبثق الوجود... [وهكذا] يمكن أن

(1) المصدر السابق، ص66- 67

(2) المصدر السابق، ص 67

نقول إن كل سلب تحديد، ومعنى هذا أن الوجود سابق على العدم ويؤسّسه»[1]، وهنا لا مناص من القول أن الوجود سابق على العدم منطقياً، وهذا العدم ليس ضرورة من ضرورات الوجود، أي أن الوجود ليس بحاجة إلى العدم كي يتم إدراكه، وإنما لكي نفهم العدم لا بد من الوجود، لذلك فإن العدم يلاحق الوجود.

وإذا سلمنا مع سارتر بأسبقية الوجود المنطقية على العدم، فإن سارتر لم يوضح قصده بالأسبقية، فإذا كان الوجود خالياً من كل تحديد، فإنه لا يدل على أي موجود محدد، وهذا يعني أنه كالعدم، خالٍ من أي موجود، ولكي تتوضح هذه الأسبقية يجب أن يدل كل منهما على شيء يتصف بصفة محددة تميزه عن الآخر، فإذا قصدنا بالوجود، الوجود المطلق، فإننا لن نستطيع أن نثبت له علاقة بالعدم المطلق؛ لأنه ليس مسبوقاً بعدم، ولا يؤول إلى عدم، وإذا قصدنا الوجود والعدم النسبيين، فستكون العلاقة بينهما ممكنة؛ لأن الوجود النسبي مسبوق بالعدم، ويمكن أن يؤول إليه، ولكن الوجود النسبي ليس بذاته، وإنما بغيره، وإذا لم نثبت الوجود المطلق كعلة أولى له، يبقى من دون تعليل، أما العدم المطلق فلا علة له؛ لأنه لا وجود له، والعدم النسبي فهو معلول للوجود المطلق كالوجود النسبي.

8. أصل العدم:

وفي التساؤل عن أصل العدم يرى سارتر أنه «لكي يكون ثم سلب في العالم، ولكي يكون في وسعنا ـ تبعاً لذلك ـ أن نتساءل عن الوجود فإن من الواجب أن يكون العدم معطى على نحو ما... وإذا كان العدم لا يمكن أن يتصور خارج الوجود ولا ابتداءً من الوجود، وإذا كان لا يستطيع أن يُستخلص، بوصفه لا وجوداً من ذاته القوة اللازمة للانعدام، فمن أين العدم» [2]، إن هذا التساؤل السارتري عن العدم يحتمل بداخله عدة

(1) المصدر السابق، ص 67-68-69

(2) المصدر السابق، ص77 –78

أسئلة من ضمنها هل ينعدم العدم؟ وإن كان كذلك فهذا يعني أنه موجود؟ من ثم ما هي قوة وجوده بوصفه معطى؟ هنا نجد سارتر يجيب على تلك الأسئلة فيقول: «من الواجب أن نصرّح بأن الوجود وحده هو الذي يمكن أن ينعدم، لأنه مهما يكن من شيء فلا بد لما ينعدم أن يوجد أولاً. لكن العدم ليس موجوداً، ... والعدم لا ينعدم. بقي أن يوجد بالضرورة موجود له خاصية أن يعدم العدم، وأن يسنده بوجوده... وجود به العدم يأتي إلى الأشياء»[1]، ولكن إذا كان الوجود يمكن أن ينعدم ، فهذا يعني أن كل الموجودات يمكن أن تنعدم في وقت ما، ولا يبقى هناك وجود، وكذلك ما يمكن أن ينعدم يمكن ألا يوجد، وهذا يقتضي وجود موجود لا ينعدم هو الذي يُخرج الموجودات من العدم إلى الوجود، ويرجعها من الوجود إلى العدم، وهو العلة الأولى لها جميعاً، وهذه العلة يجب ألا تنشأ من عدم، وإلا كانت معلولة كمعلولاتها، ولم تكن علتها الأولى، وبناءً على ذلك، فإن قول سارتر بأن الوجود وحده يمكن أن ينعدم ، ينطبق على الوجود النسبي الذي نشأ من عدم، وانعدامه ليس من ذاته، كما أن وجوده ليس من ذاته، بل بفعل علته الأولى.

ويوضح سارتر موقفه من الوجود الذي به يأتي العدم إلى الأشياء، فيقول: «لكن كيف يجب أن يكون هذا الوجود بالنسبة إلى العدم من أجل أن يعود العدم بواسطته إلى الأشياء؟ يجب أن نلاحظ أولاً أن الوجود الذي ننظر فيه لا يمكن أن يكون سالباً بالنسبة إلى العدم... والعدم لا يمكن أن يأتي إلى هذا الوجود ... إلا بواسطة وجود آخر وهذا يتسلسل بنا إلى غير نهاية. ومن ناحية أخرى فإن الوجود الذي به يأتي العدم إلى العالم لا يمكن أن ينتج العدم مع بقائه غير مكترث بهذا الإنتاج... ولا يمكن أن نتصور أن الموجود ... يخلق خارجاً عنه عدماً لوجودٍ عالٍ »[2]،وهنا لا بد من أن نرى أن أي وجود هو وجود سالب بالنسبة إلى العدم ؛ لأن العدم ضد الوجود، والضدان لا يجتمعان، والعدم لا يأتي إلى الوجود المطلق الموجود بذاته، لأنه لم ينشأ من عدم، ولا يصير إلى عدم،

(1) المصدر السابق، ص78

(2) المصدر السابق، ص 78

ولكن يأتي إلى الوجود النسبي، باعتبار أنه غير موجود بذاته، وهذا يعني أنه مسبوق بالعدم ومصيره إلى العدم،، ولكن يأتي العدم إليه من قبل علته الأولى الموجودة بذاتها، والتي أوجدت معلولاتها من العدم، والتي يمكن لها أن تعدمها متى تشاء؛ لأن ما ليس موجوداً بذاته لا يقدر على إخراج نفسه من العدم إلى الوجود، ولا على إرجاعها من الوجود إلى العدم، وبالتالي فإن التسلسل اللامتناهي للمعلولات غير واقعي؛ لأن هذا التسلسل يمنع وجودها أصلاً، ومن ثم فإن هذا التسلسل ينتهي صعوداً بعلة أولى للمعلولات غير معلومة أو غير مدّركة.

ويرى سارتر أن الإنسان هو الموجود الذي به يأتي العدم إلى العالم فنراه يقول: «إن انبثاق الإنسان وسط الوجود... يجعل العالم ينكشف، لكن اللحظة الجوهرية الأصيلة لهذا الانبثاق هي السلب، وهكذا نكون قد بلغنا الحد الأول لهذه الدراسة، وهو أن الإنسان هو الموجود الذي به يأتي العدم إلى العالم لكن... ماذا ينبغي أن يكون عليه الإنسان في الوجود من أجل أن يأتي العدم إلى الوجود بواسطته؟» [1]، إذن نفهم هنا أن الإنسان بوصفه موجوداً من أجل ذاته قوامه العدم بمعنى « أن الذي يؤسس العدم ليس هو النفي، وإنما للعدم على العكس من ذلك، أساسٌ في داخل الموضوع، فهناك بالتالي صفات سالبة»[2]، كامنة في جوانيّة كل موضوع، إلا أن السلب الذي يتم به انبثاق الإنسان وسط الوجود ناتج عن عدم نسبي، أي عدم وجود الذات بذاتها على اعتبار أنها مركبة ومعلولة، ولا تنبثق من ذاتها إلى العالم، فتجده غير موجود بذاته، لأنه مركب معلول في كُلّه وأجزائه، ويخضع لنظام واحد، وهذا ما يدفعها إلى تجاوزه لإثبات وجود علة أولى وراءه، وبالتالي فإن الإنسان هو الموجود الذي يأتي به السلب إلى هذا العالم، وليس العدم؛ لأن العدم واقعي والسلب ذهني، وما هو واقعي فلا يد للإنسان في وجوده أو عدمه. أما ماذا ينبغي أن يكون عليه الإنسان في وجوده من أجل أن يأتي السلب إلى العدم النسبي

(1) المصدر السابق، ص80

(2) بوشنسكي، إ.م، 1992م ـــ الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة ـــ الكويت، العدد165، ص289

بواسطته؟ فهو أن يكون لديه ملكة الحكم يحكم بواسطتها على الوجود بالإيجاب وعلى العدم النسبي بالسلب، بالإضافة إلى كونه مركباً معلولاً كباقي الموجودات الأخرى.

ويحاول سارتر الإجابة على سؤاله السابق بقوله: «إن الوجود لا يولد إلا الوجود، وإذا شُمل الإنسان في عملية التوليد هذه، فلن يخرج منه غير الوجود فإن كان لا بد أن يكون في وسعه التساؤل عن هذه العملية... فلا بد أن يضع نفسه خارج الوجود، ولهذا يضعف التركيب الوجودي للوجود. ومع ذلك فلم يقيض للآنية أن تُعْدِم.. كتلة الوجود... وما تستطيع تغييره هو علاقتها مع ذلك الموجود... وعندها لا تستطيع أن تؤثر فيه، وتنسحب إلى ما وراء عدم»[1]، والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لم يُقيض للآنية أن تُعدِم كتلة الوجود الموضوعة في مواجهتها؟ والإجابة هنا تكون، أنه بدون كتلة الوجود لا تستطيع الآنية* أن تثبت وجودها، فكل معرفتها تبدأ منها، وهي لا تستطيع تغيير علاقتها المعرفية بها، فإذا كان أمامي شيء مدرَك، فليس باختياري أن أدركه أو لا أدركه إذا فتحت عيني، كما أني لا أستطيع إبعاد الموجود الجزئي؛ لأني بواسطته أصل إلى الكلي من خلال التجريد والتعميم، ومع ذلك فإن علاقتي به معرفية، كما أنني اعتمد في وجودي عليه، ولذلك لا أستطيع التأثير في وجوده أو عدمه، فالآنيّة «تصبح غائبة عن المكان الذي أرادت أن تكون فيه... والغياب هو حالة من حالات وجود الآنيّة بالنسبة إلى الأماكن والمواضع التي حددتها هي بحضورها... وحضور الآنية حضور في مكان إنساني... وهذا الحضور لا معنى له إلا على أنه ... وجود منظور»[2].

ويوضح سارتر قوله السابق بقوله: «الشرط الأول من أجل أن يكون في وسع الآنيّة أن تتكر كل العالم أو جزءاً منه، هو أن تحمل العدم في داخلها بوصفه اللاشيء الذي يفصل حاضرها من كل ماضيها. لكن... هذا اللاشيء لن يكون له بعد معنى العدم [بل] توقعاً للوجود يظل غير مسمى، ولا يكون شعوراً بوقف الوجود، سيأتي من خارج

(1) المصدر السابق، ص80 . 81

* الآنية تعني وفق سارتر الموجود ـ هناك

(2) كامل، فؤاد، د.ت ـ الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف ـ القاهرة، ص42-43

الشعور... هذا اللاشيء لن يكون أبداً سالباً. فقد رأينا من قبل أن العدم أساس السلب؛ لأنه يخبئه في داخله؛ لأنه السلب بوصفه الوجود. »[1].

ولكن أليس هذا التوضيح الذي ساقه سارتر ملتبساً؟، فلا يمكن للآنية أن تحمل العدم في داخلها بأي صفة كان، وإنما السلب فقط هو من يمتلك تلك الإمكانية، إضافة إلى أن شعور الآنية الذاتي بالعدم ليس عدماً واقعياً، وإنما يدل على عدم وجودها بذاتها، وهذا ما يدفعها إلى العلو عن ذاتها في العالم لتبحث عن علة وجودها، وعندما تجد أن الموضوعات العامة كلها معلولة مثلها، فإنها تعلو عن العالم إلى ما وراءه، لإثبات علة أولى له ولها بوصفها جزءاً منه، علاوة على أن القول بأن شعور الذات يعدم وجودها بذاتها ليس حكماً سلبياً على عدم خارجي، وإنما داخلي، وهذا لا يتناقض مع كون العدم أساساً للسلب، ولكنه سلب نسبيّ متعلقٌ بموجود نسبي هو الذات.

9. بين سارتر وهيدغر:

وإذا ما انتقلنا إلى التصور الفينومينولوجي للعدم عند هيدغر، سنجد أن سارتر يقول: «[إن كثيراً] من المواقف التي تقفها الآنيّة وتتضمن فهماً للعدم: مثل الكراهية، والدفاع، والأسف، إلخ، بل إن للآنيّة إمكاناً مستمراً للموجود في مواجهة العدم واكتشافه كظاهرة: وهذا هو القلق، ومع ذلك فإن هيدغر ... لا يحتفظ للاوجود بوجود حتى ولو كان وجوداً مجرداً: إن العدم ليس بشيء، إنه ينعدم. وهو يستند إلى العلو كشرط له.»[2]، وفي هذا لنا قول: إن فهم العدم لا يعني بالضرورة الوصول إلى حالة العدم، فمثلاً كراهية الآخرين من قبلنا تنتج من شعورنا بأنهم لا يريدون وجودنا، والدفاع عن أنفسنا اتجاه الآخرين ينتج من شعورنا أنهم يشكلون خطراً على وجودنا، والأسف على حادث مضى لوفاة قريب أو صديق، ينتج من شعورنا بأنه لو بقي لكان فيه دعماً لوجودنا، فوفاته

(1) المصدر السابق، ص86

(2) المصدر السابق، ص70

قلصت هذا الشعور لدينا. ولكننا في أي من المواقف الثلاثة لم نصل إلى حالة العدم الفعلي، وإنما القلق، والذي هو عند هيدغر قلقٌ إزاء، وهو شعور ذاتي لا يدل على عدم واقعي، ولذلك نرى هيدغر، عندما يقوم بوضع الدازين أمام حضرة العدم، يتساءل فيقول: «هل تحدث في آنيّة الإنسان حالة وجدانيّة يوضع فيها الإنسان في حضرة العدم ذاته؟»[1]، إن هذه الحالة الوجودانيّة التي تضعنا أمام حضرة العدم ذاته هي القلق، وهو حالة شعورية تكشف عن العدم، فالعدم عند هيدغر «يكشف عن ذاته في القلق ولكنه لا يكشف عن نفسه بوصفه موجوداً، كما أنه لا يعطى لنا بوصفه موضوعاً»[2]، وهذا يعني أن تجربة القلق تحيلنا إلى أن هذا الذي قلقنا عليه ومن أجله لم يكن في الحقيقة شيئاً .

وهنا نؤيد هيدغر في عدم احتفاظه للاوجود بوجود؛ لأنه إذا كان مطلقاً فلا يمكن أن يوجد، وإذا كان إضافياً فلا وجود له بالنسبة إلى ما يضاف إليه، إلا أننا لا نؤيد فكرة أن توصف الذات به في حالة القلق، فالقلق شعور ذاتي فقط، ولو كان عدماً فعلياً لما تمكنت الذات من العلو على ذاتها للخروج من هذه الحالة الشعورية، للتعلق بالوجود الحقيقي الذي لا ينعدم، لكي تستند إليه في شعورها بوجودها، بوصفها معلولة له، وموجودة به لا بذاتها، وهذا يعني أن عدمها ليس من ذاتها بل من علة وجودها أيضاً.

يتابع سارتر شرح وجهة نظر هيدغر في العدم، فيقول: «ونحن نعرف أن هيدجر يرى أن وجود الآنيّة يتحدد بأنه وجود ـ في ـ العالم ... وكل تعيُّن، عند هيدجر هو تجاوز... وهذا التجاوز للعالم، هو شرط انبثاق العالم ... لكن ظهور الذات وراء العالم... هو انبثاق من الآنيّة في العدم، ففي العدم وحده يمكن تجاوز الوجود. وفي نفس الوقت، فمن جهة نظر ما وراء العالم تنظم الوجود على هيئة عالم، ومعنى هذا أن الآنيّة تنبثق... من الوجود في اللاوجود، ... ومن ناحية أخرى العالم في حال تعلُّق في العدم،

(1) هيدجر، مارتن، 1964م ـ ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ترجمة محمود رجب، دار النهضة العربية ـ القاهرة، ص110

(2) المرجع السابق، ص113

والقلق هو اكتشاف ذلك الإعدام المزدوج المستمر.. فإمكان العالم يبدو إذن للآنيّة من حيث إنه استقر في العدم لإدراكه»[1]، إن هذا النص السارتري الذي يحاول فيه إظهار رأي هيدغر، يشير إلى تسرع في الحكم على هيدغر، فهيدغر كان واضحاً عندما قال: «الوقوع داخل العدم معناه أن تنبثق كل آنيّة عبر الموجود بأسره وهذا البزوغ عبر الموجود نسميه العلو... فإذا لم تبق [الآنية] داخل العدم ... فإنها لم تستطع مطلقاً أن تقيم علاقة مع الموجود وتبعاً لذلك مع نفسها»[2]، ولهذا ليس هناك انبثاق من الآنيّة في العدم، وإنما هو انبثاق في عدم شعورها بوجودها إلى خارجها، وهذا الانبثاق المزدوج من الذات والعالم إلى ما وراءهما لتعليل وجودهما، فالعليل الحقيقي للمعلول يتم بتعليقه بعلته الأولى، وهذا يعني أن وجود الذات في العالم لا يعني تجاوزاً له من حيث الوجود، وإنما من حيث المعرفة، حيث تجد الذات أن العالم معلول مثلها، لذلك تتجاوزه لتعليل وجوده ووجودها بوصفها جزءاً منه، أما ظهور الذات وراء العالم فيعني انتقالها معرفياً من العالم باعتباره معلولاً إلى علته الأولى، فكل ما فيه مركب معلول.

علاوةً على ذلك، ومن جهة أخرى، نرى أن تجاوز الذات لشعورها بوجودها، واتجاهها نحو العالم، هو اثبات لوجودها كذات مفكرة في موضوعات مستقلة، بل إن هذا التجاوز هو تأصيل لوجودها كذات ميتافيزيقية، تسعى للاستدلال على الموجود بذاته خارج العالم وموضوعاته، وبالتالي فإن انبثاق الآنيّة ليس من الوجود في اللاوجود، وإنما من وجود أدنى إلى وجود أعلى؛ أي من ذاتها بوصفها مركبة معلولة إلى العالم، وعندما لا تجد ما هو أعلى منها فيه، فإنها تتجاوزه إلى الموجود بذاته وراءه بوصفه علتها الأولى.

(1) سارتر، جان بول، 1966م ــ الوجود والعدم، ص 70-71

(2) هيدجر، مارتن، 1964م ـ ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ص115

ويتابع سارتر تعليقه على العدم عند هيدغر بقوله: «لا شك أن هيدجر على حق في الإلحاح على القول بأن السلب يستمد أساسه من العدم، لكن إذا كان العدم يؤسِّس السلب، فذلك لأنه يشتمل في داخله على (لا)، بوصفها تركيباً جوهرياً له... والعدم هو الأصل في الحكم السالب؛ لأنه هو نفسه سلب، وهو يؤسس السلب كفعل؛ لأنه هو السلب بوصفه وجوداً. والعدم لا يمكن أن يكون عدماً إلا ... إذا كان في إعدامه يتجه صراحة إلى هذا العالم، لكي يتكون كرفض للعالم، إن العدم يحمل في قلبه الوجود»[1]، عندما يؤسس السلب عند هيدغر على العدم، فإن (لا) تؤسس السلب بوصفها مؤسسة على فعل الإعدام، وهذا يعني أن العدم واقعي والسلب ذهني فـ«مهما تنوعت وتعددت الأحوال التي فيها يشيع السلب نفسه في كل فكر ... فلا يمكن أن يكون هو الشاهد الوحيد السليم الحاسم في هذا الكشف عن العدم الذي تنطوي عليه الآنيّة في جوهرها»[2]، إذاً ما في الذهن هو صورة لما في الواقع، أي الواقع هو الأصل، وما في الذهن يعتمد عليه في وجوده؛ لأنه هو السلب بوصفه وجوداً؛ أي اللاوجود الواقعي. أما قول سارتر بأن العدم لا يكون عدماً إلا إذا اتجه إلى العالم، فلعله يقصد به العدم الذاتي الناتج عن القلق الذي يدعو الذات إلى الخروج من ذاتها والاتجاه إلى العالم، ولكنها لا تلبث أن تعلو عليه؛ لأنها تجده غير موجود بذاته مثلها، لذلك تتجه إلى علته الأولى وراءه، باعتبارها موجودة بذاتها، وما سواها موجود بها، فتستند إليها في وجودها.

ومن جهة أخرى، فإن قوله بأن العدم يحمل في قلبه الوجود، يمكن أن يعني به عدم الشعور الذاتي الناتج عن القلق؛ لأنه ليس عدم وجود، بل هو وجود ذاتي غير مشعور به، وهو العدم الذي يوجد في حضن الوجود، ولا يوجد في العدم بدون الذات التي يحدث فيها، ومن ثم فإن هذا الوجود شرط العدم، والشرط يتقدم على المشروط، ولذلك يمكن

(1) سارتر، جان بول، 1966م ــ الوجود والعدم، ص72

(2) هيدجر، مارتن، 1964م ـ ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ص118

القول إن هذا الوجود مسبوق بالعدم، ولولا ذلك لما مر بحالة الشعور به، وإن كان هذا الشعور غير حقيقي؛ لأن العدم فناء، وليس ثمّ فناء للذات في حالة الشعور به.

وتجدر الإشارة إلى أن سارتر قد أقام مقارنة بين هيغل وهيدغر، فيما يتعلق بموضوع الوجود والعدم، فيقول: «وميزة فلسفة هيدجر هي أنها في وصفها للآنيّة تستعمل حدوداً موجبة تخفي سلوباً ضمنية. إن الآنيّة خارج ذاتها، في العالم ... وهي وهم ... هذا يعود إلى القول بأن الآنيّة ليست في ذاتها، وأنها ليست لذاتها... وأنها تتجاوز العالم من حيث أنها تصنع نفسها من حيث أنها ليست في ذاتها وليست العالم. وبهذا المعنى فإن هيجل هو الذي على حق، لا هيدجر، حين يصرّح أولهما بأن الروح هي السالب. لكن يمكن أن نوجه إلى كليهما نفس السؤال... فينبغي أن نقول لهيجل: ...ماذا يجب أن تكون عليه الروح ليكون سالباً؟ ويمكن أن نسأل هيدجر: إذا كان السلب هو التركيب الأولي للعلو، فماذا ينبغي أن يكون التركيب الأولي للآنيّة، من أجل أن تستطيع العلو على العالم»[1].

لكن هذا لا يعني إن كانت الآنيّة خارج ذاتها في العالم أنها ليست لذاتها! فخروجها من ذاتها يعني سعيها لذاتها، إلا أن العالم لم يحقق لها غايتها، ومن جهة أخرى، فإن قول هيغل بأن الروح هي السالب، لا يجانب الصواب؛ لأن السلب ذهني يعتمد على العدم الواقعي، وليس للروح أن تسلب وجود شيء واقعي، كما لا نستطيع أن ننفي وجود ما هو مدرك عن طريق الحواس، وهذا بطبيعة الحال يعني أن أساس السلب الواقع الموضوعي، وليس الروح الذاتي. أما بالنسبة إلى السؤال الذي وجهه سارتر لهيغل، فنرى أن سارتر كان يقصد من وراءه أن الذات مركبة من إيجاب وسلب، أي وجود وعدم، ونحن نرى خلاف ذلك؛ لأن العدم لا وجود، وإلا فكيف يساهم العدم في تركيب الوجود؟ ألا نقع في تناقض واضح.

أما بالنسبة إلى السؤال الموجه إلى هيدغر، فلا مناص من القول إن السلب بما أنه هو التركيب الأولي للعلو، فهذا لا يدل على عدم، وإنما يدل على شعور الذات بأنها غير

(1) سارتر، جان بول، 1966م ــ الوجود والعدم، ص72-73

موجودة بذاتها، لذلك تعلو على ذاتها وعلى العالم، وهذا يعني أن ما ينبغي أن يكون التركيب الأولي للآنيّة، لتعلو على العالم، ليس أن تكون مركبة من وجود وعدم، كما يرى سارتر، وإنما أن تكون مركبة فقط، أي معلولة؛ لأن هذا التركيب هو الذي يدعوها إلى العلو على ذاتها والعالم.

هنا يستطرد سارتر في رده على هيدغر بقوله: «ولكن ماذا يفيد القول بأن العدم يؤسس السلب [العدم هو الأصل في السلب][1]، إذا كان ذلك من أجل وضع نظرية عن اللاوجود تقطع...العدم عن كل سلب عيني؟ إذا كنت أنبثق من العدم وراء العالم، فكيف يتأتى لهذا العدم الخارج عن العالم أن يؤسس هذه البحيرات الصغيرة من اللاوجود التي نلتقي بها في كل لحظة في حضن الوجود؟ إني أقول أن (بطرس ليس موجوداً)، (ليس معي نقود)، فهل يجب حقاً أن نتجاوز العالم إلى العدم، وأن نعود بعد ذلك إلى الوجود من أجل تأسيس هذه الأحكام اليومية؟»[2]، تماشياً مع ما تم ذكره في هذا النص السارتري يمكن القول أن عبارة (بطرس ليس موجوداً) لا تدل على لا وجود واقعي، وإنما تدل على لا وجود ما أتوقع أن يكون موجوداً، وقولي (ليس معي نقود) يدل على عدم إمكانية تحقيق غاية ما أو ما أريد شراءه مثلاً، وفي الحالتين فإن اللاوجود متعلق بي لا بالواقع، فلم يكن بطرس موجوداً في الواقع ثم انعدم، ولم تكن النقود معي ثم انعدمت، بل إن سبب العدمين هو عدم وجود ما أتوقعه في الواقع؛ لأن الوجود الواقعي لا عدم فيه، وهذا مؤداه إلى أنه لا وجود لبحيرات من اللاوجود في حضن الوجود، لذلك ينبغي ألا يكون هناك حاجة لتجاوز العالم إلى العدم، والعودة إلى الوجود، من أجل تأسيس مثل هذه الأحكام؛ لأننا نحن مصدر توقعها، وهذا بطبيعة الحال يؤكد وجهة نظر هيدغر في أن

(1) هيدجر، مارتن، 1964م ـ ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ص118

(2) سارتر، جان بول، 1966م ــ الوجود والعدم، ص73

العدم هو الأصل والمؤسس للسلب؛ لكون هذين الحكمين السالبين نتجا عن عدم وجود ما نتوقعه في الحالتين، وليس باعتبارنا مصدر العدم.

10. الحرية والقلق بين الوجود والعدم:

إن الحديث عن الوجود والعدم عند سارتر لا بد أن يصل بنا إلى مفهوم الحرية، حيث إن الحرية تعبر عن جوهر فلسفة سارتر الوجودية لذلك نجده يقول: «في الحرية يكون الموجود الإنساني هو ماضيه الخاص وكذلك مستقبله الخاص على شكل إعدام، فلا بد أن يوجد بالنسبة إلى الموجود الإنساني بوصفه شاعراً بالوجود، نوع من الموقف في مواجهة ماضيه ومستقبله بوصفه هذا الماضي وهذا المستقبل وبوصفه ليس إياهما»[1]، ومما لا شك فيه هنا أن سارتر يقصد بإعدام ماضي الإنسان ومستقبله، بألا يعتمد عليهما في وجوده الحاضر، وهذا هو حال الحرية عند سارتر، بمعنى أنها تعني التحرر مما يفرضه عليه ماضيه ومستقبله، وهنا نطرح السؤال الهيدغري هل يكون الإنسان دون ماضيه ومستقبله؟ فالإنسان ليس إنساناً بدونهما؛ لأنه في وجوده الواقعي، هو ما كان سابقاً، وهو يملك ماضيه بوصفه حاضراً في متناول يده، إنه ماضيه الذي يؤرخ مستقبله في كل لحظة وظرف.

علاوة على ذلك فإن الإنسان في حال الحرية عند سارتر يكون له موقف في مواجهة ماضيه ومستقبله، اللذين يفرضان عليه الخروج من هذه الحرية، فهو في هذه الحالة يكون من جهة ماضيه ومستقبله كإنسان، ويكون غيرهما من جهة عدم تقيده بما يفرضان عليه، وهذا هو القلق، فـ«القلق هو حال وجود الحرية كشعور بالوجود، وفي القلق تكون الحرية في وجودها المتسائل عن ذاته»[2]، وفي هذا الوجود المتسائل، فإن «الحرية تتكشف (تكشف عن نفسها) في القلق، وهو فعل وعي الإنسان بوجوده

(1) المصدر السابق نفسه

(2) سارتر، جان بول، 1966م ــ الوجود والعدم، ص87

المخصوص الذي يصنعه نفسه بنفسه باعتباره عدماً، أي فعل الوعي بالحرية. ويهرب الإنسان من القلق [محاولاً] أن يفلت ليس من حريته، أي من المستقبل، وحسب، بل وكذلك من ماضيه... ولكن الإنسان ليس في استطاعته أن يتحرر من القلق، لأنه هو هو قلقه.»[1]، وهنا لعله من المفيد التطرق إلى أن هذا المفهوم السارتري للحرية معاكس لمفهوم كانط لها، والتي تعني عنده الخضوع للقانون الأخلاقي، حيث يؤكد كانط على أن «الإرادة الحرة والإرادة الخاضعة لقوانين أخلاقية شيء واحد بالذات»[2]، وذلك باعتبار أن هذه الإرادة لا تكون خاضعة لقوانين الطبيعة، كالكائنات غير العاقلة.

فضلاً عن ذلك يعلق سارتر على موقف كيركيغارد وهيدغر من القلق بقوله: «كيركجور، وهو يصف القلق قبل الخطيئة، ينعته بأنه قلق على الحرية. لكن هيدجر... يرى على العكس من ذلك إن القلق إدراك للعدم ... وعلينا أن نقرر أولاً أن الحق هو ما قاله كيركجور: فإن القلق يتميز عن الخوف من حيث أن الخوف خوف من الكائنات في العالم، بينما القلق قلق على الذات (الأنا). والدوار قلق بالقدر الذي به أخشى لا أن أسقط في الهاوية بل أن أُلقي بنفسي فيها»[3]، إذن يبدو واضحاً تغليب سارتر لرأي كيركيغارد على رأي هيدغر، وهذا مرده إلى أن وصف كيركيغارد للقلق قبل الخطيئة بأنه على الحرية، يعني أن الإنسان قبل الخطيئة كان حراً ، ومن ثم فإن قلقه على الذات هو خشية أن تقع في الخطيئة، وبالتالي فإنه قلق عملي أخلاقي، كما هو عند سارتر. وعلى خلاف ذلك نرى أن الفعل الأخلاقي يتم بحرية الإرادة، فإذا فقدت تلك الحرية، أصبح الفعل الأخلاقي دليل ضعف إرادة، من جهة عدم خضوعها للقوانين الأخلاقية، فأنا لا أريد القيام بذلك الفعل لكنني مجبر عليه ولا حرية لي بعدم القيام به، وبمعنى آخر

(1) بوشنسكي، إ.م، 1992م ـ الفلسفة المعاصرة في أوربا، ص234

(2) كانت إمانويل، 1965م ـ تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاوي، الدار القومية ـ القاهرة، ص104

(3) سارتر، جان بول، 1966م ــ الوجود والعدم، ص87-88

لا يمكن معرفة الإنسان إن كان خيراً أم شريراً إلا إن امتلك الحرية والإرادة لفعل عمل ما باختياره، فأنا لست خيّراً إلا بالقدر الذي فيه أستطيع أن أفعل الشر، لكنني بمحض حريتي وإرادتي اخترت الخير.

والجدير بالذكر، هو أن مفهوم القلق Anxiety لا تحمل عند كيركيغارد وهيدغر وسارتر معنًى واحداً، فكل واحد منهم «يفهم القلق على نحو مختلف بعض الشيء، ومع ذلك فهناك تقارب... والفكرة مستمدة من كيركجور، يقول هيدجر: إن من سار إلى أبعد مدى في تحليل مفهوم القلق هو كيركجور. ويقابل سارتر بين أوصاف القلق عند كيركجور وهيدجر ثم يقول: إنها لا تبدو لنا متناقضة، بل على العكس فكل وصف منها يتضمن الآخر»[1]

صحيح أن كيركيغارد يناقش مفهوم القلق ضمن سياق القصة الواردة في سفر التكوين، أي أنه يربط بين القلق والخطيئة التي أدت إلى سقوط الإنسان، إلا أننا نجد عند كيركيغارد قلقاً آخر، هو القلق على الحقيقة، إذ تقول فوزية ميخائيل عن ذلك: «فالإنسان إذا لم يستطع الوصول إلى تصور إلهي يقيني وموضوعي يجازف بحياته وإيمانه ووجده، ولا يبالي عمق بحر خال من أرض صلبة، ولكنه يؤمن ويولع... وكلما اشتد القلق بصدد الحقيقة الموضوعية عظم الشوق إليها، وكلما عمق إيمان الإنسان، زاد اندفاعاً إلى سريرته يلتمس فيها الحقيقة»[2]، وهذا يعني أن قلق الإنسان يتأتى من عدم اليقين بالحقيقة الموضوعية، مما يدعوه إلى عدم الاعتماد عليها في محاولته الوصول إلى الحقيقة، فيلتجئ إلى الإيمان والولع، مندفعاً إلى ذاته، لكي يجد فيها الحقيقة التي

(1) ماكوري، جون، 1982م ـ الوجودية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة ـ الكويت، العدد58، ص239.

(2) ميخائيل، فوزية، 1962م ـ سورين كيركجورد أبو الوجودية، دار المعارف ـ مصر، ص49

يطلبها، ولكن أليس ما في الذات هو صورة لما في الموضوع؟ ومن ذلك إذا شك فيما هو موضوعي، فلن يصل إلى يقين فيما هو ذاتي، فالحقيقة موضوعية لا ذاتية.

أما ما يتعلق بهيدغر، فإننا نؤكد على أن القلق الهيدغري يكشف العدم، أي يجعل العدم منكشفاً؛ لأن العدم لا موضوع له، فلا يمكن الخوف منه، ومن ثم هو قلق الذات لعدم شعورها بوجودها، وهذا ما يدفعها للعلو والتجاوز، على ذاتها والعالم، لتثبت كينونتها، وهذا يعني أن قلق هيدغر هو قلق الكينونة من رهبة العدم، وليس قلق الخطيئة كما هو عند كيركيغارد.

تأسيساً على ذلك يمكن لنا القول أن جدلية العلاقة بين الحرية والعدم عند سارتر، قائمة على أن الإنسان محكوم عليه بأن يكون حراً، لكن هذه الحرية مقيدة بالعدم، ومن خلال قيامي بفعل الحرية أختبر القلق، إذن لا يمكن الهروب من الحرية، وهذه الفكرة تماماً تجمع بين كيركيغارد وهيدغر وسارتر، قد ربط سارتر بين الحرية والعدم، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يُدخل العدم على الوجود من خلال ممارسته لحريته التي هي أحد مظاهر وجوده الناقص الذي يتغلغل فيه العدم، «وكأن الإنسان هو الموجود الوحيد الذي يملك القدرة على إفراز ذلك العدم الذي من شأنه أن يعزله عن باقي الموجودات»[1]، ومن هنا ربما نفهم مقولة سارتر عن الحرية «بنفس الحجارة نستطيع أن نبني للحرية قبراً، ونستطيع أن نُشيّد لها معبداً»[2].

(1) إبراهيم، زكريا، د.ت ـ دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر ـ مصر، ص491

(2) سارتر،جان بول، 1977م ـ مسرحية (لا مفر) ضمن كتاب من الوجودية إلى العبث، ترجمة جلال العشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة، ، ص5

11. نتائج البحث:

- العدم ينتمي إلى الوجود لذاته، حيث إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يمارس العدم في الوقت الذي يمارس فيه حريته، والعدم يمارس إعدامه في الوجود لذاته من خلال السلب، الذي يأتي به الإنسان إلى العالم، فالإنسان هو انكشاف العالم للعدم؛ بمعنى أن الوجود الإنساني يحمل بداخله ما من أجله يأتي العدم، فهو الحامل الواقعي لبذور عدمه.

- إن القلق هو تجربة وجودية تسمح للذات بأن تكتشف حقيقة وجودها في هذا العالم، بوصفها ذاتاً فردية تمارس وجودها بمحض حريتها، لذلك لا بد لها أن تحقق إمكاناتها الخاصة.

- الوجود كالمرآة لا ندركه ولكن ندرك الموجودات التي يعكسها، ومن ثم فالعدم هو انعدام القدرة على رؤية الأشياء المنعكسة.

- إن عملية التمييز بين وجود في ذاته ووجود لذاته قد أنتجت مشكلات جديدة جعلت اللاوجود حالة واقعية وليست ذهنية، فالعلاقة بين الوجودين سينتج عنها مشكلات ليست موجودة واقعاً، ولا يمكن تفسيرها.

- يبدو بشكل واضح أن سارتر لم يكن يمتلك تصوراً واضحاً لكل من الوجود والعدم، لذلك نجده غير متوافق في الكثير من الأماكن التي ذكرناها سابقاً، وكل ما أراده هو وضع تصور خاص فينومينولوجي لهما بغض النظر عن كونهما مفهومين أنطولوجيين، انتزعا من براثن الميتافيزيقا حديثاً، فينتشلهما من تاريخهما ويحشرهما ضمن إطار خاص هو تقسيمه آنف الذكر، على اعتبار أن هذا التقسيم هو من سيؤطر من خلاله تاريخ الوجودية، وسيجعل منها ذات نزعة إنسانية، عندما يستبدل

العالم الآخر(عالم المثل) أو الميتافيزيقا بالوجود في ذاته، ليبقى الوجود لذاته هو ملقى في هذا العالم لا توجه له سوى محاربة العدم الذي هو جاء به إلى هذا العالم.

- إن مسألة التجاوز هي مسألة لا بد منها لكل عقل مفكر، فهي تأصيلٌ لوجود الذات ميتافيزيقياً، وهذا التجاوز هو إدراك الذات بأن هناك ما هو أفضل يحثها على الترقي والتجاوز الدائم، دون أن يعني ذلك أن هذا التعالي هو شعورها بالنقص أمام ذلك الذي تسعى إليه، وإنما هو شعورها بأنها دائمة التغير نحو ذلك الذي يشدها بكماله.

1. المراجع المستخدمة:

1.1. المصادر والمراجع العربيّة:

1. سارتر، جان بول، 1977م ـ مسرحية (لا مفر) ضمن كتاب من الوجودية إلى العبث، ترجمة جلال العشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة، 230 صفحة
2. سارتر، جان بول، 1966م ــ الوجود والعدم، ط1، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الآداب ــ بيروت. 992 صفحة
3. إبراهيم، زكريا، د.ت ـ دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر ـ مصر،541 صفحة
4. بوشنسكي، إ.م، 1992م ـ الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة ـ الكويت، العدد165. 359 صفحة.
5. جوليفيه، ريجيس، 1988م ـ المذاهب الوجودية، ط1، ترجمة فؤاد كامل، دار الآداب ـ بيروت. 288 صفحة
6. ستيس، ولتر، 1975- فلسفة هيجل، ترجمة إمام عبد الفتح إمام، دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة. 726 صفحة
7. صليبا، جميل، 1385هـ ـ المعجم الفلسفي، ج2، ط1، منشورات ذوي القربى ـ قم.701 صفحة
8. علي، حسان، 2014م ـ الوجود في فلسفة بول تيليتش، رسالة ماجستير، جامعة تشرين ـ اللاذقية. 117 صفحة
9. كانت إمانويل،1965م ـ تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاوي، الدار القومية ـ القاهرة. 139 صفحة
10. كامل، فؤاد، د.ت ـ الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف ـ القاهرة. 85 صفحة
11. ماكوري، جون، 1982م ـ الوجودية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة ـ الكويت، العدد58. 428 صفحة

12. مجموعة من المؤلفين، د.ت ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمها فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق، دار القلم ـ بيروت، ، 549 صفحة
13. ميخائيل، فوزية، 1962م ـ سورين كيركجورد أبو الوجودية، دار المعارف ـ مصر. 134 صفحة
14. هيدجر، مارتن، 1964م ـ ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ترجمة محمود رجب، دار النهضة العربية ـ القاهرة. 166 صفحة

1.2. المراجع الأجنبيّة:

1. HEGEL, G.W.F,1975- Hegel's logic, 3st ed, trans: William Wallace, clarendon press, Oxford university press,

1.3. Sources and References:(In Arabic)

1. SARTRE, JEAN PAUL, 1977- play "The Inevitable" in a book from existentialism to absurdity, trans: Galal al-Ashri, Egyptian General Book Organization- Cairo, 230pages

2. SARTRE, JEAN PAUL, 1966 - Being and Nothingness, vol. 1, trans: Abd Al-Rahman Badawi, Dar al-Adab- Beirut. 992 pages

3. IBRAHIM, ZAKARIA, Without Date - Studies in Contemporary Philosophy, Dar Egypt- Egypt. 541 pages

4. BUCHENSKY, A.M., 1992- Contemporary Philosophy in Europe, trans: Ezzat Qarni, World of Knowledge Series, National Council for Culture -Kuwait, No. 165. 359 pages

5. JOLIEVIER, REGIS, 1988- Existentialist Doctrines, vol. 1, trans Fouad Kamel, Dar al-Adab- Beirut. 288 pages

6. STESS, WALTER, 1975 - Hegel's Philosophy, trans: Imam Abdel Fattah Imam, Dar al-Thaqafa for Printing and Publishing- Cairo. 726 pages

7. SALIBA, JAMEEL, 1385ah- Philosophical Dictionary, vol.2, 1st ed, Publications of relatives- Qom.701 pages

8. ALI, HASSAN, 2014 - Being of Paul Tillich Philosophy, Master Thesis, Tishreen University- Latakia. 117 pages

9. KANT, EMMANUEL, 1965- Establishing the Metaphysics of Ethics, trans: Abd Al-Ghaffar Makkawi, National House - Cairo. 139 pages

10. KAMEL, FOUAD, Without Date - Others in Sartre's Philosophy, Dar al-Maaref- Cairo. 85 pages

11. MIKHAIL, FAWZIA, 1962- Søren Kierkegaard, Father of Existentialism, Dar al-Maaref- Egypt. 134 pages

12. A GROUP OF AUTHORS, Without Date - The Concise Philosophical Encyclopedia, trans: Fouad Kamel - Jalal Al-Ashry and Abdul Rashid Al-Sadiq, Dar Al-Qalam- Beirut, 549 pages

13. MCCURRY, JOHN, 1982- Existentialism, trans: Imam Abd Al-Fattah Imam, World of Knowledge Series, National Council for Culture- Kuwait, No. 58. 428 pages

14. HEIDEGGER, MARTIN, 1964- What is philosophy? What is metaphysics? Helderlin and What Poetry Is, trans: Mahmoud Rajab, Dar al-Nahda al-Arabiya- Cairo. 166 pages

المسجد الأموي من خلال رحلة ابن جبير

(540-614هـ/1145-1217م)

طالب دكتوراه : نزار داوود سلطان

(تاريخ العرب والإسلام)

قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة البعث

الدكتور المشرف: عبد السلام زيدان + د. شيرين حمودي

الملخص

يعد كتاب رحلة ابن جبير من أهم مصادر أدب الرحلات وأشهرها، وحظي بمكانة مرموقة بين مصادر التاريخ الإسلامي، لما قدمه ابن جبير من مادة وصفية وتاريخية للبقاع والأماكن التي زارها، حيث قدم وصفاً معمارياً وأثرياً وتاريخياً، مع معالجة للحياة السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية بأسلوب أدبي بليغ برع فيه، ومن بين الأماكن التي زارها وقدم وصفاً لها مدينة دمشق، وأطال الحديث عن المسجد الأموي.

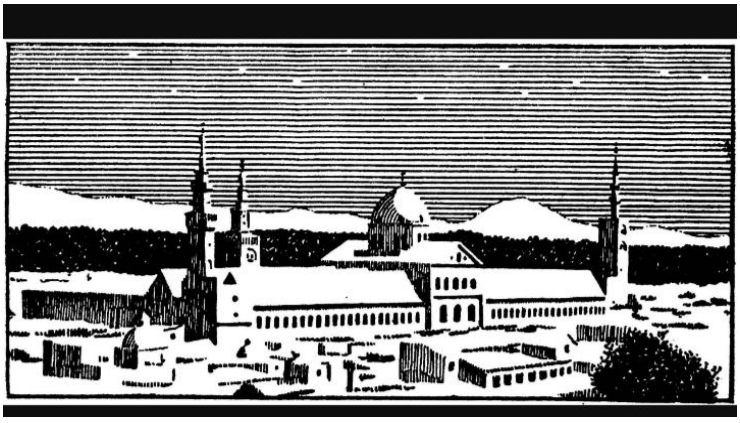

The Umayyad Mosque in The Travels of Ibn Jubayr

(540-614 AH / 1145-1217 AD)

ABSTRACT

The Travels of Ibn Jubayr is one of the most important and well-known sources of travel literature.

It always enjoyed a prominent position among the sources of Islamic history, for Ibn Jubayr presented therein detailed and historical descriptions of the areas and the places he had visited.

He also provided architectural, archaeological and historical escriptions, shedding light on political, social, religious and scientific life in an eloquent literary style in which he excelled.

Among the places he visited and described is Damascus City, depicting at length the Umayyad Mosque.

المقدمة:

اعتاد العرب منذ القدم على التنقل والترحال، قاطعين الفيافي والقفار والبحار والمحيطات فراداً وجماعات، كالهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين وبلاد الشام، وهجرة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وسيدنا يونس عليه السلام، وغيرها من الهجرات، وما الفينيقيون إلا أنموذجاً للرحلة والاستكشاف لعوالم معلومة ومجهولة، كما اعتاد العرب قبل الإسلام على إرسال أولادهم إلى البوادي بغية تشكل الشخصية السليمة والتماساً لغرض علمي ألا وهو تعلم الفصاحة التي شكلت إحدى مقومات وخصائص الشخصية العربية، كما اعتاد العرب على التنقل والترحال لأغراض تجارية وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله عز وجل: ﴿لإيلاف قريش۞ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف۞﴾.[1]

ولا يخفى على أحد أن بذور نشأة الدولة العربية الإسلامية قد تشكلت من خلال الهجرة إلى الحبشة والمدينة المنورة في اتساق للطابع الديني والسياسي.

ومع اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وامتداد آفاقها من الصين شرقاً وحتى الأطلسي غرباً وبلاد الأندلس شمالاً، كان هذا حافزاً وتحدياً للإنسان العربي والمسلم على التنقل والإطلاع ووصف الأقاليم وتجميع ما هو غال ونفيس وما هو تالد وطريف، والاطلاع على الغرائب واستطلاع العجائب، لأغراض متعددة ومتباينة يقف على رأسها طلب العلم، مع تعدد مراكز الثقافة في ديار العرب والإسلام، وتلبية لنداء الله عز وجل: ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾،[2] ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجت﴾،[3] وسنة نبيه: حيث قال رسول الله ﷺ: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة))،[4] فانتقل طلبة العلم ساعين متنقلين في مشارق الأرض ومغاربها، يتلقون العلم على يد مشاهير الشيوخ والعلماء والفقهاء والمحدثين واللغويين وغيرهم، فأضحت الرحلة في طلب العلم ظاهرة طبيعية واعتيادية لكل راغب،

كما أن تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول ﷺ والمجاورة من أهم بواعث الرحلة، كما حدث مع ابن جبير (540-614هـ/1145-1217م) الذي شكل الحج إلى بيت الله الحرام وطلب العلم أهم بواعث رحلته، راسماً للأجيال من خلالها صورة مرئية شاهدة على عصره بسماعه ومشاهداته ومروياته.

. إشكالية البحث: يطرح البحث مجموعة من القضايا ذات الطابع السياسي والاجتماعي، والفكري؟ من هو ابن جبير؟ وما الغرض من رحلته؟ وما هي المعارف المتولدة من خلال هذه الرحلة؟ ما هي البقاع التي زارها؟ وهل لعبت المشاهدة فقط دوراً أساسياً في تقديم المادة العلمية؟ أم استقى واستفاد ونقل من من سبقوه؟ وكيف قدم هذه المادة العلمية؟ وهل ما قدمه كان دقيقاً وموثقاً؟ وبأي أسلوب قدمها؟ وما هي أهمية المادة العلمية المقدمة في ما يخص الأماكن التي زارها، وخصوصاً دمشق ومسجدها الكبير.

. أهمية البحث: البحث يشكل مادة علمية للمهتمين بدراسة الجغرافية التاريخية والتاريخ الجغرافي (أدب الرحلات)، ويقدم ترجمة لمؤلف هذه الموسوعة، عن نشأته وتكوينه ورحلاته ومؤلفاته، ويسلط الضوء على دراسة معلم من أهم المعالم العربية والإسلامية آنذاك (المسجد الأموي)، الذي طالما شكل صورة حضارية للأجيال المتلاحقة.

. أهداف البحث: يهدف البحث إلى دراسة خاصية اتسمت بها الحضارة العربية الإسلامية وهي الرحلة في طلب العلم، فابن جبير هو أحد الرحالة المغاربة الذين زاروا المشرق العربي، وتلقى العلم على يد مشايخها فاستفاد وأفاد، وترك أثراً جليلاً من خلال وصفه لمشاهداته، مقدماً صورة عن الحياة السياسية والاجتماعية والتاريخية والأثرية، شكلت مادة علمية ذات أثر خالد وموثوق.

. منهج البحث: اعتمد البحث على جمع المادة العلمية التاريخية من المصادر والمراجع ذات الصلة المباشرة والوثيقة بموضوع البحث وتحليلها واستقرائها ومقارنتها مع بعضها، بغية الوصول إلى صورة واضحة وجلية عن ما قدمه ابن جبير في رحلته، وتعكس مدى الصدق والتحقق من نقل المادة التاريخية، وخصوصاً المسجد الأموي الكبير.

. مصطلحات البحث: ابن جبير، رحلة ابن جبير، دمشق، المسجد الأموي، الوليد بن عبد الملك، قبة النسر.

ثانياً: ابن جبير:

1. اسمه ونسبه:

أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني، من ولد حمزة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الأندلسي الشاطبي البلنسي، ولد سنة (540هـ/1145م) ببلنسية[5] نزيل شاطبة[6].[7]

2. نشأته وتعليمه:

نشأ ابن جبير في بيئة علمية فقد أخذ العلم وسمع من أبيه أبو جعفر أحمد بن جبير الذي كان من أهل الكتابة ورؤسائها،[8] وعندما أصبح صبيًا شغف بالعلم ، ولم يفارقه طوال حياته ، فكان يسعى إلى أهل العلم والرأي والفكر في كل مكان ينزل به، حيث أخذ العلم علماء الأندلس من محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أبي العيش المعروف بأبي عبد الله الأصيلي (ت566هـ/1170م)، وأخذ القراءات من المقرئ أبو الحسن بن محمد بن أبي العيش الطرطوشي،[9] وحدث بالإجازة[10] عن الإمام الحافظ أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز ابن الدباغ (546هـ/1151م) العارف بعلم الحديث وأسماء الرجال، والذي على ما يبدو أنه لم يدركه أو يأخذ عنه بالمباشرة، بل عن طريق أحد الشيوخ كون أن ابن الدباغ قد توفي وابن جبير كان يبلغ من العمر ست سنوات فقط، كما أخذ العلم من أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى التميمي السبتي[11] .

وسمع بمكة المكرمة من شيخ الحرم أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسين الميانشي (ت581هـ/1185م)،[12] ومن مسند العراق وشيخها الإمام المحدث عبد الوهاب ابن الأمين أبي منصور علي بن علي الصوفي، المعروف بابن سكينة

(ت607هـ/1210م)،[13] ومن الإمام الشيخ العالم أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم التونسي المجاور بمكة.[14]

ودخل دمشق فسمع من بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي الدمشقي (ت598هـ/1201م)،[15] فأخذ عنه مقامات الحريري[16] بين قراءة وسماع وحدث بها بإجازة منه، وكذلك من الإمام المحدث الحافظ أبو محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المعروف بابن عساكر (ت600هـ/ 1203م)،[17] ومن الإمام المقرئ المحدث أبو جعفر أحمد بن علي بن أبي بكر الأندلسي القرطبي (ت596هـ/1199م) نزيل دمشق،[18] ومن الشيخ الفقيه البارع المقرئ وعالم أهل الشام عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون (ت585هـ/1189م).[19]

ومن الملاحظ أن العلوم التي عني بها ابن جُبير هي علوم الدين من فقه وحديث وقراءات وما اتصل بها من علوم اللغة والنحو والأدب.

3. مؤلفاته:

غلبت على مؤلفات ابن جبير الطابع الأدبي رغم تلقيه العلوم الدينية من فقه وحديث وقراءات، ومؤلفاته هي:

1. نظم الجمان في التشكي من أخوان الزمان: وهو ديوان شعر.
2. نتيجة الجوانح في تأبين القرين الصالح: وهو في رثاء زوجته.
3. ديوان شعر في مجلد.
4. رحلة ابن جبير.[20]

4. تلامذته:

كان ابن جبير من علماء الأندلس بالفقه والحديث والقراءات والمشاركة في الآداب، حيث تتلمذ على يديه مجموعة من العلماء، فقد ذكر الذهبي والمقري أن من أخذ العلم وروى عنه: الإمام العلامة الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت656هـ/1258م)،[21] والأمام كمال الدين علي بن شجاع بن سالم العباسي الضرير، مسند الآفاق في القراءات (ت 661هـ/1262م)،[22] والشيخ المسند عبد الرحيم ابن المحدث يوسف بن هبة الله بن الطفيل الصوفي (ت637هـ/1239م)،[23]وفخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي المصري، مسند القراء في زمانه (ت681هـ/1282م)،[24] وسمع منه في مصر الإمام الحافظ المحدث أبو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله بن علي القرشي (ت662هـ/ 1263م)،[25] وغيرهم آخرون.[26]

ثالثاً: رحلة ابن جبير:

آ . رحلات ابن جبير:

أولع ابن جبير بالترحل والتنقل، فزار المشرق ثلاث مرات:

. رحلته الأولى كانت في شوال من سنة (578هـ/1182م) واستمرت لغاية عام (581هـ/1185م) وكان سبب رحلته الأولى أنه كان كاتباً في أول أمره عند السيد أبي سعيد ابن عبد المؤمن[27] صاحب غرناطة[28] فاستدعاه لأن يكتب عنه كتاباً وهو على شرابه، فمد يده إليه بكأس، فأظهر ابن جبير الانقباض، وقال: "يا سيدي ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعاً"، فلما رأى العزيمة شرب سبع كؤوس، فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره، فحمله إلى منزله، وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير، وباع ملكاً له تزود به، وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر.

وابتدأ رحلته من غرناطة بقصد الحج، ووصل الإسكندرية في التاسع والعشرين من ذي القعدة، فكانت إقامته في البحر ثلاثين يوماً، ثم حج وتجول في البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها.[29]

. أما رحلته الثانية إلى المشرق في تاسع شهر ربيع الأول سنة (585هـ/1189م) وعاد إلى المغرب.

. والرحلة الثالثة كانت سنة (601هـ/1204م) وجاور بمكة وبالقدس، وحدث هناك وأُخذ عنه، وتوفي بالإسكندرية يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة (614هـ/ 1217م)، وهو ابن خمس وسبعين سنة .[30]

ب . تدوين كتاب رحلة ابن جبير:

دون ابن جبير كتابه (رحلة ابن جبير) خلال رحلته الأولى التي بدأت في يوم الخميس الثامن من شوال(578هـ/1182م)، وجاءت الرحلة مدونة بما يزيد على (300) صفحة، ذكر فيها خط سير رحلته التي انطلقت من غرناطة إلى البحر المتوسط، حيث مكث في البحر ثلاثين يوماً لاقى خلالها المشاكل والأخطار التي رافقت رحلته لغاية وصوله إلى الإسكندرية في مصر، فذكر أخبارها وآثارها، ومن ثم تحول إلى القاهرة فوصف المشاهد التي فيها وكل ما وقعت عيناه عليه كقلعة القاهرة ومسجد ابن طولون، ومن ثم ليترك القاهرة متوجهاً إلى الحجاز، فوصف كل ما اجتازه في الطريق إلى الحج من عيذاب على البحر الأحمر إلى جدة إلى الحرم الشريف التي وصلها في شهر جمادى الأولى، فذكر المسجد الحرام والبيت العتيق ومكة المكرمة وآثارها الكريمة وأخبارها الشريفة ومناسك الحج، ثم غادرها في شهر المحرم سنة (580هـ/1184م) إلى المدينة المنورة إلى متوجهاً إلى العراق والكوفة والحلة وبغداد التي وصف فيها الحمامات والأسواق والأبواب والمشاهد، ثم توجه إلى تكريت فالموصل ونصيبين ودنيصر ورأس العين وحران ومنبج وبزاعة وحلب وحماة وحمص، ثم ليحط رحاله في شهر ربيع الآخر في مدينة دمشق، التي أطنب في ذكرها، فوصف جامعها الكبير والروايات المتباينة حول بنائه ومساحته وآثاره، وجمل من أحوال البلد وآثاره ومشاهده، ثم في شهر جمادى الآخرة غادرها متوجهاً إلى بانياس وعكا وصور ومن بعدها في شهر شعبان ركب البحر عائداً، لاقى خلال الرحلة الأهوال حتى كاد ان يوشك على الغرق، ثم ليحط الرحال في صقلية التي قدم وصفاً لها ولحال المسلمين فيها، واختتم رحلته في شهر محرم من سنة (581هـ/ 1185م) عائداً إلى منزله في غرناطة، فأنشد قائلاً: "

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإيابِ المسافرُ

والحمد لله على الصنع الجميل الذي أولاه، والتيسير والتسهيل الذي والاه، وصلواته على سيد المرسلين الأولين منهم والآخرين محمد الرسول الكريم ومصطفاه، وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهداه، وسلم وشرف وكرم، فكانت مدة مقامنا من لدن خروجنا من غرناطة إلى وقت إيابنا هذا عامين كاملين وثلاثة أشهر ونصفاً، والحمد لله رب العالمين".[31]

وأهم ما يميز رحلة ابن جبير أنها جاءت بصيغة مذكرات يومية، دون فيها مشاهداته للأماكن والبلدان وكل ما مر به في اليوم والشهر، فجاءت كشاهد على عصر تسجل أحداث ووقائع تلك الحقبة، وهي غنية المادة لا غنى لأي عامل أو باحث في أدب الرحلات أو التاريخ الجغرافي أو الجغرافية التاريخية أن يغفل عنها، عدا عن كونها كتبت بلغة وصياغة أسلوبية راقية، غلب عليها الخطاب الديني حين وصف الأماكن والشخصيات والعقائد، حتى العناوين الأساسية لرحلته حملت الطابع الديني كقوله: "مدينة حران حفظها الله . مدينة عكا دمرها الله وأعادها /كونها بيد الفرنجة/ . مدينة نصيبين أبقاها الله ..." وهذا عائد إلى تربيته ونشأته ودافع رحلته الديني.

وقد قدم وصفاً دقيقاً للأماكن الدينية والعمارات الإسلامية وشغلت الحيز الأكبر من كتابه فلم يدع معلماً أثرياً دينياً إلا وقدم وصفاً مطولاً له، مصحوباً بعبارات التقديس والتبجيل، مبتعداً قدر الإمكان عن الأخبار العجيبة والمشاهد السحرية والطلاسم والتأويلات الغريبة، فقد استغرق وصفه للأماكن المقدسة في الحجاز ما يقارب ثلث كتابه، من الصفحة (47) ولغاية الصفحة (147)، وكذلك فعل عند الحديث عن المسجد الأموي في دمشق، حيث استحوذ الوصف على (19) صفحة.

كما أن ابن جبير وصف المدن بثلاث نواح: 1. المرافق من أسواق ومساجد ومدارس وبيمارستانات وحمامات وسبل المياه، 2. المشاهد والمقابر وآثار الأنبياء والعلماء

والأولياء والمواقع الإسلامية والمعابد والكنائس، 3. وصف ما حول المدينة من أرياض وأحياء ونواحي، وكل ما وقعت عليه عيناه، وأهمل ما عداه.

رابعاً: المسجد الأموي من خلال رحلة ابن جبير:

بعد أن خرج ابن جبير من مدينة حمص متوجهاً إلى دمشق، وصلها في ضحى يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة (580هـ/1184م) بدأ بوصف مدينة دمشق قائلاً تحت عنوان: "**ذكر مدينة دمشق، حرسها الله تعالى:** جنة المشرق، ومطلع حُسنه المؤنق المشرق، وهي خاتمة بلاد الإسلام التي اسقريناها، وعروس المدن التي اجتليناها، قد تحلت بأزاهير الرياحين، وتجلت في حُلل سندسية من البساتين، وحلت من موضوع الحسن بالمكان المكين، وتزينت في منصتها أجمل تزيين، ..... إلى قوله: ولله صدق القائلين عنها: إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها، وإن كانت في السماء فهي بحيث تُسامِتُها وتُحاذيها".[32]

وبعد أن تغزل ابن جبير بمدينة دمشق بأسلوب أدبي رفيع ومنمق حمل معه معاني الغزل والإعجاب بمدينة دمشق التي سحرته بجمالها، نراه أول شيء بدأ الحديث عن المسجد الأموي تحت عنوان:

. ذكر جامعها المكرم، عمره الله تعالى:

حيث قال فيه: "هو من أشهر جوامع الإسلام حسناً، وإتقان بناء وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه، ومن عجيب شانه أنه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله، ولا تُلِم به الطير المعروفة بالخطاف[33]، انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-715م)[34]رحمه الله، ووجه إلى ملك الرم بالقسطنطينية[35] يأمره بإشخاص اثني عشر ألفاً من الصناع من بلاده، فامتثل أمره مذعناً، فشرع في بنائه، وبلغت الغايات في التأنق فيه".

وبعد هذا العرض التاريخي الموجز عن بنائه، انتقل ابن جبير لوصف الجامع، فبدأ بالحديث عن زخرفته، حيث قال : "وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء، وخلطت بها أنواع من الأصبغة الغريبة، قد مثلت أشجاراً، وفرعت أغصاناً منظومة الفصوص، ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف، فجاء يغشي العيون وميضاً وبصيصاً".

ثم انتقل للحديث عن تكلفة بناء الجامع : " وكان مبلغ النفقة فيه، حسبما ذكره ابن المعلى الأسدي[36]، في جزء وضعه في ذكر بنائه، مئة صندوق، في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ومئتا دينار، فكان مبلغ الجميع أحد عشر ألف ألف دينار ومئتي ألف دينار".[37]

بينما ذكر القلقشندي: "أن الخليفة الوليد بن عبد الملك قد أنفق أموالاً جمة، حتى يقال: إنه أنفق فيه أربعمائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار"، وذكر الصيادي في كتاب الروضة البهية: "أن الخليفة الوليد قد صرف ألف ألف وثمانمائة ألف وسبعين ألف دينار في واجهته".[38]

ويبدو أن المسجد قد كلف بنائه خراج سبع سنين، وقيل أن ما أنفق حمل على (18) بعيراً، وقد بلغت التكلفة قرابة أحد عشر مليوناً من الدنانير.[39]

ثم نرى ابن جبير قد عاد مرة أخرى ليعطي لمحة تاريخية عن بناء الجامع، وأصل الأرض التي بني عليها، حيث قال في ذلك: "والوليد هذا هو الذي أخذ نصف الكنيسة الباقية منه في أيدي النصارى وأدخلها فيه، لأنه كان قسمين: قسماً للمسلمين وهو الشرقي، وقسماً للنصارى وهو الغربي، لأن أبو عبيدة بن الجراح[40]ﷺ، دخل البلد من الجهة الغربية، فانتهى إلى نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى، ودخل خالد بن الوليد[41]ﷺ ، عنوة من الجانب الشرقي إلى النصف الثاني وهو الشرقي، فاحتازه المسلمون وصيروه مسجداً، وبقي النصف المصالح عليه وهو الغربي كنيسة بأيدي

النصارى، إلى أن عوضهم منه الوليد، فأبوا ذلك، فانتزعه منهم قهراً، .... ثم عوضهم الخليفة عمر بن عبد العزيز[42]ﷺ منه بمال عظيم أرضاهم به، فقبلوه".[43]

بينما ذكر الطبري أن التعويض لم يكن مالاً عندما ذكر: " فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا ذلك إليه، فقيل: إن كل ما كان خارجاً من المدينة افتتح عنوة، فقال لهم عمر: نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما، فإنها افتتحت عنوة، نبنيها مسجداً، فلما قال لهم ذلك، قالوا: بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد، ودعوا لنا كنيسة توما، ففعل عمر ذلك".[44]

ثم انتقل ابن جبير للحديث عن مساحة الجامع ومساحته ووصفه، تحت عنوان: **. ذكر تذريعه ومساحته وعدد أبوابه وشمسياته**، فقال: "ذرعه[45] في الطول من الشرق إلى الغرب مئتا خطوة، وهما ثلاث مئة ذراع، وذرعه في السعة من القبلة إلى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة، وهي مئتا ذراع، وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من الشرق إلى الغرب، سعة كل بلاطة منها ثماني عشرة خطوة، والخطوة ذراع ونصف وقد قامت بلاطاته على ثمانية وستين عموداً، منها أربع وخمسون سارية، وثماني أرجل/ عمد / جصية تتخللها، واثنتان مرخمة ملصقة معها في الجدار الذي يلي الصحن، وأربع أرجل مرخمة، مرصعة بفصوص من الرخام ملونة، وصورت محاريب وأشكالاً غريبة قائمة في البلاط الأوسط، تقل قبة الرصاص مع القبة التي تلي المحراب ويستدير بالصحن من ثلاث جهاته الشرقية والغربية والشمالية، سعته عشر خطا، وعدد قوائمه سبع وأربعون، منها أربع عشرة من الجص، وسائرها سوارٍ، فيكون سعة الصحن حاشا المسقف القبلي والشمالي منه مئة ذراع.[46]

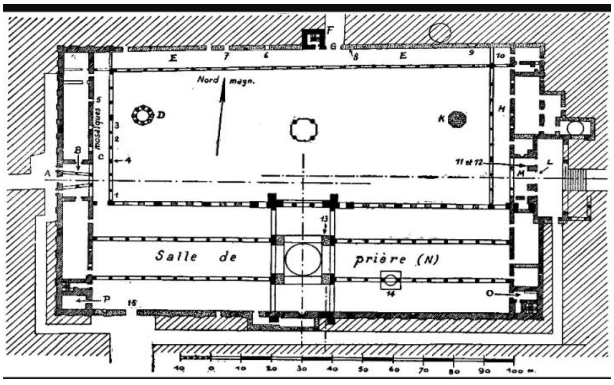

مخطط الجامع الأموي(47)

وأعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه سامية في الهواء، عظيمة الاستدارة، وقد استقل بها هيكل عظيم وهو غارب لها، يتصل من المحراب إلى الصحن، وتحته ثلاث قباب: قبة تتصل بالجدار الذي إلى الصحن، وقبة تتصل بالمحراب، وقبة تحت قبة الرصاص بينهما، فإذا استقبلتها أبصرت منظراً رائعاً، ومرأى هائلاً، يشبهه الناس بنسر طائر.

صورة ملتقطة لقبة النسر

والجامع المكرم مائل إلى الجهة الشمالية من البلد، وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملونة أربع وسبعون،[48] منها في القبة التي تحت قبة الرصاص عشر، وفي

القبة المتصلة بالمحراب مع ما يليها من الجدار أربع عشر شمسية، وفي طول الجدار عن يمين المحراب ويساره أربع وأربعون، وفي القبة المتصلة بجدار الصحن ست، وفي ظهر الجدار إلى الصحن سبع وأربعون شمسية".[49]

. المقصورات: أما مقصورات[50] الجامع، فقد قال عنها ابن جبير: "وفي الجامع ثلاث مقصورات: مقصورة الصحابة ﷺ وهي أول مقصورة وضعت في الإسلام، وضعها معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م)[51] بإزاء محرابها عن يمين مستقبل القبلة باب حديد، كان يدخل معاوية إلى المقصورة منه إلى المحراب، .... وطول المقصورة الصحابية أربعة وأربعون شبراً، وعرضها نصف الطول، ويليها لجهة الغرب، في وسط الجامع، المقصورة التي أحدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة إلى الجامع، وفيها المنبر والمحراب.... وبالجانب الغربي إزاء الجدار مقصورة أخرى للحنفية يجتمعون فيها للتدريس وبها يصلون".[52]

. صوامع[53] **الجامع:** ذكر ابن جبير في وصفها: "وللجامع ثلاث صوامع: واحدة في الجانب الغربي، وهي كالبرج المشيد، يحتوي على مساكن متسعة وزوايا فسيحة يسكنها أقوام من الغرباء، وثانية بالجانب الغربي على هذه الصفة، وثالثة بالجانب الشمالي على الباب المعروف بباب الناطفيين".

. القباب: بالإضافة إلى قبة الرصاص (النسر) التي أسهب ابن جبير في وصفها فيما تقدم ذكر القباب وهنا لم يأت على ذكر قبة النسر التي ذكرها فيما سبق فقال: "وفي الصحن ثلاث قباب: إحداهما في الجانب الغربي منه وهي أكبرها، وهي قائمة على ثمانية أعمدة من رخام، مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والأصبغة الملونة، وعليها قبة الرصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة، يقال: أنها كانت مخزناً لجمع المال، وقبة أخرى صغيرة في وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قائمة على أربعة أعمدة صغار من الرخام، وتحتها شباك حديد مستدير، وفي وسطه أنبوب يمج الماء إلى علو للشرب، والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية أعمدة على هيئة القبة الكبيرة لكن أصغر منها".[54]

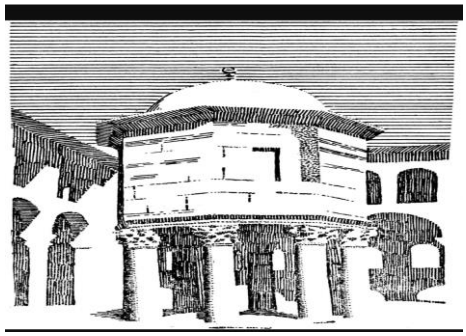

القبة الشرقية [55]

. المحراب: وصف ابن جبير المحراب بأسلوب أدبي إنشائي قائلاً: "ومحرابه من أعجب المحاريب الإسلامية حسناً وغرابة صنعة يتقد ذهباً كله، وقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويريات / مفردها سارية / مفتولات فتل الأسورة كأنها مخروطة لم ير شيء أجمل منها وبعضها حمر كأنها مرجان".[56]

. أبواب الجامع: ذكر ابن جبير أن: "له أربعة أبواب[57]: باب قبلي، ويعرف بباب الزيادة، وله دهليز كبير متسع، له أعمدة عظام، وباب شرقي وهو أعظم الأبواب، ويعرف بباب جيرون، وباب غربي يعرف بباب البريد، وباب شمالي يعرف بباب الناطفيين، وللشرقي والغربي والشمالي أيضاً من هذه الأبواب دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها إلى باب عظيم، كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها، وأعظمها منظراً الدهليز المتصل بباب جيرون يخرج من هذا الباب إلى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة طوال"[58].

ومن الملاحظ أن ابن جبير وعند حديثه عن أبواب الجامع الأموي قد أسهب وأطال الحديث عن تفاصيل دهاليز الأبواب، والأعمدة، والحوانيت، والشوارع المستطيلة، والبيوت المحيطة بالجامع، وآلية عمل الساعات التي كانت عند باب جيرون.

وانتقل بعدها للحديث عن الجانب الديني والاجتماعي وأثر الجامع الأموي في المجتمع، كقوله: "وفي هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم، كل يوم إثر صلاة الصبح القراءة من القرآن دائماً، ومثله إثر صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية.....، وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم، وفيه حلقات لتدريس الطلبة.....، ومرافق هذا الجامع المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة".

ثم انتقل للحديث عن السقايات / الماء / حول الجامع والتي هي أربع سقايات، قدم وصفاً كاملاً لها،[59] ثم أفرد عنواناً لذكر مشاهده المكرمة وآثاره المعظمة.

. مشاهده المكرمة وآثاره المعظمة: حيث قال: "أولها مشهد رأس يحيى بن زكريا عليه السلام، وهو مدفون بالجامع المكرم[60] في البلاط القبلي قبالة الركن الأيمن من المقصورة الصحابيةﷺ، وعليه تابوت خشب وفوقه قنديل كأنه بلور مجوف".[61]

كما ذكر ابن جبير مشهد الحسين بقوله: "وبالقرب من الباب الشرقي باب جيرون في جهة اليسار منه مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، ثم نقل إلى القاهرة".[62]

ومما هو جدير بالذكر أن ابن جبير لم يتحدث عن مشهد الحسين ضمن مشاهد الجامع، فهو قد أسلف الحديث عنه عند حديثه عن دهاليز الأبواب.

ولم يقتصر حديث ابن جبير ووصفه للمشاهد المكرمة والآثار المعظمة على ما في داخل الجامع الأموي، وإنما تحدث عن المشاهد في أرجاء الشام، كحديثه عن جبل قاسيون وما يحتويه من مدفن السبعين ألف نبي وقيل سبعين ألف شهيد، ومغارة الدم/دم هابيل قتيل أخيه قابيل/، وذكر تاريخها ووصفها وحالها وأوقافها.

كما قدم وصفاً لمشاهد الربوة المباركة، كمصلى الخضر عليه السلام، ورسم صورة عن الاربوة وبساتينها وأنهارها، وغيرها من المشاهد التي قدم وصفاً لها.[63]

وهنا يكون ابن جبير قد أنهى تحت عنوان: مشاهده المكرمة وآثاره المعظمة، الحديث عن الجامع الأموي، وانتقل للحديث عن مدينة دمشق تحت عنوان : ذكر جمل من أحوال البلد، عمره الله بالإسلام.

ومن المستغرب أن ابن جبير لم يأت على ذكر مآذن الجامع الأموي، ولا سيما مئذنة العروس التي كانت أول مئذنة أضيفت إلى الجامع، وكانت من الحسن والجمال والدقة التي ما تزال ماثلة خالدة ما يستحق الوصف الدقيق والتفصيلي، ولكن على ما يبدو قد فات ابن جبير.

خامساً: الخاتمة:

انعكس الغنى المادي والثقافي على المنتج في الحضارة العربية الإسلامية، فكانت الإبداعات والإنجازات الفكرية لرجال خالدين في الفكر والذاكرة، وما رحلة ابن جبير إلا مخرج من مخرجات أدب الرحلات التي تكشف عن مميزات وجمال الموصوف الذي أبدعه الإنسان العربي المسلم، ودقة وروعة أسلوب الوصف، ضمن إطار عام متسق الأركان كامل النسيج/ فن معماري أخاذ يسبي القلوب ويذهب العقول، تاريخي متجسد بعظمة هذه الحضارة ونموها المطرد وما قدمه رجالاتها من منجز حضاري خالد، وهدف اقتصادي واجتماعي غرضه وحده الأعلى الدافع الديني/.

فكان ابن جبير ورحلته والتي لا غنى عنها لكل باحث ومختص ومهتم بالحضارة العربية الإسلامية وتراثها المادي والفكري المتحد الأركان من المغرب العربي الإسلامي إلى المشرق العربي الإسلامي، فقدمت مادة علمية إخبارية وصفية للأرض والإنسان صانع الحضارة وأحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها خلال القرنين السادس والسابع الهجري.

فكان شاهداً على عصر من خلال زياراته ورحلاته، واضعاً مادته هذه على شكل مذكرات يومية، مقدماً وصفاً جغرافياً وتاريخياً ومعمارياً لمعالم كثيرة في الحجاز والعراق وبلاد الشام لمعالم كثيرة قد وطأتها قدماه ورأتها عيناه، بأسلوب أدبي وإنشائي رصين

ورفيع، فما قدمه ابن جبير من مادة علمية دسمة تحتاج إلى أبحاث كثيرة ودراسات متخصصة، لا سيما أن هذه الرحلة تعد من أهم الرحلات وأغناها والعودة إليها ضرورية محمودة وموثوقة من خلال مروياته وسماعاته عن ابن معلى الأسدي وابن عساكر وغيرهم أو من خلال مشاهداته التي لا غنى عنها.

وقد حاول البحث تسليط الضوء على أحد أهم هذه المعالم المزارة والموصوفة، الجامع الأموي بدمشق، ومحاولة إخراج هذه المادة العلمية المقدمة وإخراجها قدر الإمكان من الأسلوب الأدبي الديني، وتأطيرها بإطار جديد ألا وهو الصف التاريخي والمعماري.

لكن ما يأخذ على هذه المادة العلمية عن الجامع الأموي أنها وكما أسلفنا:

– كتبت بأسلوب إنشائي غلب عليها الخطاب الديني في المحتوى والعناوين.

– غير مبوبة وواضحة المعالم، وإنما ترك الحديث عن الأبواب والقباب والمقصورات والمحراب والوصف التزييني ضمن سياق عام.

– الخروج في بعض الأحيان عن الإطار المراد له، كما حدث عند الحديث عن دهاليز الجامع، فقدم وصفاً للحارات والساعات والشوارع والحوانيت والسقايات خارج الجامع، وكذلك عند الحديث عن مشاهده وآثاره، نراه يصف المشاهد والزيارات على جبل قاسيون والربوة.

– على الرغم مما قدمه من صوف دقيق للجامع، نلاحظ أن ابن جبير قد أغفل الحديث عن المآذن في الجامع الأموي، التي تشكل ركناً أساسياً في الفن المعماري الإسلامي عموماً والجامع الأموي خصوصاً.

الهوامش

(1) سورة قريش: (1-2).

(2) سورة الأنعام: (11).

(3) سورة المجادلة: (11).

(4) السندي، محمد بن عبد الهادي: سنن ابن ماجة بشرح السندي، تح خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997، ج1، ص148 .

(5) بلنسية: كورة ومدينة مشهورة بالأندلس، شرقي قرطبة، الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مج1، ص 490.

(6) شاطبة: مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة وقديمة، الحموي: معجم البلدان، مج 3، ص309.

(7) الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م، ج44، ص211. 212؛ المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، مج2، ص381؛ أرسلان، شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج3، ص111؛ الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج5، ص319.

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص212؛ أرسلان: الحلل السندسية، ج3، ص122.

(9) أرسلان: الحلل السندسية، ج3، ص21. 22.

(10) نظام الإجازة: أو ما يعرف اليوم بنظام الشهادة المدرسية أو الجامعية، فقد تعددت تلك الإجازات، فمنها مثلاً: الإجازة بالفتيا: فبعد أن يتدرج الطالب في مراحل تعلمه حتى يصبح فقيهاً منتهياً، ويختص بعلم من العلوم التي يؤثرها، وينال إجازته العلمية ويشهد المدرس لطالبه أنه أتم دراسته، ويأذن له في أن يفتي ويدرس، ويكتب له بذلك إجازة، يذكر فيها اسم الطالب، وشيخه المجيز، ومذهبه، وتاريخ الإجازة وغير ذلك، ومن الإجازات الإجازة بعراضة الكتب: جرت العادة أن يحفظ الطالب كتاباً في الفقه أو أصول الفقه، أو النحو، أو غير ذلك من الفنون، فيعرضه على مشايخ العصر، فيختبره شيخه فيه في عدة أماكن من الكتاب، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم ولم يخطئ كتب له الإجازة في ذلك ، وتتوقف قيمة الإجازة هنا على شهرة الشيخ المجيز، ومن الإجازات أيضاً الإجازة بالمرويات على الاستدعاءات: حيث يقوم أحد الشيوخ استدعاء لمن هو أعلم منه يطلب فيه الإجازة لنفسه، القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م ج14، ص364. 369. 374 .

(11) أرسلان: الحلل السندسية، ج3، ص111.

(12) الذهبي:تاريخ الإسلام، ج41، ص120.

(13) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج43، ص252.

(14) ابن جبير، محمد بن أحمد: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت،د.ت، ص168. 169؛ أرسلان: الحلل السندسية، ج3، ص111.

(15) ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص269؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج42، ص338.

(16) مقامات الحريري: خمسين مقامة أدبية تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله، لأبي محمد قاسم بن علي الحريري (ت516هـ/1122م) أحد الأئمة في الأدب والنظم والنثر، الصفدي، خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، اعتناء يوسف فان آس، جمعية المستشرقين الألمانية، ط2، 1982م، ج24، ص97؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م، مج2، ص1787.

(17) الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983م، ج21، ص405؛ الصفدي: الوافي، ج24، ص103.

(18) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص304.

(19) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص 125.

(20) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22، ص 45؛ الزركلي: الأعلام، ج5، ص320؛ كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م، ج3، ص56.

(21) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص319. 320؛ ابن تغري بردي، يوسف: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح نبيل عبد العزيز، المؤسسة المصرية، 1985، ج7، ص309.

(22) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج47، ص81؛ ابن تغري بردي، يوسف:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج7، ص 186.

(23) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص43.

(24) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج51، ص71؛ الصفدي: الوافي، ج9، ص469.

(25) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج49، ص120؛ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج12، ص88.

(26) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص212. 213؛ المقري: نفح الطيب، ج2، 489.

(27) عثمان بن عبد المؤمن وكنيته أبو سعيد ويلقب بالسيد (ت571هـ/1175م)، لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله: اللحمة البدرية في تاريخ الدولة النصرانية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1928م، ص12.

(28) غرناطة: مدينة في جنوب الأندلس، إلى الجنوب والشرق من قرطبة، وبينهما نحو خمسة أيام، ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد علي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2003م، السفر الرابع، ص227؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص213.

(29) المقري: نفح الطيب، ج2، ص385.

(30) أرسلان: الحلل السندسية، ج3، ص111.س

(31) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص320.

(32) ابن جبير: رجلة ابن جبير، ص234. 235.

(33) الخطاف: العصفور الأسود، ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط6، 1997م، مج9، ص77.

(34) أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان، سادس الخلفاء الأمويين، بويع بالخلافة سنة (86هـ/705م) وتوفي سنة (96هـ/715م)، وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر، ابن العمراني، محمد بن علي: الأنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1999م، ص50؛ القلقشندي، أحمد بن عبدالله: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985م، ج1، ص132.

(35) الإمبراطور البيزنطي آنذاك هو جستنيان الثاني، حكم الإمبراطورية البيزنطية من سنة (705م) لغاية سنة (711م)، وانتهت حياته بالقتل، وسقطت بموته أسرة هرقل، ربيع، حسنين محمد: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م، ص101.

(36) محمد بن أحمد بن المعلى بن زيد أبو شبيب الأسدي، محدث ثقة، ت (286هـ / 899م)، ابن عساكر، علي بن الحسن: تاريخ دمشق، تح: عمرو العمروي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1998م، ج51، ص155.

(37) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص235.

(38) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 96؛ الصيادي، محمد عزالدين عربي: الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، دار المقتبس، دمشق، 1912م، ص15.

(39) الريحاوي، عبد القادر: مدينة دمشق، مطبعة دمشق، 1969م، ص176؛ زكي، عبد الرحمن: الفن الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1985م، ص14.

(40) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي، أحد السابقين الأولين، لقب بأمين الأمة، وكان فتح الشام على يديه عام (13هـ/634م)، توفي سنة (18هـ/639م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص5 وما بعد.

(41) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، سيف الله المسلول، وفارس الإسلام، توفي سنة (21هـ/642م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص366 وما بعد.

(42) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان، ثامن الخلفاء الأمويين، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، توفي سنة (101هـ/720م)، ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص50.

(43) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص236.

(44) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبرايهم، دار المعارف، مصر، ط2، 1964م، ج6، ص 499.

(45) الذراع من المقاييس التي عرفها العرب منذ بداية العصر الإسلامي، منها أنواع 50 مختلفة أشهرها: الذراع الهاشمية طولها: 64سم، والذراع المعمارية طولها: 75سم، والذراع البلدية طولها: 58سم، الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996م، ص193.

(46) الجامع الأموي مستطيل الشكل تبلغ أبعاده (156× 97م) الحرم يشغل الجانب القبلي، ويليه من جهة الشمال صحن مستطيل تبلغ أبعاده (132×50م) تحيط به الأروقة من ثلاث جهات الشرقية والغربية والشمالية عرضها (10م)، ترتفع قليلاً عن مستوى الصحن، ماهر، سعاد: العمارة الإسلامية على مر العصور، دار البيان العربي، القاهرة، 1989م، ج2، ص 203؛ الريحاوي، عبد القادر: إسهام في دراسة الجامع الأموي / الصحن والأروقة/ مجلة الدراسات الأثرية، دمشق، 1963م، مج13، ص53 وما بعد.

(47) Sauvaget,jean; La ville musulmane in; Les monuments historiques de Damas, en lingne, Beyrouth, 1932Am, P18 .

(48) كان الجامع يستمد نوره من النوافذ الموجودة على جداريه الكبيرين الجنوبي والشمالي، وهذه النوافذ مزودة بشمسيات من الجص المعشق بالزجاج الملون ومزخرفة بأسلوب هندسي رصين.

(49) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص236. 137. 238.

(50) المقصورة : حجرة متخذة من حديد مشبك محكم الصنعة، لا تفتح إلا للسلطان يصلي فيها يوم الجمعة مع أفراد حاشيته، وأول من اتخذها الخليفة معاوية بن أبي سفيان، الخطيب: معجم المصطلحات، ص404.

(51) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي، أول الخلفاء الأمويين، بويع بالخلافة سنة (41هـ/661م) وكانت مدة خلافته تسع عشر سنة وثلاث أشهر، توفي بدمشق سنة (60هـ/680م)، ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص49؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تح: عبد الله التركي، هجر للطباعة، القاهرة، ط1، 1998م، ج11، ص146 وما بعد.

(52) ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص238. 239.

(53) الصومعة لفظ للمكان المتخذ للعبادة المنعزل عن الناس، الخطيب: معجم المصطلحات، ص298.

(54) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص239. 240.

(55) Sauvaget: historiques de Damas,P24.

(56) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص241.

(57) أبواب الجامع أربعة كما ذكر ابن جبير، وهي باب البريد: باب الجامع الأموي الغربي الذي يفتح في سوق المسكية، وباب الزيادة: باب الجامع الجنوبي، يفتح في سوق القوافين المعروف اليوم بسوق الصاغة، وقد تعددت أسماء هذا الباب فأطلق عليه، باب الزيادة، وباب الساعات، وباب القوافين، وباب العنبرانيين، الباب القبلي، باب جيرون: باب الجامع الشرقي، يفتح في حي النوفرة، وقد تعددت أسماؤه فقد أطلق عليه، باب

الساعات، باب اللبادين، باب جيرون، باب النوفرة، باب القيمرية، باب المنارة الشرقية، باب الناطفيين: باب الجامع الشمالي، يفتح في حي الكلاسة، وقد تعددت أسماؤه فأطلق عليه، باب السلسلة، باب العمارة، باب الكلاسة، باب الناطفانيين، باب الناطفين، باب النطفانيين، ص19.الشهابي، قتيبة: معجم دمشق التاريخي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1999م، ج1، ص19، 21.

(58) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص242.

(59) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص244. 245.

(60) قيل وبينما البنائين يبنوا وجدوا مغارة، فأخبروا الوليد، فلما كان الليل جاء الوليد بيده الشمع فنزل، فإذا موضع فيه صندوق، ففتحه، فإذا فيه طست وفي الطست رأس مكتوب على الطست، هذا رأس نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام، فرده إلى مكانه، وقد بنى عليه ضريح من الرخام الأبيض وعليه قبة خضراء مطرزة بالذهب، ابن كثير: البداية، ج12، ص593؛ الصيادي: الروضة البهية، ص15.

(61) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص 246.

(62) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص242.

(63) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص246. 247 . 248.

المصادر والمراجع

- المصادر:

- ابن تغري بردي، يوسف: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح نبيل عبد العزيز، المؤسسة المصرية، 1985.
- ابن تغري بردي، يوسف:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن جبير، محمد بن أحمد: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت،د.ت.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م.
- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م.
- الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983م.
- السندي، محمد بن عبد الهادي: سنن ابن ماجة بشرح السندي، تح خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997م.
- الصفدي، خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، اعتناء يوسف فان آس، جمعية المستشرقين الألمانية، ط2، 1982م.
- الصيادي، محمد عزالدين عربي: الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، دار المقتبس، دمشق، 1912م.

– الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1964م.

– ابن عساكر، علي بن الحسن: تاريخ دمشق، تح: عمرو العمروي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1998م.

– ابن العمراني، محمد بن علي: الأنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1999م.

– ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد علي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2003م.

– القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.

– القلقشندي، أحمد بن عبدالله: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985م.

– ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تح: عبد الله التركي، هجر للطباعة، القاهرة، ط1، 1998م.

– لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله : اللحمة البدرية في تاريخ الدولة النصرانية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1928م.

– المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

– ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط6، 1997م.

- المراجع:

- أرسلان، شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996م.

- ربيع، حسنين محمد: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م.

- الريحاوي، عبد القادر: إسهام في دراسة الجامع الأموي / الصحن والأروقة/ مجلة الدراسات الأثرية، دمشق، 1963م.

- الريحاوي، عبد القادر: مدينة دمشق، مطبعة دمشق، 1969م.

- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

- زكي، عبد الرحمن: الفن الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1985م.

- الشهابي، قتيبة: معجم دمشق التاريخي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999م.

- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.

- ماهر، سعاد: العمارة الإسلامية على مر العصور، دار البيان العربي، القاهرة، 1989م.

- المراجع الأجنبية:

- Sauvaget, jean; La ville musulmane in; Les monuments historiques de Damas, en lingne, Beyrouth, 1932Am.

دور الرصاد والعيون في أبرز أحداث العهد النبوي

تقديم طالبة الدكتوراه: نور العبد

قسم التاريخ– كلية الآداب – جامعة البعث

إشراف الدكتور: عبد السلام زيدان+ إشراف الدكتورة: شيرين حمودي

ملخص البحث

إن الرغبة في الحصول على المعلومات غريزة فطرية عند الإنسان لأنه دائماً يطمع إلى كشف المستور لأنه يخافه ويرهبه من هنا ظهرت فكرة بث الرصاد والعيون منذ قديم الزمان، إذ أن التخطيط الجيد لأي معركة يتوقف على معرفة أسرار العدو ورصد تحركاته وكشف مخططاته ولا سبيل لذلك إلا عن طريق بث العيون واستخدام الوسائل المتقدمة لمعرفة كل تحركات العدو بكل الوسائل الممكنة. يعد عمل الرصاد والعيون من أهم الطرق والأساليب التي لجأت إليها الأمم والمجتمعات والدول على مر التاريخ لمواجهة الأعداء أو لنشر دعوة أو لتأسيس كيان سياسي.

عرف العرب قبل الإسلام نظام الجاسوسية على الأعداء من خلال جمع المعلومات عن طريق التجار والرحالة غيرهم، وعندما جاء الإسلام استمرت الجاسوسية كما كانت في بث الرصاد والعيون والطلائع في عهد الرسول(ﷺ) في مكة أو المدينة المنورة، وكان هذا النظام بسيطاً يلبي حاجات الدعوة الإسلامية الأولى، فقد كان الرسول(ﷺ) يحسب حساباً لعدوه من خلال الأخبار التي تأتيه من الرصاد والعيون، فيضع خططه على أساس المعلومات المتوفرة له لمراقبة المشركين واليهود ومعرفة عدوه،وبرز ذلك جلياً في سراياه وغزواته، فهناك رصاد وعيون تسبق غزوات

الرسول(ﷺ)وكان من مهامهم جمع المعلومات المتعلقة بالعدو سواء فيما يخص قواته، قياداته، خططه، أهدافه، مروراً بإمكانيات العدو البشرية والاقتصادية والعقائدية، وطبيعة أراضي العدو من حيث التضاريس، وكان من مهامهم تحقيق أمن الدولة عبر منع عيون العدو من الحصول على المعلومات، كما قام الرصاد والعيون العرب المسلمون خلال هذه المرحلة بعمليات خاصة تتعلق بالقضاء على قيادات العدو، أو خطفها، أو إرعابها، وهو ما تقوم به الأجهزة الاستخبارية في عصرنا الحالي.

The role of the observatory and the eyes in the most prominent events in the Prophet's era

Abstract

The desire for information is an innate human instinct, because he always aspires to uncover the hidden because he fears and intimidates him, hence the idea of broadcasting observations and eyes has appeared since ancient times.

So, good planning for any battle depends on knowing the secrets of the enemy, monitoring its movements and revealing its plans, and there is no way to do that except by broadcasting eyes and using advanced means to know all the movements of the enemy by all possible means.

The work of monitoring and eyes is one of the most important ways and methods that nations societies and states have resorted to throughout history to confront enemies, spread an invitation, or establish a political entity.

Before Islam, the Arabs knew the system of espionage against enemies by collecting information through merchants, travelers and others, and when Islam came, espionage continued as it was in broadcasting the messengers, the eyes and the pioneers in the ear of the Messenger in Mecca and Medina, this system was simple and satisfies the needs of the first Islamic call, so the Messenger had to reckon with his enemy through the news that came to him from the

observers and the eyes, so he put his plans on the basis of the information available to him to monitor the polytheists and the Jews and know his enemy, this became evident in his raids there are sights and eyes that precede the conquests of the Messenger.
One of their tasks was to collect information related to the enemy whether it was about his leaders, his plans, and his goals, passing through the human, economic and ideological capabilities of the enemy and the nature of the enemy's territory in terms of terrain, one of their tasks was to achieve state security by preventing the eyes of the enemy from obtaining information, the Arab Muslim meteorologists and eyes also carried out, during this stage, special operations related to eliminating , kidnapping or intimidating enemy leaders, which is what the intelligence services are doing in our time.

أولاً: المقدمة

يعد عمل الرصاد والعيون من أهم الأعمال العسكرية والسياسية في إدارة أي صراع، ولجأت إليها الأمم والمجتمعات والدول على مر التاريخ لمواجهة أعدائها ولاسيما في الأعمال الحربية، ولما كانت الدولة العربية الإسلامية الناشئة في بداياتها وكانت على صراع دائم مع أكثر من جبهة لتثبيت دعائمها، كان لابد من استخدام هذا الأسلوب من أجل تحقيق الانتصار في المعارك والأعمال الحربية ، والتي كانت في مجملها تهدف إلى تحقيق نصر حاسم لإقامة الدولة العربية الإسلامية، وهذا ما قام به الرسول(ﷺ) لذا سلطت هذه الدراسة الضوء على طبيعة العمل الاستخباراتي الذي كان معمولاً به في الدولة العربية الإسلامية، والذي كان يطلق عليه اسم الرصاد والعيون.

ولان العمل الأمني هو عمل شاق، ويعتبر خط الدفاع الأول عن البلد، وهو الذي يحمي الدولة وجيشها، عندما تصدر قرارات الحرب أو السلم المبنية على أساس معلوماتي صحيح، والتي توجه الجيش والسلطة السياسية نحو القرارات الصحيحة.

أهمية البحث :

يتناول هذا البحث موضوع دور الرصاد والعيون في السرايا والغزوات في العهد النبوي، وتتجلى أهمية البحث من أهمية الموضوع لكونه يلقي الضوء على عدة أمور منها: التعريف بأهم المصطلحات الواردة في البحث:(الرصاد، العيون، الاستخبارات، الاستطلاع الطلائع، الجاسوسية)، والميزات الواجب توافرها بالرصاد والعيون لتولي المهمة، دور الرصاد والعيون عند العرب قبل العهد النبوي، دور الرصاد والعيون في أبرز أحداث العهد النبوي والتي ساعدت على نشر الدين الإسلامي.

تكمن أهمية البحث بالدور الهام للرصاد والعيون في حفظ الأمن الخارجي لأنها تضع مزايا وعيوب العدو تحت سيطرة القيادة السياسية والاقتصادية، لذلك فإن الدولة العربية الإسلامية الناشئة قامت برسم الخطط وفقاً لهذه العيوب، وقد كان للرصاد والعيون أثراً بارزاً في السرايا والغزوات التي قادها الرسول(ﷺ) من خلال جمع المعلومات عن القوافل التجارية التي نظمها قادة قريش، وكانت هذه المعلومات التي تجمع من العيون تحمل أسراراً إستراتيجية لها تأثير كبير في زيادة القوة الاقتصادية والعسكرية كتحقيق

مكاسب اقتصادية للدولة العربية الإسلامية، وتسلط هذه الدراسة على دور الرصاد والعيون في أبرز أحداث العهد النبوي.

الهدف من البحث:

يكمن الهدف من اختيار دور الرصاد والعيون في أبرز أحداث العهد النبوي من عدة أسباب:

1- أن العهد النبوي بقسميه المكّي والمدني، كان مرحلة تأسيس وبناء لكيان الدولة العربية الإسلامية، ووضع الأسس العامة التي سوف تحكم مسيرة الأمّة على طول التاريخ، ولقد قامت الدولة الجديدة على أساس الإسلام في كل شيء، سياستها، وحربها، وسلمها، وصِلاتها بالأفراد والجماعة، ثم انتشرت قوية راسخة في شرق العالم وغربه تقدم للناس أروع ما عرفته الإنسانية من مظاهر الحضارة والمدنية الصحيحة.
2- إن دولة الإسلام في المدينة المنورة هي أول دولة ابتكرت نظاماً لتأمين دولتها داخلياً وخارجياً، حيث شهدت الفترة النبوية سرايا وغزوات عدة ونفذت فيها عمليات سرية متنوعة من خلال بث الرصاد والعيون بدوافع مختلفة منها: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية.
3- أدى نشاط الرصاد والعيون بجمع المعلومات اللازمة والدقيقة عن العدو وتوفيرها في الوقت المناسب إلى اتخاذ القرارات السليمة في ضوئها، وقد شملت تلك الأنشطة مجموعة واسعة من الأعمال السرية والعلنية التي وظفت لتحقيق الأهداف الإستراتيجية وهذا يضاهي أحدث نظم المخابرات العصرية.

أمام ما سبق ذكره يتجلى الهدف الأساسي من البحث في الكشف عن الدور الذي قان به الرصاد والعيون بما يثبت أركان الدولة العربية الإسلامية وتحقيق انتصاراتها.

إشكالية البحث:

إن اتساع التحديات التي جابهت الدولة العربية الإسلامية في عهد الرسول (ﷺ) حتم عليها مجابهة هذه التحديات، مما أوجب عليها تطوير وتنويع مصادر المعلومات لديها من خلال بث الرصاد والعيون، فلقد ارتبط النجاح العسكري واستقرار الدولة العربية الإسلامية بضبط أمن الدولة داخلياً وخارجياً فقام الرسول (ﷺ) بضبط عمل الرصاد والعيون بحكمة فائقة، وقام بإدارة المعلومات التي تنقل له من الرصاد والعيون إدارة قوية كان فيها الردع القوي للقوى المعادية الدولة العربية الإسلامية، من هنا فإن هذا البحث يطرح العديد من الإشكالات أهمها :

1- ماهي الميزات الواجب توافرها بالرصاد والعيون لتولي المهمة؟
2- ما الوسائل والأساليب التي استخدمها الرصاد والعيون لجمع معلوماتهم ؟
3- ما هو الدور الذي قام به الرصاد والعيون في العهد النبوي ؟
4- كيف استطاع الرصاد والعيون التأثير على سير الأحداث في العهد النبوي؟
5- ماالنتائج التي توصلت لها الدولة العربية الإسلامية من عمل الرصاد والعيون؟

هذه الأسئلة حاول البحث الإجابة عنها بغية الوصول إلى مقاربة الحقائق التاريخية المتصلة بموضوع البحث.

منهج البحث:

لقد اعتمد البحث على المنهج العلمي التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي في دراسة الأصول والمصادر الكتابية من أجل الوصول للنتائج الصحيحة، واستقراء كافة المعلومات الواردة في المراجع العربية والمعربة، والقيام بتحليلها ونقدها والمقارنة بين النصوص لاستنباط رؤية جديدة في مجال دور الرصاد والعيون في السرايا والغزوات في العهد النبوي للوصول إلى النتائج المنشودة والأقرب للحقيقة التاريخية.

أولاً: التعريف بأهم المصطلحات الواردة في البحث:

1- الرصاد

2- العيون
3- الاستخبارات
4- الاستطلاع الطلائع
5- الجاسوسية

ثانياً: الميزات الواجب توافرها بالرصاد والعيون لتولي المهمة.

ثالثاً:أهمية عمل الرصاد والعيون عند العرب قبل العهد النبوي.

رابعاً: دور الرصاد والعيون في أبرز أحداث العهد النبوي.

أولاً: التعريف بأهم المصطلحات الواردة في البحث:

1- **الرصاد: لغةً:** من رصد يرصد فهو الراصد، وأصله في اللغة: الإعداد، يُقال: " أَرْصَدتُ له كذا أي هيّأتهُ لهُ وأعددتُهُ"، والإرصادُ أيضاً:"الانتظارُ والتَّرقُّبُ، ورصد الشيء رقبه فهو راصد قعد له في طريقه"، والمرصاد:" المكان يُرقب فيه العدوّ،[1] ورصداً حرساً من الملائكة" قال ﷻ:﴿ إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه رَصَداً ﴾،[2] **اصطلاحاً:** الراصد بالشيء المراقب له، وهو الملاحظة المنتظمة والتسجيل للمعلومات بشكل دقيق وكاف عن العدو وتحركاته وأوضاعه بنقطة محددة أو قطاع معين، إضافة إلى العمل على شلّ حركة العدوّ فيه عند توفّر الإمكانية لذلك، والترصد القعود على الطريق والانتظار والترقب. [3]

1_ مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، إشراف، شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م، ص348؛ رضا(أحمد): معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م، ج2، ص593.
2_ القرآن الكريم: سورة الجن، الآية /27/.
3_ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الموسوعة الفقهية، طبعة أوقاف الكويت، الكويت، 2007م، ج10،ص161؛ أبوالدهب(أشرف طه): المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة،2002م، ص285.

2- **العيون: لغةً:** حاسة البصر والرؤية، وعيَنْ هو الدَّيدبان[1] أو الجاسوس الذي تبعثه لتجسس الخبر وتسميه العرب ذا العينين، وتستخدم ألفاظ العين وقولهم أرسلنا العيون وذلك لجمع المعلومات والتجسس، وبعثنا عيناً أي طليعة يأتينا بالخبر، والعين تشير إلى الرقيب أو جامع المعلومات، والعين تعني أيضاً(الطير الجارح) وبالتالي تعني امتلاك بصر نافذ، كانت تطلق على الجواسيس والمخبرين لأن معظم عملهم يعتمد على ما يلاحظونه لاسيما بالعين،[2] **اصطلاحاً:** هم الجواسيس الذين يأتون بالمعلومات المطلوبة عن جيش العدو ويقدمونها للقيادة لتستفيد منها في خططها الحربية، وسمي من يقوم بهذه المهمة عيناً لأن عمله بعينه أو لشدة اهتمامه بالرؤية والاستغراق فيها فكأن جميع جسده صار عيناً، فالعين هو جاسوس القوم يطلع على عورات الناس وينهي الخبر إلى دارهم.[3]

3- **الاستخبارات: لغةً:** من الخبر النبأ وما ينقل ويتحدث به قولاً أو كتابةً، وهي تحمل معاني العلم والمعرفة بالأمر على حقيقته، والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر، والخبر: العلم بالشيء، يقال خبرت بالأمر أي علمته، والخبير: العارف بالخبر وهو من أسماء الله الحسنى، والخَبَرُ: ما ينقل بالتقارير أو الجواسيس أو

1_ الدَّيدبان: قد ترد العيون بلفظ الرقيب، صاحب الخبر، المنذر، الربيئة، والديدبان كل هذه الكلمات تحمل معنى واحد وهو العين أو الجاسوس،والديدبان لفظ يستخدم لوصف العيون الذين يؤدون مهامهم في الأراضي المستوية، أما الربيئة مشتقة من الربوة أو الرابية وهو لفظ أيضاً يستخدم لوصف العيون الذين يؤدون مهامهم في الأماكن العالية والطبيعة القاسية،معلوف (لويس):المنجد في اللغة والأدب والعلوم،المطبعة الكاثوليكية،د.ت،ص209_244؛رضا: معجم متن اللغة، ج2، ص376.

2_ ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم، ت: 711هـ/ 1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1993م،مج13، ص301؛ أبو الدهب: المعجم الإسلامي، ص427.

3_ الزيلعي(فخر الدين عثمان بن علي ت:743هـ/1342م): تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وبهامشه حاشية أحمد الشلبي، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر،1895م، باب المستأمن، ج3، ص268؛ ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي، ت: 852هـ / 1448م): فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تح، محمد فؤاد عبد الباقي،تصحيح وإخراج، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، د.ت، ج6،ص168.

العيون، والمخبر: من يتجسس الأخبار محافظة على أمن الدولة، [1] **اصطلاحاً:** هي مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعاملة في الوقت نفسه على مكافحة عمليات التجسس أو التخريب المعادية، وإبطال كل عمل يقوم به العدو لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية عن معسكر الصديق.[2]

4- **الاستطلاع والطلائع: لغةً:** من فعل طلع وتطلع وطلوعاً، والطليعة: مشتقة من طلعة فيراد بها من كان في المقدمة، وتستخدم في العادة بمعنى فاتح الطريق، وهم القوم يبعثون لمطالعة خبر العدوّ، وطليعة الجيش: الذي يَطلُع من الجيش يبعث ليطَّلع طِلْعَ العدوّ، والطلائع هم عيون يترقبون أمور القوم ويحرسونهم لئلا يدهمهم العدو، اي من يبعث إلى العدو ليطلع على أحوالهم،[3] **اصطلاحاً:** هو مجموعة التدابير المتخذة لجمع المعلومات الدقيقة عن تحركات العدو واكتشاف مواقعه المتقدمة والخفية بغية مساعدة القائد على اتخاذ قرار سليم بناء على معلومات دقيقة ما أمكن، كما يستهدف كشف تحركاته من الجانب العملي وتقدير نواياه المقبلة خلال سير العمليات، ومعرفة طرق الإمداد ومراكز التموين وغيرها ويكون الغرض منها إرباك العدو أو مباغتته أو صرف نظره أو التمويه عليه. [4]

5- **الجاسوسية: لغةً:** البحث عن الأخبار وفحصها، والتفتيش في بواطن الأمور، وقيل الجاسوس من جسَّ الخبر، وقيل هو الباحث عن أمور الناس،والجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير، ويقال: قد تجسَّس الرجل أي يطلب الأمر لغيره أو البحث في العورات، وتحسَّس أي يطلب الأمر لنفسه أو

1_ ابن منظور: لسان العرب، مج4، ص226.

2_ الأيوبي (الهيثم): الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1977م، ج1، ص62.

3_ ابن منظور: لسان العرب، مج 8، ص235؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، ج6،ص53.

4_ الأيوبي: الموسوعة العسكرية، ج1، ص71.

الاستماع، وقيل أنهما بمعنى واحد في تطلب معرفة الأخبار،[1] **اصطلاحاً:**هو البحث والتفتيش عما يخفى من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو، بواسطة أفراد التجسس بقصد الاطلاع عليها، والاستفادة منها في إعداد خطة المواجهة، والجاسوس: هو الشخص الذي يعمل في خفية، أو تحت ستار مظهر كاذب في جمع معلومات عن منطقة الأعمال الحربية، والجاسوس الذي يجمع المعلومات لوطنه يفيد دولته هو جندي مخلص،أما الجاسوس الذي يجمع المعلومات ويعطيها للعدو،فهو عدو خطير ويستحق العقاب . [2]

ثانياً:الميزات الواجب توافرها بالرصاد والعيون لتولي المهمة:

تعتبر هذه المهمة من أشق المهام لما ينطوي عليها من المخاطر، وما يؤول إليها من نتائج، لذا يجب أن تتوافر فيهم ميزات خاصة لكي يستطيعوا أن يتحملوا هذه المسؤولية الصعبة ويؤدوها بنجاح وهي ميزات ومواصفات كثيرة وأهمها:

1- **معرفة لغة أهل المنطقة التي يتوجه إليها:** ليتلقط الكلام الذي يسمعه ممن يخالطه من أهل تلك المملكة وسكان البلاد العالمين بأخبارها حتى لا يظهر أمره ويكشف سرّه،[3] ذكر أن زيد بن ثابت الأنصاريﷺ[4] كان ترجمان الرسول(ﷺ) للسريانية والفارسية والرومية والقبطية والحبشية، تعلم ذلك بالمدينة

1_ ابن منظور: لسان العرب، مج6،ص38؛ الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب ت: 817هـ / 1415م): القاموس المحيط، تح ،محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م،ص536.

2_ الدغمي(محمد راكان): التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 1985م،ص29.

3_ القلقشندي (أحمد بن علي، ت: 821هـ/ 1418م): صبح الأعشى في كتابة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م،ج1، ص124.

4_ زيد بن ثابت الأنصاري(11ق.هـ_45هـ/611_665): هاجر مع الرسول(ﷺ) وهو ابن 11 سنة، تعلم وتفقه في الدين، كان كاتب الوحي، وأحد الذين جمعوا القرآن في العهد النبوي، كان عمر بن الخطابﷺ يستخلفه على المدينة المنورة إذا سافر، لقب بحبر الأمة لغزارة علمه، توفي بالمدينة المنورة، القرطبي (ابن عبد البر يوسف عبد الله محمد ، ت:463هـ /1070م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح،محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م ، رقم الترجمة 840، ص537.

المنورة من أهل هذه الألسن،[1] ولقد عنى الرسول(ﷺ) بتعلم لغة اليهود قال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله (ﷺ) أن أتعلم له كلمات من كتاب اليهود بالسريانية قال:" إنِّي والله ما آمن يهود على كتابي"، قال: " فما مرَّ بي نصف شهرٍ حتَّى تعلَّمتهُ لهُ"، قال:" فلمَّا تعلَّمتهُ كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم، وإذا كتبوا إليهِ قرأتُ لهُ كتابهم". [2]

2- **معرفة استخدام لغة الرموز**: وقد استعمل الرصاد والعيون الرموز كالتراب أو الرمل للدلالة على كثرة العدو، واستعملوا الشوك للدلالة على القوة وعلى شوكة العدو، وعبروا بالشوك الذي تكسر رؤوسه بشوكة العدو، أي أنه عدو لا يُخشى جانبه، وقد استحدثت القبائل هذه الرموز من محيطها الذي عاشت قيه، فاتخذتها أدوات للتحذير والإنذار، ولقد كان الرسول(ﷺ) حريصاً على استخدام هذا الأسلوب خوفاً على معنويات المسلمين من الانهيار.[3]

3- **القدرة على التخفي والتنكر**: ينبغي على العين أن يكون له القدرة على التمثيل والتخفي بحيث يأخذ ما يريده دون أن يتنبه له أحد، وهذه الصفة تتطلب امتلاك العين قدرات خاصة في الذكاء والقدرة على الإقناع للتغلب على شكوك الخصم، والإجابة على تساؤلاته بنجاح، ولابد للعين أن يخفي شخصيته الحقيقية تحت قناع يقوم على تغير الملامح، أو تغير في نبرات الصوت والملابس، فمن

1_ الكتاني (محمد عبد الحي الفاسي، ت: 1382 هـ /1962م): نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تح،عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، د.ت، ج1، ص186.

2_ الترمذي(محمد بن عيسى، ت:279هـ/ 892م): الجامع الكبير، تح، بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، أبواب الاستئذان والآداب، رقم الحديث2715، ج4، ص439؛ ابن عساكر(علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، ت: 571 هـ/ 1176 م): تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح، محب الدين العمروي، دار الفكر، دمشق،1995م، ج19، ص303.

3_ علي(جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة بغداد، بغداد، ط2،1993م، ج5،ص437.

الضروري أن يكون ممثلاً ماهراً، وعلى الأخص أن يكون سريع التحول من حال إلى حال قادراً على أن يواجه في ثبات واتزان أخطر المواقف وأعقدها. [1]

4- **الصبر والهدوء وسعة الحيلة:** وهذا يتطلب إعداد وتدريب العيون حتى تستطيع مقاومة إجراءات العدو القاسية، أي أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من العقوبة إذا ظفر به العدو حتى لا يخبر بأحوال مرسله، ولا يطلع على وهن فيه وفي عسكره، لذا يجب أن يكون ذا شخصية جذابة قابلة للتطبع والتكيف في كل الظروف وأن يتصف باللطف في المعاشرة وحسن المخالطة، مع الاتزان والفطنة النافذة والبداهة الموفقة، وأن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ليتوصل بدهائه إلى كل موصل ويدخل بحيلته إلى كل مدخل، فإنه متى كان قاصراً في هذا الباب ربما ظفر العدو به. [2]

5- **معرفة الطرق والمسالك وعادات السكان:** بحيث يكون ملماً بالعادات والتقاليد لتلك البلاد حتى لا يضطر إلى السؤال والاستفسار عند تنقله بين أبناء البلاد المقصودة، وأن يكون له دراية بالأسفار ومعرفة البلاد التي يتوجه إليها، فيكون غنياً عن السؤال، فإنه إذا سأل ربما تنبه العدو وفطن به فيكون ذلك سبباً لهلاكه، وكثيراً ما كان الرسول(ﷺ) يختار الرصاد والعيون من أهل البلاد ومن القبائل التي لها خبرة بالمناطق، ومثال ذلك: اتخاذ الرسول(ﷺ) دليلاً وهو عبد

1_ الدغمي: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية،ص94.

2_ الأنصاري(عمر بن إبراهيم ت:815هـ/1412م): تفريج الكروب في تدبير الحروب، تح، جورج سكانلون،منشورات الجامعة الأمريكية، القاهرة،1961م، ص17.

الله بن أريقط العدوي [1] كان دليل الرسول(ﷺ) و أبي بكر الصديقﷺ لما هاجرا إلى المدينة المنورة رغم أنه كان مشركاً وله معرفة بالطرق. [2]

6- **اللياقة البدنية والذكاء والملاحظة والذاكرة الجيدة والصدق:** يجب أن تتوافر في العين اللياقة البدنية العالية، لأنه سيتعرض لظروف صعبة سواء تضاريسية أو مناخية أو معاشية، فقد وصف الرسول(ﷺ) قائد سرية نخلة عبد الله بن جحش بقوله:" ....ليس بخيركم لكن أصبركم على الجوع والعطش"،[3] وأن يكون له القدرة على الملاحظة في نظرته إلى الأشخاص والأشياء، ويكون ذا ذاكرة تعي الأرقام وتختزن الحقائق والمعلومات وحفظها للتعبير عنها نطقاً أو كتابةً، وأن يكون ذا حس استخباري وفطنة وذكاء، لكي يستوعب بعقله وذكائه أحوال خصمه وإن حاول الخصم كتمان الأمور وإخفائها، [4] وأن يكون مشهوداً لهم بالصدق والثقة بنصائحهم، لأن المشكوك في أمرهم من حيث الصدق ستكون معلوماتهم عرضة للريبة والشك حتى وإن صدقوا في معلوماتهم، فأورد الهرثمي:" لتكن عيونُك وجواسيسك ممن تثقُ بصدقه ونصيحته".[5]

1_ لم يرد في ترجمته تفاصيل عن حياته أو وفاته، سوى أنه كان دليل الرسول(ﷺ) في الهجرة إلى المدينة المنورة، لم يعرف إن كان قد أسلم أم لا، ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي ت: 852هـ / 1448م): الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية، بيروت،2012م ، رقم الترجمة4934، ص837.

2_ ابن كثير(إسماعيل بن عمر، ت:774هـ/ 1373م):الفصول في سيرة الرسول(ﷺ)،تح، محمد الخطرواي ،محي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط3، 1982م، ص114.

3_ عبد الله بن جحش (41ق.م-3هـ /580-624م): ينتمي إلى بني أسد، وهو ابن عمة الرسول(ﷺ) أسلم قبل دخول الرسول(ﷺ) دار الأرقم، وكان ممن هاجر إلى الحبشة، وقد استشهد في غزوة أحد(3هـ/ 624م)، القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، رقم الترجمة 1484،ص878.

4_ الأنصاري: تفريج الكروب في تدبير الحروب، ص17.

5_ الهرثمي(صاحب المأمون أبو سعيد الشعراني ت: 234هـ/848م): مختصر سياسة الحروب، تح،عبد الرؤوف عون، مراجعة،محمد زيادة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة،1964م، ص24.

ثالثاً: أهمية عمل الرصاد والعيون عند العرب قبل العهد النبوي:

ظهرت مهمة الرصاد والعيون مع ظهور الأمم والدول ومع بروز الصراع من أجل البقاء بين هذه الأمم وتلك الشعوب، ونتيجة للتنافس بين الناس ظهرت الحروب، وظهرت الوسائل المختلفة لتحقيق النصر ولا يتم ذلك إلا بوضع خطط مدروسة من خلال الحصول على معلومات سابقة عن العدو، مع الحرص الشديد على عدم تسريبها إليه، والطريقة المناسبة لذلك تكون بواسطة الرصاد والعيون وقيامهم بالأعمال السرية والعلنية التي وظفت لتحقيق الأهداف الموضوعة، وكما قال الثعالبي:" إذكاء العيون أنقى للظنون".[1]

عمد العرب إلى استخدام الرصاد والعيون للتجسس على العدو، وقد تعددت مسمياتهم: فقد كان يقال لذلك الرجل(النذير العريان)" لأنه كان إذا رأى قوماً يتقدمون لمفاجأة قومه بغارة، وأراد إنذار قومه تجرد من ثيابه وأشار بها ليُعلم قومه أنه قد فاجأهم أمر"، [2] أو (الصريخ) وتعني المستغيث لأنه يسرع إلى قومه ويصرخ لينذرهم بدنو عدو منهم، [3] أو (القاصد) وهو من يقصد أحداً طلباً لحاجة أو تسهيلاً لأمر أو لإجراء وساطة، أو(المنذر) لأنه ينذر قومه وينبههم بقرب وقوع حادث عليهم، [4]ولضمان معرفة القبائل بالغرباء الذين يقدمون للزيارة أو التجارة أو العمل أو لأي غرض آخر، فكان يسمى من توكل له هذه المهمة من العيون(السهار) [5] فكان الساهر المتيقظ يتربص في الليل، وعادة ما يزاول مهمته السرية في الأماكن العامة والأسواق، أو عند تقاطع الطرق، أو أي من المواقع التي قد يرتادها الغرباء أو المشبوهون.

1_ الثعالبي (عبد الملك بن محمد ت:429هـ/1037م): التمثيل والمحاضرة، تح، عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، د.م، 1983م، ص153.

2_ علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5،ص409.

3_ ابن منظور: لسان العرب،مج3،س33.

4_ علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5،ص434.

5_ السهار:صيغة المبالغة لاسم ساهر ومشتقة من الفعل سهر أي لم ينم ليلاً،يقال: رجلٌ سهار أي لايغلبه النوم، والتسمية تشير إلى من يسهر ويكون يقظاً متأهباً خلال ساعات الليل، معلوف:المنجد في اللغة والأدب والعلوم،ص359.

استخدم العرب الرصاد والعيون قبل الإسلام، ولكن عملهم لم يقتصر على المجال العسكري بل استخدموا في المجال الاقتصادي، حيث كان على العيون أن تستطلع المنازل، والمراعي، والمياه، ولاسيما في أوقات الجدب وانحباس المطر، وكانوا يسمونه (الرائد) وهو من يتقدم القوم يُبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث، والرائد لا يكذبُ أهله، ولا يكذب إذا حدَّث، وهي تأتي من كون هذا الرائد يمثل عيناً متقدمة تسير أمام القوم لغرض الاستطلاع عن الماء والكلأ والاهتمامات الأخرى، [1]وكانت مهمة هذه العيون تنطوي على أهمية قصوى بالنسبة لسكان الجزيرة القاحلة، فالماء والكلأ من الضرورات التي يحتمها حب البقاء وديمومة الحياة، وكانا سبباً لوقوع الكثير من النزاعات والحروب عبر التاريخ.

كما كانت من المهام الموكلة إلى الرصاد و العيون تأمين القوافل التجارية وخطوط التجارة البرية، لاسيما طريق البخور،[2] وكان استخدام العيون لحماية الطرق التجارية يعد في بعض الأحيان بمثابة التزام بالعهود والمواثيق التي كانت تبرم بين قريش والقبائل كالإيلاف[3]وورد ذكرها في القرآن الكريم قال ﷻ:﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾،[4] وذلك

1_ ابن منظور: لسان العرب،مج3،ص187؛ مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، ص381.

2_ طريق البخور: هو أحد الطرق التجارية الرئيسة الذي يربط بلاد العرب ببلدان الشرق والغرب، ويشكل البخور السلعة الرئيسة التي يتاجر بها على هذا الخط، إذ يشكل البخور عنصراً مهماً في الطقوس الدينية التي كانت متبعة في العالم القديم، شعث(شوقي): طريق البخور والحرير، مجلة الحوليات الأثرية السورية، د.ع، دمشق ،1996م، مج42، ص152.

3_ الإيلاف: شيء يجعله هاشم ورؤساء القبائل من الربح ويحمل لهم متاع مع متاعه ويسوق إليهم إبلاً مع إبله ليكفيهم مؤونة الأسفار ويكفي قريش مؤونة الأعداء فكان ذلك صالحاً للفريقين، إذا كان المقيم رابحاً والمسافر محظوظاً، فكانت لقريش رحلتين في الشتاء نحو اليمن والحبشة وفي الصيف نحو الشام وفلسطين، الثعالبي (عبد الملك بن محمد ت:429هـ/1037م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح، إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، 1994م، ص215.

4_ القرآن الكريم: سورة قريش، الآيتان(1-4).

لضمان مرور القوافل بسلام وأمان فكان القريشيون يكثرون من نشر العيون والكشافة والمخبرين في مختلف المناطق.[1]

وكان الرصاد والعيون يتلقون تدريبات قاسية لاحتمال المصاعب البدنية والنفسية غير المتوقعة،وكانوا أحياناً يتطوعون للتنكر حتى لو ذلك يجر الكثير من الأذى والألم عليهم، وقد امتاز الرصاد والعيون بجلدهم وصبرهم على تحمل التشويه الاختياري للوجه عبر جدع الأنف والأذنين، [2] أو تغيير معالم وجوههم، بهدف خدمة قبائلهم، ولكي تنطلي الحيلة على الخصم، ويتم تحقيق الهدف، كما استخدموا النار للإنذار ليلاً والدخان نهاراً وإرسال الإشارات المتفق عليها كقرع الطبول أو غير ذلك من الوسائل، كما اعتمدوا على النساء ولاسيما الجواري منهن في جلب المعلومات، واستخدموا العبيد[3] للحصول على الأخبار المتعلقة بأسيادهم. [4]

برع العرب بالنشاط الاستخباري من خلال بث الرصاد والعيون، وقد استطاعوا من خلالهم حماية كياناتهم والحفاظ على ديمومة بقائهم عبر العصور، وقبل ظهور الإسلام واكب العرب تطورات الأحداث حولهم، وسخروا العيون وجندوها لحماية حدود أوطانهم، بل واستفادوا منها داخلياً لتوفير الأمن، واحتواء المنافسين لزعاماتهم، ودرء المخاطر المحدقة بمواردهم الاقتصادية، فالحصول على المعلومات من العيون تؤدي إلى الكشف عن نوايا العدو مبكراً وعن تحركاته، يوفر للقيادة الإنذار المبكر، فيتمكن من إنذار

1_ كرد علي(محمد): الإسلام والحضارة العربية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1934م،ج1، ص116.

2_ الطبري (محمد بن جرير، ت: 310هـ/ 923م) :تاريخ الرسل والملوك، تح،محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،ط2، 1967م، ج1، ص623.

3_ العبيد: من عَبُدَ عُبُوداً وعُبُوديَّةً مُلِكَ هو وآباؤهُ من قبل، أي انقادَ له وخضع وذَلَّ، والعبدُ: هو إنسان فاقد الأهلية ومملوك لإنسانٍ آخر يتصرف به كيف يشاء، حيثُ يستخدمه أو يؤجره يرهنه أو يبيعه أو يهبه، مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، ص579.

4_ حماد(أحمد): العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي(522-648هـ/1128-1250م)،الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، غزة، 2011م،ص53.

المقاتلين، ويعطي فرصة للاستعداد، واتخاذ الإجراءات الخاصة بمواجهة الأمر لتفويت الفرصة على العدو من أن يحقق هدفه. [1]

كان العرب القدماء يدركون قيمة فن الاستعلام عن طريق الرصاد والعيون بحيث يمكنهم معرفة ما يجري في بلاد العدو عقب إعلان الحرب، الأمر الذي يحقق الانتصار ومباغتة العدو،فاستخدموا العيون للتجسس على الأعداء في صورة تجار أو مسافرين أو على هيئة سرايا[2] صغيرة تتقصى آثار العدو، وتسأل من تلتقي به من الركبان[3] عنه، وقد تقبض هذه السرايا على بعض المسافرين من القبائل، وتحقق معهم، وتعرف خطة الأعداء، وعلى ضوء هذه المعلومات يرتب القادة الأسلوب الذي سيتخذ في مباغتة العدو لإنزال الضربة القاضية به، [4] ولا تقف معرفة أسرار العدو بعد انتهاء الحرب فإذا وضعت الحرب أوزارها، وكان السلم، استمر نشاط هؤلاء العيون المنبثون للدولة في بلاد جيرانهم أو أصدقائهم المتربصين أو المحتملين لكي يقوموا بموالاة التحري والتقصي والاستعلام والاستخبار في الشؤون جميعها سياسية، واقتصادية، وحربية، وطبوغرافية، ويوافون بها دولتهم أولاً بأول لكي تكون على الأهبة، أو على الأقل لا تؤخذ على غرة.[5]

كان للرصاد والعيون الدور الفعال عند العرب قبل العهد النبوي في تحقيق الانتصارات خلال الأيام المشهودة في حروب ما يسمى أيام العرب والأمثلة عن هذا

1_ الدغمي: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية،ص94.

2_السرية: من فعيلة بمعنى فاعلة، جمعها سرايا، سميت سريّة لأنها تسري ليلاً في خفية، وسميت كذلك لأن رجالها خلاصة العسكر وخيارهم، من الشيء السري النفيس، وهي قطعة من الجيش مابين خمسة أنفسٍ إلى ثلاثمائة، مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط،ص429.

3_ الرَّكْبُ: الرُّكبان وهم جمعٌ من العشرة فما فوق، والرّكبان: الإبل المركوبة أو الحاملة شيئاً أو التي يراد الحمل عليها، أو القافلة التي تخرج ليجاء عليها بالطعام، ابن منظور: لسان العرب، مج1، ص429؛ مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، ص368.

4_ الشافعي(محمد): مخابرات دولة الرسول(ﷺ)، د.د، مصر، 1996م، ص45.

5_ شوقي عبد الرحمن(أحمد): في محيط الدبلوماسية الملحق العسكري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص18.

الدور الهام كثيرة جداً، [1] لذا سيتم طرح مثالين عن دورهم لأن تركيز البحث سيكون على دورهم في العهد النبوي:

1- يوم السلان: [2] وهو أحد حروب العرب قبل الإسلام، كان بنو عامر بن صعصعة[3] قوماً حمساً[4] لقاحاً[5] ، فلما ملك النعمان بن المنذر[6] على الحيرة،

1_ ومن الأمثلة التي تجلى بها الدور الهام للرصاد والعيون بتفاصيل الأحداث في: يوم الوقيط، ويوم ذي قار، للمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص193؛ ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد، ت:630هـ/ 1233م): الكامل في التاريخ، تح،عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م،ج1، ص391-497.

2_ السلان: هي أرض تهامة مما يلي اليمن، وتعني الأودية وفي الأصل بطون الأرض التي تغطيها الأشجار، وهو يوم من أيام العرب،(ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، ت: 626هـ / 1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993م،ج3،ص234.

3_ عامر بن صعصعة: بطن من هوزان، من العدنانية، وينقسمون إلى أربعة أفخاذ: نمير، ربيعة، هلال، سواة، وكانت منازلهم كلهم بنجد، ثم نزلوا ناحية من الطائف، كحالة (عمر): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1997م،ج2، ص708.

4_ الحمس: المتشددون في دينهم، والحمس: الأمكنة الصلبة، وهي كلمة توحي بالشجاعة والانضباط والولاء للحَرَم، وهكذا أعلنت مكة نفسها داراً للحمس وسميت الكعبة بالحمساء، وضم هذا التحالف أو الحمس قريشاً وسكان مكة والعديد من القبائل القاطنة في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية من دون أن يربطها رابط النسب القبلي لهم عادات خاصة خلال الإحرام، وهي أيضاً نوع من أنواع الطرق الدينية التي لها أسلوب معين تمثل بالأسلوب المتعصب،ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت: 218هـ/ 833م): السيرة النبوية، تح، عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1990م، ج1، ص125؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج2،ص208.

5_ اللقاح: هم من لم يدينوا للملوك، ولم يصبهم في الجاهلية سباء، ابن منظور:لسان العرب،مج2، ص579.

6_ النعمان بن المنذر(...-5ق.م/...-608م): النعمان بن المنذر اللخمي،وهو أشهر ملوك المناذرة، صاحب يوم البؤس والنعيم، بنى مدينة النعمانية على دجلة،عزله كسرى وسجنه في المدائن، البعلبكي (منير): معجم أعلام المورد، إعداد: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص455.

[1] كان يجهز لطيمة[2]لتباع في سوق عكاظ،[3] فتعرض لها بنو عامر، فغضب الملك النعمان وبعث إلى وبرة بن رومانس الكلبي [4] أخيه لأمه، وبعث المشايخ، فأجابوه واجتمعوا بجيش كبير، وجهز النعمان معهم عيراً وأمرهم بتسيرها وقال لهم:" إذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم، [5] ورجع كل قومٍ إلى بلادهم، فاقصدوا بني عامر فإنهم قريب بنواحي السلان"،فخرجوا وكتموا أمرهم، فلما فرغ الناس من عكاظ، علمت قريش بحالهم عن طريق عيونهم، فأرسل عبد الله بن

1_ الحيرة: تقع وسط العراق، وهي عاصمة المناذرة وقاعدة ملكهم، تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينتي النجف الأشرف والكوفة، سمّيت كذلك لأن تُبَّع أبو كرب في إحدى الغزوات لما قصد خراسان، أتى موضع الحيرة وخلّفَ هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أثقاله، وتخلّفَ معه من ثقلَ معه من أصحابه في نحو اثني عشر ألفاً، وقال تحيّروا في هذا الموضع أي أقاموا به، فسمِّيَ الموضع الحيرة، وتوصف بطيب هوائها وعذوبة مائها وجودة صناعتها، وتميزت بنشاطها التجاري، البكري (عبد الله بن عبد العزيز، ت: 487 هـ / 1094م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح وضبط، مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945م، ج2، ص478؛ الحموي: معجم البلدان، ج2، ص328.

2_ لطيمة: وتعني وعاء المسك،جمعها لطائم، هي القافلة التي تنقل العطر والمسك والحرير والبزّ وغيرهما للتجارة، فهي قافلة تحمل تجارة نفيسة إلى الأسواق مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، ص827.

3_عُكاظ: نخل في وادي بينه وبين مكة ثلاث ليال، كانت تقام سوق عُكاظ في شهر شوال من كل عام، وسميت لأن العرب كانوا يجتمعون فيها فيتعاكظون أي يعكظ بعضهم بعضاً بالفِخار، ويقال: عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة وسميت عُكاظ بذلك،البغدادي: المحبر، ص267؛ الحموي: معجم البلدان، ج4، ص142؛ الألوسي(محمود شكري): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، صححه وضبطه، محمد الأثري، د.د، د.م،ط2، 1314هـ،ج1، ص267.

4_ وبرة بن رومانس الكلبي(...12هـ/...633م):من بني كلب اشتهر بنسبته إلى أمه رومانس، وهو أخو النعمان بن المنذر اللخمي لأمه، عاش إلى مابعد فتح الحيرة، الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط15،د.ت،ج7،ص295.

5_ الحرم: وهي الأشهر الحرم(ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب) حيث كانت العرب لا تستحل فيها القتال، إلا رداً للعدوان،والهدف من هذا التقليد عندهم تمكين الحجاج والتجار والراغبين في الشراء من الوصول آمنين إلى أماكن العبادة والأسواق والعودة بسلام، معلوف:المنجد في اللغة والأدب والعلوم،ص130.

جدعان[1] رسولاً إلى بني عامر يعلمهم بالخبر، فسار إليهم وأخبرهم بالأمر، فحذروا وتهيئوا وتحرزوا وزرعوا العيون على المقتربات، وعندما وصل جيش النعمان والتقى بجيش عامر بالسلان اقتتلوا اقتتالاً شديداً، وأسر وبرة الكلبي أخو النعمان، وانهزم جيش النعمان. [2]

ولقد كان للرصاد والعيون في حسم نتيجة هذه المعركة دوراً بارزاً، فنتيجة عدم أخذ الحذر والاحتراز والمحافظة على السرِّ والكتمان من جانب النعمان، يُقابلهُ تحوط واحترز بني عامر الذين جاءهم الخبر عن طريق رصاد وعيون قريش فأرسل عبد الله بن جدعان إليهم بالخبر، وقاموا هم بدورهم بنشر عيونهم فكانوا على بينة من خصومهم، ولذلك حققوا النصر في هذه المعركة.

2- **إنقاذ حياة النعمان بن المنذر:** كما أن أهم عمل يقوم به العين هو توفير الحماية الشخصية للملوك وعلية القوم وأسرهم، ومثال ذلك:حادثة مهمة تمكن فيها أحد عيون المناذرة من إنقاذ حياة النعمان بن المنذر، حيث أن أحد العيون أبلغ سيده أن هناك من يتربص بملك المناذرة لقتله، وأشار هذا العين على النعمان أن يلتزم الحذر، ويبعث برجاله للإمساك بالرجل الذي دخل أرض المناذرة خلسةً، وبفضل هذه المعلومة الاستخبارية من العيون، أمر الملك النعمان رجاله في الحال بالبحث عن الرجل وتعقبه، وبالفعل تم الإمساك به وهو يعد العدة لبلوغ مراده وقد قضى رجال النعمان عليه قبل أن يتمكن من تنفيذ مخططه. [3]

1_ عبد الله ابن جدعان (...-32 ق. هـ/...-590م): ابن عم عائشة رضي الله عنها، ويذكر أنه ممن حرم الخمر في الجاهلية، كان من سادات قريش، القمى(محمد رضا بن أبي القاسم، ت:1359 هـ/1940م): الكنى والألقاب، تقديم، محمد الأميني، مكتبة الصدر، طهران، ط4، 1977م، ج1، ص238.

2_ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص506.

3_ الأسمري(عبد العزيز): الفكر الاستخباري الإسلامي،د.د، الرياض،2018م،ص47.

رابعاً: دور الرصاد والعيون في أبرز أحداث العهد النبوي:

بعد أنّ شرف الله رسوله محمد(ﷺ)بالنبوة والرسالة، قسم العهد النبوي إلى قسمين المكّي والمدني، وكانا مرحلة تأسيس وبناء لكيان الدولة العربية الإسلامية، ووضع الأسس العامة التي سوف تحكم مسيرة الأمّة على طول التاريخ، ولقد قامت الدولة الجديدة على أساس الإسلام في كل شيء، سياستها، وحربها، وسلمها، وصِلاتها بالأفراد والجماعة، ثم انتشرت قوية راسخة في شرق العالم وغربه تقدم للناس أروع ما عرفته الإنسانية من مظاهر الحضارة والمدنية الصحيحة.

وكان للرصاد والعيون دوراً هاماً في جميع أحداث العهد النبوي، لكن البحث سيقتصر على أبرز الأحداث التي تجلى فيها دور الرصاد والعيون في العهد النبوي.

أ- **العهد المكّي:** واستمر ثلاث عشرة سنة تقريباً، إن من معالم هذه المرحلة، الكتمان والسرية، حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية تؤكد على وجوب المحافظة على السرية، وكان الصحابة يجمعون المعلومات عمن يريدون دعوته للإسلام، وكانت القيادة تشرف على ذلك فقد اهتم الرسول(ﷺ) بالأمن والاستخبارات وقام بإنشاء جهاز أمني استخباري منظم يشرف على الاتصال المنظم بين القيادة والقواعد ليضمن تحقيق مبدأ السرية، كما حرص الرسول(ﷺ) على نشر عيونه في مكة والتي زودته بكل تحركات زعماء قريش، وأهم الأحداث التي برز فيها دور الرصاد والعيون في هذه المرحلة:

ب- دار الأرقم: [1] كانت طبيعة المرحلة الأولى تتطلب سرية العمل الدعوي، ريثما تتهيأ الظروف المناسبة للجهر بها، فجعل الرسول(ﷺ) دار الأرقم بن أبي الأرقم[2] إحدى المقار السرية الهامة لإدارة عملياته الاستخبارية والدعوية، وأصبحت مركزاً جديداً للدعوة الإسلامية يتجمع فيها المسلمون، ويتلقون عن الرسول(ﷺ) كل جديد من الوحي، ويستمعون للرسول (ﷺ) وهو يذكرهم بالله ويتلو عليهم القرآن، ويعلمهم أمور دينهم، ويباحثهم في شأن الدعوة،[3] وكانت تتمتع بكل ميزات البيت الآمن، وكان اختيار دار الأرقم للأسباب التالية:

1- مكان الدار حيث تقع عند جبل الصفا، وهو مكان يقصده سكان مكة بكثرة، وذهاب المسلمين إلى ذلك المكان لن يثير الأنظار إليهم.

2- أن الأرقم بن أبي الأرقم من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تنافس بني هاشم، ولن يتصور المشركون أن يحتضن بيت مخزومي الدعوة الإسلامية التي يتزعمها الرسول محمد الهاشمي(ﷺ)، قال واثلة بن الأسقع:[4] سمعت رسول

1_ دار الأرقم: تسمى بدار الإسلام،وهي اسم جدير بماضيها المجيد، وأثرها في خدمة الإسلام فهي حصنه الأول ومعقل قادته العظام،تقع الدار عند جبل الصفا، وقد تصدق بها الأرقم بعد ظهور الإسلام على ولده، والذي قضى بعدم توارثها أو بيعها، واستمر الحال هكذا حتى خلافة أبي جعفر المنصور، حيث اشتراها من أبناء الأرقم ومنحها لابنه المهدي،فأهداها لزوجته الخيزران ونسبةً لها سميت بدار الخيزران،رفعت باشا(إبراهيم): مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1925م، ج1،ص192.

2_ الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف المخزومي(...-55هـ/590-675م): صحابي من السابقين الأولين في الدخول إلى الإسلام، شارك مع الرسول في كل غزواته، توفي في المدينة المنورة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة 116،ص38.

3_ الأزرقي(محمد بن عبد الله ت: 250هـ/ 864م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار،تح،عبد الملك بن دهيش،مكتبة الأسدي، د.م،2003م،ج1،ص900.

4_ واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة(..._ 83 هـ/ ..._702م): يقال الأسقع لقبٌ واسمه عبد الله يكن أبا الأسقع أسلم قبل تبوكٍ وشهدها وروى عن النبي(ﷺ)وعن أبي هريرة

الله(ﷺ)يقول: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم".[1]

3- صغر سن الأرقم إذ كان ابن ست عشرة سنة، وهذا سن شخص يُستبعد أن يجتمع الناس في بيته، فقد يخطر على ذهن المشركين أن يكون مكان التجمع على الأغلب في أحد دور بني هاشم، أو بيوت كبار الصحابة.

4- لم يكن إسلام الأرقم معروفاً لدى أهل مكة، وكان سراً على قبيلته وعلى غيرهم، ولايمكن أن يتصور المشركين أن بيته حينئذ مكاناً لاجتماع المسلمين، لأن صاحبه لم يدخل في دين الإسلام. [2]

ويلاحظ أن هذه الدار كانت محاطة بالكتمان التام، وحافظ على ذلك العيون التي عينها الرسول(ﷺ) لذلك، ولم يُعلم أن قريش داهمت ذات يوم هذا المقرّ السرّيّ، فقد كان اختياره في غاية الحكمة من الناحية الأمنية، حيث اختار أكفأ العناصر والعيون للحفاظ على سرية الدعوة ومنهم: **أم جميل فاطمة بنت الخطاب** [3] وتصرفها مع أم الخير[4] والدة أبي بكر الصديق ﷺعندما ذهبت إليها تسألها عن مكان الرسول(ﷺ) لكي تحمل أبا بكرﷺ إليه بعد أن أغمي عليه من ضرب قريش له، فقد أخفت أم جميل عن والدة أبي

ﷺوأم سلمة رضي الله عنها، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة 9144، ص1561.

1_الألباني (محمد ناصر الدين): سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م، رقم الحديث302،مج1 ، ص610.

2_ غلوش(أحمد): السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة،القاهرة، 2003م،ص457.

3_ فاطمة بنت الخطاب: هي أخت عمر بن الخطابﷺ، تكنى بأم جميل، ولقبها أميمة، زوجها سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين في الجنة،أسلمت قديماً أول الإسلام، توفيت في المدينة المنورة، وتاريخ وفاتها مجهول، ابن سعد (محمد بن منيع الزهري ت: 230هـ / 845م): كتاب الطبقات الكبير، تح، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م،رقم الترجمة5041،ج10،ص253.

4_ أم الخير: سلمى بنت صخربن عامر التيمية، لقبت بأم الخير لأنها كانت أم أبي بكر الصديقﷺ، زوجها أبو قحافة عثمان بن عامر،قيل أنها أسلمت قديماً مع ابنها أبي بكرﷺ، توفيت قبل زوجها في خلافة عمر بن الخطابﷺ، وتاريخ وفاتها مجهول، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة 12051،ص1995.

بكر إسلامها ولم تخبرها بمكان الرسول(ﷺ) بل طلبت منها رؤية أبي بكر، فلما ذهبت أم جميل لأبي بكر ومعه والدته طمأنها أبو بكر من ناحية والدته فما كان من أم جميل إلا أن تمثلت الحس الأمني حتى إذا هدأت الرِّجلُ وسكن الناس خرجت هي وأم أبي بكر ومعهما أبو بكرﷺ يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على الرسول(ﷺ)،[1]لقد تصرفت أم جميل بحيطة تامة ووعي أمني استخباري مما يبين دور العيون العظيم، في عملية الذهاب بأبي بكر إلى الرسول(ﷺ)، في وقت تكون المراقبة منعدمة من قريش، خاصة بعد أن تهدأ الرِّجلُ، ويسكن الناس

وأيضاً **سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه** فحينما جاء أبو ذر الغفاري [2] يبحث عن الرسول(ﷺ)، فعندما أراد من علي بن أبي طالب **كرم الله وجهه** أن يأخذه إلى دار الأرقم لمقابلة الرسول(ﷺ) اتفق معه على مصطلح معين في حالة وجود مراقبة أو متابعة من قبل الأعداء فقال له:" إن رأيتُ أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأن أصلح نعلي، أو كأني أُريقُ الماءَ"،[3] ويتبين من ذلك أن سيدنا علي بن أبي طالب **كرم الله وجهه** كان عيناً يراقب الأعداء أثناء ذهابه إلى المقر السرّيّ للدعوة الإسلامية، كما أنهما استخدما الإشارة في حالة الخطر، مما يبين الاهتمام بالسرية والكتمان أثناء الذهاب إلى المقر السرّيّ في دار الأرقم.

ت- **العهد المدني:** واستمر عشر سنوات كاملة، وأبرز الأحداث التي تجلى فيها دور الرصاد والعيون في هذه المرحلة وهي:

1- **<u>دور الرصاد والعيون في الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة:</u>** كانت الهجرة النبوية أعظم حدث حول مجرى التاريخ الإسلامي، وكانت فيصلاً بين

1_ ابن كثير(إسماعيل بن عمر، ت:774هـ/1373م): البدايةوالنهاية، تح، عبد الله التركي، دار هجر، مصر، 1997م،ج4،ص76.

2_ أبو ذر الفغاري(ت: 31هـ/651م): هو جندب بن جنادة من بني غفار، أسلم قبل الهجرة،كان أبو ذر في الجاهلية يتكسَّب من قطع الطريق،كما كان موحداً، ولا يعبد الأصنام، وسمي بذلك من شدة إيمانه كان إذا وجد ذر وهو النمل الصغير رفعها عن الطريق حتى لا تدوسها أقدامه ولا أقدام الآخرين، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة 9971، ص1666.

3_ ابن كثير: البداية والنهاية،ج4،ص86.

مراحل الدعوة الإسلامية المكّية والمدنية نقلت المسلمين من الضعف إلى القوة ومن الدعوة إلى عهد الدولة العربية الإسلامية في المدينة المنورة، أذن الله للرسول(ﷺ)بالهجرة في سنة 613م إلى المدينة المنورة لنشر الدين الجديد، وفي(12ربيع الأول1هـ/24تشرين الأول622م)،هاجر الرسول(ﷺ)إلى المدينةالمنورة،[1]واكتسب عدداً كبيراً من الأنصار، لذلك عمل الرسول(ﷺ) على ترسيخ دعائم المجتمع وتأسيس الدولة العربية الإسلامية.

وأبرز الأدلة على اعتماد الرسول(ﷺ) على الرصاد والعيون في العهد المدني ما تم في الهجرة إلى المدينة المنورة حيث وضعت خطة أمنية في غاية الدقة والإتقان في التنفيذ، ويمكن القول أن أول جهاز استخبارات في العهد النبوي كان لا يتجاوز ستة أشخاص، حين بدأ الرسول(ﷺ) التخطيط للهجرة من مكة للمدينة المنورة حيث كان بحاجة إلى كمٍ من المعلومات عن قريش لنجاح مهمته، وإحباط كل مخططات المشركين لاغتياله، وقد حدد الرسول(ﷺ) المهام للجهاز الأمني من الرصاد والعيون في الهجرة النبوية على الشكل التالي:

1_ المباركفوري (صفي الرحمن ت 1427هـ/2006م): الرحيق المختوم، بحث فائز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية لرابطة العالم الإسلامي، دار إحياء التراث، الهند،2007م، ص164.

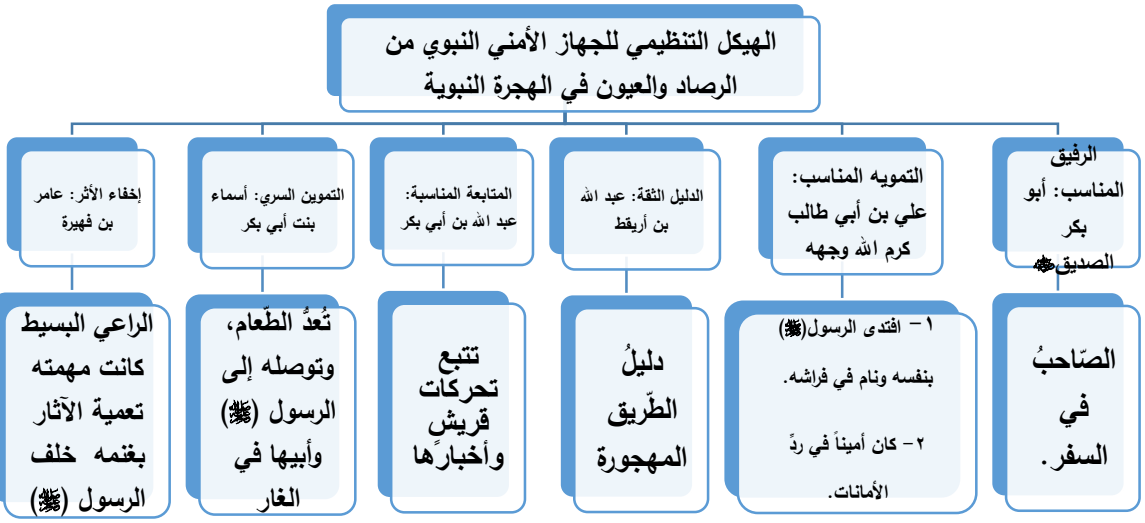

وتركز المنهج النبوي في السرية للهجرة إلى المدينة المنورة لإفشال عمل الرصاد والعيون المجندين من جانب المشركين والاعتماد على عناصر مميزة كعيون للرسول(ﷺ) في هجرته على الشكل الأتي:

أ– اختيار الرفيق المناسب في السفر وهو أبو بكر الصديقﷺ، عندما انطلقوا إلى غار ثور[1] كان أبو بكر يسير مرة أمامه ومرة خلفه، فلما سأله الرسول(ﷺ) عن سبب ذلك أجاب أبو بكرﷺ: يا رسول الله اذكر الطلب فامشي خلفك، واذكر الرصد فامشي بين يديك، واستمراراً بالتمويه والسرية في الهجرة فعندما كان الرجل يلقى أبو بكرﷺ فيقول: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني الطريق.[2]

1_ غار ثور: يقع في الجهة الشمالية من جبل ثور جنوب مكة،يقع على جبل يبلغ ارتفاعه نحو760م عن سطح البحر، وهو عبارة عن صخرة مجوفة ارتفاعها 1,25م، وله فتحتان فتحة في جهة الغرب وهي التي دخل منها الرسول وأبو بكر، وفتحة من جهة الشرق، الحموي: معجم البلدان، ج2،ص86.

2_ ابن كثير: البداية والنهاية،ج4،ص448؛ المباركفوري: الرحيق المختوم،ص168.

ب-ذهاب الرسول(ﷺ) إلى أبي بكر الصديقﷺ ساعة الظهيرة وقلما يوجد إنسان خارج منزله في هذه الساعة، فالخروج في هذا التوقيت أضمن ما يكون للسرية، وأضمن أن يخفى عن العيون، والخروج من غير الباب الرئيسي لبيت أبي بكرﷺ خشية وجود عيوناً للمشركين للمراقبة، فستكون العيون راصدةً لباب البيت بالذات يرصد فيه الداخلون والخارجون، وذلك للمحافظة الدائمة على السرية، ووضع الاحتمالات الكثيرة لتخطيط العدو ومراقبته. [1]

ج- التمويه المناسب فمبيت سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في فراش الرسول(ﷺ) للتمويه والتعمية والمباغتة على المشركين، فقد افتدى الرسول(ﷺ) بنفسه ونام في فراشه، لمَّا أحاط زعماء قريش ببيت الرسول (ﷺ) يريدون قتله، فأعمى الله أعينهم عن الرسول(ﷺ) وخرج من بينهم آمناً، وكاد القوم أن يقتلوا علياً كرمَ اللهُ وجهَهُ لاعتقادهم بأنه الرسول(ﷺ)،وهذا يدل على شجاعة الإمام علي كرمَ اللهُ وجهَهُ وقوة إيمانه، ومساندته للدعوة الإسلامية،وقد اختاره الرسول(ﷺ) لقوته الجسدية وشجاعته ولاستطاعة سيدنا علي كرمَ اللهُ وجهَهُ على التصرف في المواقف الطارئة، كما أمنه برد الأمانات لأهل مكة، لأن الأمانة من القيم الأخلاقية التي أمر الله تعالى بها. [2]

د- اختيار الدليل الثقة عبد الله بن أريقط وهو من المشركين والاتجاه إلى غار ثور على غير طريق المدينة المنورة فسلكا طريقاً مهجورة وعكس الطريق الرئيسية فسلكوا طريقاً لم يكن يسلكه أحداً إلا نادراً للتضليل والحذر من المتابعة من قبل رصاد وعيون المشركين،وذلك لأن قريش وضعت جميع الطرق النافذة من مكة وفي جميع الاتجاهات تحت الرصد والمراقبة المسلحة الشديدة، وكذلك البقاء في الغار ثلاثة أيام لتجنب الوقوع في قبضة العدو، وسبب التزام الدليل مع

1_ الغضبان(منير): المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن،1990م، ص189.

2_ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص124.

الرسول(ﷺ) يرجع إلى: التزامه بما اعتادت عليه العرب في ذلك الوقت من المحافظة على العهد والأمانة، وأنه كان يكتم تعاطفه مع دعوة الرسول(ﷺ). [1]

هـ- المتابعة المناسبة واستمرار وصول المعلومات عن مكة لمتابعة التطورات عن طريق عبد الله بن أبي بكر فكان عيناً للرسول (ﷺ)ليستمع ويتنصت على الأخبار في مكة على مدى ثلاث ليال متتالية ينسل سراً من مكة إلى الغار ويزود الرسول (ﷺ) بتقارير مفصلة عما يحدث في مكة ونوايا قادتها، وقد كانت تقاريره السرية ذات أهمية قصوى لحماية الرسول(ﷺ) وأبي بكرﷺ في تلك الرحلة المصيرية،وفي ذلك توظيف لحنكة وحكمة الشباب. [2]

و- التأمين السرّيّ للزاد عن طريق أسماء بنت أبي بكر وسميت ذات النطاقين لأنها صنعت للرسول(ﷺ)طعاماً حين هاجر إلى المدينة المنورة، فلم تجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام. [3]

ز- إزالة آثار الرسول(ﷺ) وأبو بكرﷺ وآثار مسير عبد الله وأسماء عن طريق راعي الغنم عامر بن فهيرة[4] من خلال تسيير غنمه في المنطقة لإخفاء أثارهم، وكان يزود الرسول(ﷺ) وأبو بكرﷺ بألبان من الغنم الذي معه خلال فترة وجودهم بالغار، وقد اختاره الرسول(ﷺ)عيناً له لما يتحلى به من شجاعة، وأمانة، وقوة،

1_ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص132؛ المباركفوري: الرحيق المختوم،ص164-165.

2_ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2،ص5؛ ابن كثير: البداية والنهاية،ج4،ص456.

3_ أسماء بنت أبي بكر الصديقﷺ(...-73هـ/...-692م): لها العديد من الأحاديث، توفيت بمكة، الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ت : 748 هـ /1347م) : سير أعلام النبلاء، اعتنى به، حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 2004م، ،رقم الترجمة971، ص1086؛ المباركفوري: الرحيق المختوم،ص166.

4_عامر بن فهيرة(36ق.هـ-4هـ/585-625م): مولى أبو بكر الصديقﷺ،كان حافظاً وأميناً لرسول الله(ﷺ)، وكان له دور في الهجرة النبوية،استشهد في سرية بئر معونة، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة4484،ص758.

فقد كان خلال النهار يخالط الرعاة في المنطقة ويستمع لهم بانتباه شديد وكانت هذه التفاصيل تصل إلى الرسول(ﷺ) في الليل. [1]

2- **دور الرصاد والعيون في السرايا والغزوات:** سئل بعض من جرب الحرب، وخاض غمارها، وتمرس بها عن أحزم المكائد فيها فقال :" إذكاء العيون، وإفشاء الطلائع، واستطلاع الأخبار"، [2] كما سئل بعض الملوك عن وثائق الحزم الحزم في القتال فقال:" إعداد العيون على الرَّصد"،[3] وهذا الأمر عرفه المسلمون في العهد النبوي خلال السرايا والغزوات[4] التي قادها الرسول(ﷺ) ضد أعدائه، فكان يهتم بالعيون التي تقوم بجمع المعلومات عن العدو خاصة عن قواته الحربية عددها وعُدَدِها في وقت الحرب.

استمرت السرايا والغزوات النبوية من(1هـ/622م) حتى (9هـ/630) والبحث في تفاصيلها موضوع واسع، وبما أن الغرض من البحث دور الرصاد والعيون في أبرز أحداث العهد النبوي، لذا سيقتصر البحث على شرح أبرز السرايا والغزوات التي كان للرصاد والعيون دوراً بارزاً فيها، وسيتم التطرق لأشهر غزوتين وهما(بدر وأُحُد والخندق)، حيث جهز الرسول(ﷺ) خلال ثلاثة عشر شهراً من إقامته بالمدينة المنورة

1_ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2،ص5؛ ابن كثير: البداية والنهاية،ج4،ص459.

2_ ابن عبد ربه(أحمد بن محمد ت:328هـ/939م): العقد الفريد، تح، مفيد قمحية،دار الكتب العلمية، بيروت،1983م، ج1،ص85.

3_ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1،ص90.

4_السرية: تشمل كل من بعثه الرسول(ﷺ) في مهمة حربية قلة كان أم كثرة، وللتفريق بين ما حضره الرسول(ﷺ) وما لم يحضره، أطلق على ما خرج فيه الرسول (ﷺ)اسم غزوة، وما خرج فيه أحد قادته اسم السرية، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير،ج2، ص6.

سرايا وغزوات اتخذت نمط إرسال البعوث والرصاد والعيون لجمع المعلومات من أجل اعتراض الخصم أو القتال إذا استدعى الأمر، والعمل على الحد من خطر قريش وتهديداتهم وذلك بقطع عصب الاقتصاد المكي وشل حركته، فتركزت أعمال الرصد والتحري من العيون على معرفة أوقات تحرك القوافل، وأعدادها، ومن يقوم عليها، والطرق التي ستسلكها في رحلاتها.[1]

أ- **الدور الأبرز للرصاد والعيون في أهم السرايا:**

1- في شهر رمضان من سنة(1هـ/622م) أُبلغ رسول الله(ﷺ) عن طريق عيونه بمعلومات سرية حول قدوم قافلة لقريش قادمة من بلاد الشام، فأمر رسول الله(ﷺ) بتحرك سرية لاعتراضها بقيادة حمزة بن عبد المطلب[2] لاعتراض قافلة تجارية مكية قادمة من جهة ساحل البحر الأحمر،[3] وهذا يوضح لنا مدى صحة ودقة المعلومات التي وصلت من العيون وعلى ضوئها تحركت السرية العسكرية، مما يؤكد أن تلك العيون كانت تتمتع بدرجة عالية من المصداقية وقدرة الوصول إلى أدق المعلومات عن تحركات القوافل القرشية.

2- كما رصدت عيون المسلمين في شهر شوال من سنة(1هـ/622م) معلومات أخرى عن قدوم عير[4] لقريش متجهة إلى مكة، وكان يقودها أبو سفيان فوجه

---

1 _ المغلوث (سامي): الأطلس التاريخي لسيرة الرسول (ﷺ)،مكتبة العبيكان، الرياض، ط3، 2004م، ص143_ 151.

2_حمزةﷺ (54 ق. هـ _ 3 هـ /568_ 624م):هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي عم النبي (ﷺ)، ولد قبل النبي (ﷺ)بسنتين، وأسلم في السنة الثانية من البعثة، شهد بدراً (2هـ / 623م) واستشهد بأحد (3 هـ / 624م)؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة ، رقم الترجمة 2014، ص343.

3_ الواقدي (محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ت: 207 هـ/823م): المغازي، تح، مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، د.ت،ج1، ص9؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، ص197.

4_ العير: القوم معهم حملهم من المِيرَةَ، يقال للرجال وللجمال معاً، ولكل واحد منهما دون الآخر، فالعير: هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره، وتجوز لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة، مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، ص639.

الرسول(ﷺ) سرية بقيادة عبيد بن الحارث إلى بطن رابغ،[1] وهذا أيضاً ما يؤكد على براعة مصادر المسلمين في نشاط العيون في جمع المعلومات، ودقتهم في تحديد أماكن تواجد المستهدفين، كما أن جاهزية السرايا في التحرك السريع، وتحقيق عنصر المفاجأة للخصم الذي زرع الرهبة والرعب في قلوب الأعداء.

3- تواصلت أعمال الرصاد والعيون في أعمالها، ففي شهر ذو القعدة من سنة(1هـ/622م)رصدت عيون المسلمين عيراً لقريش في منطقة الخرار،[2] فأمر الرسول(ﷺ) بتحرك سرية من المشاة بقيادة سعد بن أبي وقاص[3] وكانوا لنفس الهدف، لكن القافلة كانت قد عبرت وأفلتت منهم قبل وصولهم، [4] وقد حققت هذه السرية أهم أهداف إستراتيجية الردع الإسلامية ألا وهو إظهار القوة وبث الرعب في قلوب الأعداء، ومنعهم من الإقدام على أي عمل قد يضر بالمسلمين في المدينة المنورة.

4- وفي أواخر سنة(1هـ/622م) خرج الرسول(ﷺ)إلى الأبواء[5] في غزوة هدفها اعتراض إحدى القوافل التجارية المكية، كما خرج في أوائل سنة(2هـ/623م)إلى

1_ الواقدي: المغازي، ج1، ص10؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، ص198.

2_ الخرار: مكان بالحجاز شمال شرق مكة، وهو قرب الجحفة،الحموي: معجم البلدان،ج2،ص350.

3_ سعد بن أبي وقاص بن أهيب القرشي (23ق. هـ-55 هـ/603-674م): صحابي وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم وعمره17 عاماً، قاد معركة القادسية وفتح العراق، وبنى الكوفة وتولاها في عهد عمر بن الخطابﷺ، توفي في عهد معاوية بن أبي سفيان، ابن سعد:الطبقات، رقم الترجمة 62،ج3،ص129؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم الترجمة 2223،ج2، ص1748.

4_ الواقدي: المغازي، ج1، ص11؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، ص198.

5_ الأبْوَاءُ: قيل: سمّي بذلك لمّا فيها من الوباء بسبب تبوُّء السيول بها، وهي قرية من قرى المدينة، وبها توفيت أمُّ الرسول(ﷺ) ودفنت بها، البكري (عبد الله بن عبد العزيز، ت: 487 هـ / 1094م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح وضبط، مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945م، ج1، ص102؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص79.

بواط[1] لاعتراض قافلة مكية مكونة من ألفين وخمسمائة بعير، وفي نفس السنة نفسها خرج الرسول(ﷺ) إلى غزوة ذي العشيرة[2] لاعتراض عير لقريش وعند وصوله وجد أن العير قد عبرت قبله بأيام،[3] ويبدو أنه بالرغم من صحة ودقة المعلومات التي وصلت للرسول(ﷺ) من عيونه، إلا أنه تأخر وصولها للرسول(ﷺ) حال دون التمكن من اعتراض القافلة في المكان والوقت المناسبين، وهو ما يؤكد لنا أهمية عامل الوقت عند تمرير المعلومات الاستخبارية من الرصاد والعيون.

5- سرية نخلة [4] أو سرية عبد الله بن جحش(2هـ/623م): [5]رسم الرسول(ﷺ) خطة استراتيجية تهدف إلى فرض حصار على مكة وخنقها اقتصادياً، لذا كان لابد من الحصول على المعلومات الدقيقة الموثوقة عن القوافل وحمولتها وحراستها والطرق التجارية التي ستسلكها، لذا انطلقت العمليات السرية لجمع المعلومات عن أوضاع مكة وأهلها وخاصة مايتعلق بالنشاط التجاري، حيث قام الرسول(ﷺ) بإرسال العيون إلى حدود مكة، وأرسل عبد الله بن جحش على رأس مجموعة من ثمانية أفراد ليكتشفوا منطقة بعينها بين مكة والمدينة المنورة ، وكلفوا بجمع معلومات عن أهل مكة ورصد مالديهم من أخبار وقد تمركزت لرصد

1_بواط: وادي من أودية القبلية، من ناحية رضوى، تقع شمال غرب المدينة المنورة، البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،ج1،ص283.

2_ ذي العشيرة: قرية بأسفل ينبع النخل، والعُشيرة تصغير عُشرة وهي شجرة معروفة، وتشتهر هذه المنطقة بجودة التمر البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،ج3، ص945.

3_ للمزيد من التفاصيل حول هذه الغزوات راجع: الواقدي: المغازي،ج1، ص9_19؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج2،ص9_12؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، ص197_200.

4_ نخلة: موضع بين مكة والطائف، تقع على بعد480كم من المدينة المنورة،الحموي: معجم البلدان،ج5، ص277.

5_عبد الله بن جحش(...580م/3هـ_625م): صحابي من المهاجرين، وهو ابن عمة الرسول(ﷺ)، وأخو أم المؤمنين زينب بنت جحش، هاجر إلى الحبشة ثم إلى يثرب،وشارك في غزوة بدر وقتل في غزوة أحد،ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة39،ج3،ص84.

الطريق الإمداد الاقتصادي والتجاري لقريش، ورصد القوافل المتجهة نحو الطائف[1] من مكة وكانت العير القرشية فيها خمر وأدم وزبيب جاؤوا بها من الطائف،[2] وقد حققت هذه السرية المهمة نجاحاً طيباً إلا أنها تجاوزت ما وجهت به، حيث قامت بالتربص والاستيلاء على القافلة وقتل قائدها وأسر بعض الرجال من حراسها .[3]

امتاز الأسلوب العسكري النبوي في هذه السرية بـ:

1- السّرِّيَّةِ التامة من حيث العدد والأشخاص وطبيعة المهمة ونوعها ووجهتها.

2- ابتكار أسلوب عسكري جديد في فن الحرب العسكرية وهو الرسائل المكتومة: حيث قال عبد الله بن جحش دعاني الرسول(ﷺ) فأعطاني صحيفة وقال لي:" قد استعملتك على هؤلاء النفر، فامض حتّى إذا سرت ليلتين فانشر كتابي، ثم امض لما فيه"،ثم نفذ عبد الله ذلك فلما نشر الكتاب قرأه فإذا فيه:" سِرْ حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصّد بها عير قريش، وتعلم لنا من أخبارهم"، فقام رجال هذه السرية بقيادة عبد الله بن جحش وجمعوا المعلومات ورصدوا تحركاً تجارياً كبيراً بقافلة عظيمة،ونجحوا بقتل قائدها وأسروا اثنين منهم

1_ الطائف: سميت بالحائط الذي بناه حولها بني ثقيف وأطافوه به تحصيناً لها وكان اسمها وَجّ، تقع جنوب شرقي مكة المكرمة بينها وبين مكة المكرمة 99كم، حاصرها الرسول (ﷺ)سنة (8هـ / 629م) واستخدم فيها المنجنيق لأول مرة في الإسلام؛ البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص886؛ الحميري (محمد بن عبد المنعم، ت: 900هـ/1494م):الروض المعطار في خبر الاقطار، تح،إحسان عباس،مكتبة لبنان،بيروت،ط2 ،1984م، ص379.

2_ حميد الله (محمد): مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط4، 1983م، ص68.

3_الثمانية هم: عبد الله بن جحش، أبو حذيفة بن عتبة،عامر بن ربيعة، واقد بن عبد الله التميمي، عكاشة بن محصن، خالد بن أبي البكير، سعد بن أبي وقاص، عتبة بن غزوان، الواقدي: المغازي، ج1،ص19.

وعادوا بهما إلى المدينة، فأخذ الرسول(ﷺ)الغنيمة والأسيرين، [1] لقد كانت خبرة الرسول (ﷺ) ببعوثه وسرايا الرصد والاستطلاع تستند على اختيار المكان والهدف ومن يتولى مهمة العين أو الرصد وتزويدها بالوصايا، وأنه في المهام السريعة والحساسة ذات الطبيعة الخاصة يجب أن يكون اختيار المشاركين تبعاً لرغبة المقاتل في القيام بالمهمة، إضافة وزيادة على ما يتمتع به من مهارات ومؤهلات.

ويمكن القول هنا بأن العيون التي كانت ترصد المعلومات لرسول الله(ﷺ) كانت على قدر كبير من المصداقية وذات قدرة كبيرة للوصول لأدق المعلومات، وكلها كانت ترصد مكر الأعداء وتحركاتهم وذلك لحماية الدعوة العربية الإسلامية، والعمل على نشرها، ودفاعاً عن المدينة المنورة ولتقويض التجارة المكّية وضربها، وما يدل على ذلك أنه لم تُسجّل في سيرة الرسول(ﷺ) أية غزوة حتى فتح مكّة، إلا واتسمت بسمة محاصرة تجارة مكّة وقطع طرق قوافلها.[2]

1_ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص410؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2،ص12.

2_ سحاب (فكتور): إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف،المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م، ص411.

ب- الدور الأبرز للرصاد والعيون في أهم الغزوات(بدر_ أُحد_ الخندق):

1- غزوة بدر (2هـ/623م):[1]

يظهر من دراسة الغزوات والسرايا التي وجهها الرسول(ﷺ) للتعرض لقوافل مكة التجارية، أن الرسول(ﷺ) اتخذ خطوات عملية من أجل محاصرة قريش وإضعافها من خلال السيطرة على طرق القوافل التجارية، ولكي ينجح الحظر الاقتصادي كان لابد من توافر استخبارات اقتصادية دقيقة من خلال تجميع معلومات مفصلة عن القوافل المارة أو العابرة إلى مكة، للوقوف على أحجامها وحمولتها وخط سيرها والمجموعات المرافقة المكلفة بحمايتها، من هنا كان الرسول(ﷺ) يبعث بالرصاد والعيون الذين كانوا يجوبون أنحاء الصحراء باحثين عن أخبار القوافل القرشية، وكان أهمها العيون التي رصدت له معلومات عن قدوم قافلة أبي سفيان والتي نتج عنها غزوة بدر، لن يتم التطرق لتفاصيل وأحداث الغزوة، لكن سيتم شرح دور الرصاد والعيون في هذه الغزوة، استفاد طرفي الغزوة من الرصاد والعيون في الحصول على المعلومات ليتجنبوا المباغتة، وقد أكثر الرسول(ﷺ) من الرصاد والعيون في هذه الغزوة، ويرجع ذلك إلى أنها أول غزوة كانت للرسول(ﷺ) مع المشركين، فكانت المعلومات ضرورية نظراً لما يترتب عليها من آثار خطيرة، وقد بعث الرصاد والعيون في أكثر من اتجاه:

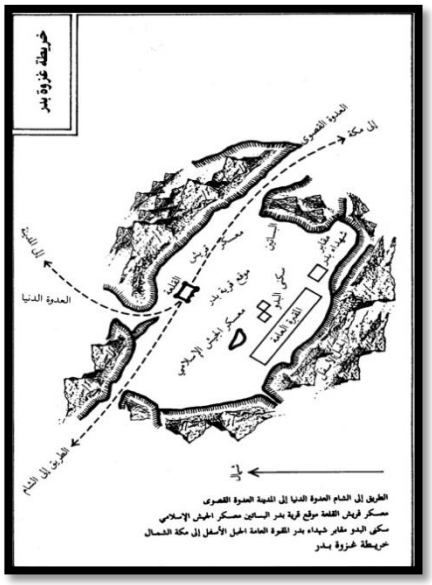

1_ بدر: هو موضعٌ وماءٌ مشهور بين مكة والمدينة المنورة، قيل أنها سميت بدر بذلك لأن رجلاً يدعى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة هو من احتفر البئر فغلب اسمه على المكان، الحموي: معجم البلدان، مج1، ص358

1- في بداية غزوة بدر بعث الرسول(ﷺ) باثنين من الصحابة يتحسسان عن أخبار قريش وهما: طلحة بن عبيد الله،[1] وسعيد بن زيد،[2] فنزلا على كشد الجهني،[3] بمنطقة النخبار من وراء ذي المروة على الساحل، فشاهدا القافلة وحمايتها من الرجال، وكان أبو سفيان يقوم بمهمة الرصد الشخصي فعندما مرَّ بالنخبار سأل كشد: يا كشد هل رأيت عيون محمد؟ فيقول: أعوذ بالله، وأنى عيون محمد بالنخبار؟ ثم انطلقا طلحة وسعيد ومعه كشد إلى المدينة لإبلاغ الرسول(ﷺ) بأمر القافلة، وحجم حمولتها،غير أنهما وجداه قد خرج بالمسلمين نحو بدر لأنه علم بأمر القافلة من مصادر أخرى من عيونه ورصاده،[4] وهذا يدل على أن الرسول(ﷺ) كان يبعث رصاداً وعيوناً في أكثر من اتجاه للإسراع بالحصول على المعلومات الدقيقة.

1_ طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي(28ق.هـ_36هـ/594_656م): كان من دهاة قريش وعلمائهم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين اختارهم الخليفة عمرﷺليختاروا خليفة بعده،أسلم مبكراً ،لقب ب"طلحة الجود"،"طلحة الخير"،" طلحة الفياض"، فكان لايدع أحداً من بني تميم عائلاً إلاَّ كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دينه، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة رضي الله عنها، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة 69،ج3،ص196؛ابن حجر العسقلاني: الإصابة، رقم الترجمة 4306، ص729.

2_ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل(22ق.هـ_ 51هـ/_671م): هو ابن عم عمر بن الخطابﷺ، وصهره، شهد المشاهد كلها إلا بدراً لأنه كان بمهمة أرسله الرسول(ﷺ) إليها، كان من ذوي الرأي والحكمة، شهد اليرموك، و ولاه أبو عبيدة دمشق، توفي في المدينة المنورة، ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد، ت: 630هـ/ 1233م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح،علي معوض، عادل الموجود،تقديم، محمد البري،عبد الفتاح أبوستة، جمعة النجار،دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت، رقم الترجمة2076، ج2، ص476؛ الزركلي: الأعلام، ج3،ص94.

3_ كشد بن مالك الجهني: كان منزله بالنخبار من أملج الحوراء، وهو وادٍ معروف باسمه اليوم، أجار في بيته العيون التي أرسلها الرسول، ولم يخبر المشركين بأمرهما، الواقدي: المغازي، ج1،ص19

4_ الواقدي: المغازي، ج1،ص19.

2- بعث الرسول(ﷺ) باثنين من الصحابة يتحسسان عن أخبار قريش وهما بسبس بن عمرو،[1] وعدي بن أبي الزغباء،[2] فمضيا حتى نزلا بدراً، فأناخا إلى تل قريب من الماء،واعتمدوا على وسيلة التنصت حيث سمعا حوار جاريتين كن يستقين الماء قرب بدر، وتأكدوا من أن العير ستأتي ماء بدر غداً، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله (ﷺ)فأخبراه بما سمعا، فهي معلومة هامة جداً سيفيد منها المسلمون، لذا تحركوا بعد سماعهم لها مباشرة إلى معسكر المسلمين حاملين تلك المعلومة إلى رسول الله(ﷺ)،[3] حيث احتاج الرسول(ﷺ) إلى أن يجمع كل ما يستطيع أصحابه تجميعه من المعلومات عن تحركات العدو وقوافله التجارية، فمن خلال التنصت للحوار بين الجاريتين تعرفت عيون الرسول(ﷺ) المكلفة بهذه المهمة على المكان المحدد، والزمان المتوقع لوصول القافلة التجارية لقريش.

3- بعث الرسول(ﷺ) طليعة رصد غرضها الحصول على المعلومات عن قوة قريش ومكانها (قوة العدو ومواضعه)، كانت الطليعة مؤلفة من أكفأ العيون وهم: الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، والزبير بن العوام،[4] وسعد بن أبي وقاص،

1_ بسبس بن عمرو الجهني الأنصاري: صحابي من قبيلة ذبيان بن موسى من جهينة، شهد غزوتي بدر وأحد، وكان عيناً للرسول(ﷺ) في غزوة بدر، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة279، ج3، ص519.

2_عدي بن أبي الزغباء: اسمه سنان بن سبيع بن ثعلبة الجهني، من قبيلة بذيل من جهينة، شهد بدراً وأحداً والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله(ﷺ)،وكان عيناً للرسول(ﷺ) في غزوة بدر، موزعاً لغنائم المسلمين، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة191، ج3، ص460.

3_ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص260.

4_الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي(28ق. هـ-36 هـ/ 594-656م):ابن عمة الرسول(ﷺ)صفية بنت عبد المطلب،حواري رسول الله (ﷺ)،وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين اختارهم الخليفة عمرﷺليختاروا خليفة بعده،زوج أسماء بنت أبو بكرﷺ،أول من سلَّ سيفه في الإسلام ،وشهد كل الغزوات مع رسول الله(ﷺ) ،توفي في موقعة الجمل وعمره 64،ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير،رقم الترجمة54،ج3،ص96؛ الذهبي:سير أعلام النبلاء، رقم الترجمة2105، ج2، ص1711.

وبسبس بن عمرو يتحسسون على الماء فأسروا ثلاثة سقاء لقريش،[1] جاءت بهم طليعة الرصد فقالوا: أنهم سقاة قريش بعثونا نسقهم من الماء، فقام المسلمون بضربهم لاعتقادهم أن هؤلاء السقاء يدلون بمعلومات مزيفة، وجاؤوا بهم إلى الرسول(ﷺ) فاستنطقهم بنفسه وكما يلي: أين قريش؟ قالوا: خلف هذا الكثب الذي ترى، قال(ﷺ): كم هي؟ قالوا: كثير، قال(ﷺ): كم عددهم؟ قالوا: لا ندري كم هو، قال(ﷺ): كم ينحرون؟ قالوا: يوماً عشرة ويوماً تسعة، فقال الرسول(ﷺ): القوم مابين ألف والتسعمائة،[2] لقد أفلحت هذه الطليعة في قبضها على سقاة قريش، فهؤلاء هم رأس الخيط الذي يقود إلى ما يدور في معسكر قريش، وقد تجلت الخبرة الاستخبارية للرسول (ﷺ)في كيفية استجوابه للأسيرين بإعطائهم الأمان والنهي عن ضربهم فحصل الرسول(ﷺ) منهم على معلومات هامة عن نوعية المقاتلين في الجيش المعادي ومكان معسكره، وعدده، فعلم أن المقاتلين أشداء أقوياء ، وبناء على ذلك يمكن تحديد الخطة المناسبة، ووضع الاحتياط اللازم حتى لا يفاجأ الجيش المسلم بقوة وشراسة خصمه، ويستطيع مواجهة جيش بهذه العدة والعتاد.

1_ السقاء الذين أسرهم المسلمون هم: يسار غلام عبيد بن سعيد بن العاص، وأسلم غلام منبه بن الحجاج، وأبو رافع غلام أمية بن خلف،الواقدي: المغازي، ج1، ص51.

2_ الواقدي: المغازي، ج1، ص53؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص259؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، ص210.

4- كما أرسل الرسول(ﷺ) عمار بن ياسر[1] وعبد الله بن مسعود[2] كعيونٍ له إلى معسكر قريش، فطافا بالقوم، وعادا إلى الرسول (ﷺ) ليخبروه بأن القوم مذعورون فزعون. [3]

5- كذلك بعثت قريش رصاداً وعيوناً قبل المعركة وهو عمير بن وهب الجمحي،[4] ليرصد أخبار المسلمين فرجع وأخبر قريشاً بأن عدد المسلمين نحو ثلاثمائة رجل وهم أصحاب بأسٍ شديد وإرادة لا تلين، فلا يموت رجلٌ منهم قبل أن يقتل رجلاً مثله، وليس لهم ملجأً إلا سيوفهم،[5] وبذلك كان لهذه العين(عمير بن وهب الجمحي)دوراً بارزاً في تحريض كبار قريش على ملاقاة المسلمين وتشجيعهم على القتال.

6- استعمل الطرفان الرصد الشخصي ولم يكتفيا بما يصلهما من الرصاد والعيون المكلفين من قبلهم، فالرسول(ﷺ) ذهب بنفسه مع صاحبه أبو بكر الصديقﷺ يتلقط الأخبار ممن يلقاهم في الطريق، إذا وقف على شيخ من العرب قرب بدر وسأله(ﷺ): عن جيش قريش وعن محمد وأصحابه؟ فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبراني من أنتما؟ فقال له الرسول(ﷺ)إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال الشيخ: لقد

1_ عمار بن ياسر(57ق.هـ_ 37هـ/ 566_657م): صحابي من موالي بني مخزوم، هاجر إلى الحبشة والمدينة المنورة، شارك فيكل غزوات الرسول،(ﷺ) استشهد في موقعة صفين وهو يقاتل ضمن جيش للإمام علي كرم الله وجهه ضد جيش معاوية، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ،رقم الترجمة76، ج3،ص227.

2 _ عبد الله بن مسعود(..._32هـ/..._653م): كان من أقرب الصحابة للرسول(ﷺ)، كان خادم الرسول(ﷺ) وصاحب سره، ولي بعد وفاة الرسول(ﷺ) بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة المنورة في خلافة عثمان بن عفانﷺ فتوفي بها، وعمره نحو ستين سنة، الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم الترجمة3435، ج2، ص2523؛ الزركلي: الأعلام، ج3،ص137.

3_ الواقدي: المغازي، ج1،ص54.

4_ عمير بن وهب الجمحي القرشي: كان من أشد أعداء الإسلام في الجاهلية، أسلم في العام الثاني للهجرة بعد غزوة بدر حيث ذهب إلى المدينة المنورة لاغتيال الرسول(ﷺ)فهداه الله للإسلام، فصار من أكبر دعاته وأنصاره، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ،رقم الترجمة439، ج4،ص186.

5_ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص265؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، ص213.

بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا،وأن قريش خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا، فمن أنتما؟ فقال الرسول(ﷺ): نحن من ماء، وانصرف هو وصاحبه أبو بكر الصديقﷺ،[1] وهذا يدل على حرص الرسول(ﷺ) على أمن المعلومة العسكرية، فقد استخم الرسول(ﷺ) التورية عندما أجاب الشيخ بقوله: نحن من ماء لكتمان أخبار جيش المسلمين، وفي انصرافه(ﷺ) فور استجوابه الشيخ كتمان أيضاً، وهو دليل على ما يتمتع به الرسول (ﷺ)من حكمة .

7- وكذلك استخدم الرصد الشخصي من جانب المشركين ، حيث قام أبو سفيان بفحص فضلات الركائب[2] التي كانت بقرب بدر قبل وصوله فاستنتج أنها ركائب المسلمون، لأنه اكتشف أنها من علائف يثرب، وقال: هذه عيون محمدٍ وأصحابه. [3]

ونجد أن الرصاد والعيون كان لهما الدور الأبرز والأهم في سير أحداث هذه الغزوة وتحقيق النصر المؤزر للمسلمين، فقد أخذ الرسول(ﷺ) المعلومات الدقيقة منهم وأخذ يخطط للدفاع عن مصالح المسلمين وعن دولتهم الفتية، وقد تمخض الأمر في النهاية عن أول تعرض عسكري إسلامي حقق نجاحاً فاق كل التصورات، فعندما بدأت المعركة في 17 رمضان من سنة (2هـ/623م) نصر الله المسلمين القلة على المشركين الذين

1_ الواقدي: المغازي، ج3، ص50؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص259؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص421.

2_ الرَّكْبُ: الرُّكبان وهم جمعٌ من العشرة فما فوق، والرّكبان: الإبل المركوبة أو الحاملة شيئاً أو التي يراد الحمل عليها، ابن منظور: لسان العرب، مج1، ص429؛ مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، ص368.

3_ الواقدي: المغازي، ج1، ص41؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، ص207.

كانوا الأكثر والأقوى،قال الله ﷻ: ﴿ وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾،[1] وخسرت قريش 70 قتيلاً، ومثلهم من الأسرى واستشهد للمسلمين أربعة عشر صحابياً. [2]

وقد بينت هذه الغزوة الدور الهام للرصاد والعيون لكلا الطرفين، فقد تشبثوا بجمع المعلومات كلاً عن الأخر مما حرم الطرفين من عنصر المباغتة، إلا المعلومات الدقيقة وصلت للرسول(ﷺ) من رصاده وعيونه بشكل دقيق وسريع ومكثف مما جعله يستولي على زمام المبادرة، ومن حكمة الرسول(ﷺ) أنه كان يتثبت من صحة ما يرده من أنباء من مصادر متفرقة.

2- غزوة أُحُد(3هـ / 624م):

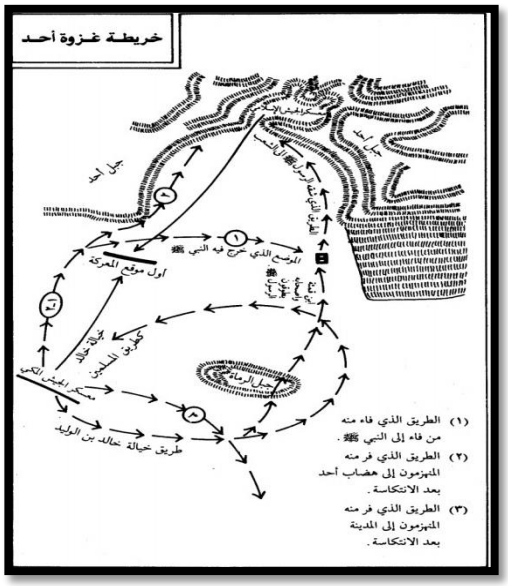

بعد غزوة بدر الكبرى أخذت عيون الرسول(ﷺ) ترصد له الحركات، وتتلمس الأخبار عن قريش والقبائل المعادية في كل النواحي داخل المدينة المنورة وخارجها، فقد وصلت الأخبار للرسول(ﷺ) عن طريق عيونه بأن قريش تُعد العُدة للانتقام من المسلمين وغزو المدينة المنورة، لن يتم التطرق لتفاصيل وأحداث الغزوة، لكن سيتم شرح دور الرصاد والعيون في هذه الغزوة والذي تجلى بـ:

1_ القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية(123).

2 _ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص268؛ المغلوث: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول (ﷺ)، ص144.

1- كانت عيون الرسول(ﷺ) حاضرة في قلب الحدث في مكة تراقب وتكتب التقارير الحية عن تحركات قريش في دار الندوة، فقد كان العباس[1] عين الرسول(ﷺ) في مكة، فبعد أن علم بتحركات قريش لغزو المدينة المنورة أسرع بإرسال رسالة مع رجل من غفار، ولحقه بالجد في المسير واعداً إياه بمكافأة قيمة إن هو تمكن من الوصول إلى المدينة المنورة في ثلاثة أيام والتي كانت تقطع في العادة بعشرة أيام، ومما جاء في رسالته:" اصنع ما كنت صانعاً إذا وَرَدوا عليك، وتقدَّم في استعداد التأهب"، [2] مما مكن الرسول (ﷺ) من عقد المشاورات والاتفاق على الكيفية التي سوف يواجه بها قوات العدو، وتعد هذه الرسالة من الرسائل المختومة ذات الأهمية الإستراتيجية البالغة لما تضمنته من معلومات دقيقة تمثل أرقى أعمال الخدمة السرية للعيون، فكانت معلومات أمنت المعرفة المبكرة والدقيقة بالخصم من حيث أرقام قوة قريش من الأشخاص والدروع والجمال، وتدل على رجاحة ودراية عقل مرسلها، وفي ضوء ذلك قام الرسول بخطواته اللاحقة لأن رسالة العباس كانت إنذاراً مبكراً عن نوايا العدو.

1_العبّاس بن عبد المطلب(50ق.هـ _ 32 هـ/ 253_ 653م): العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، من أكابر قريش في الجاهلية و الإسلام، كان سديد الرأي، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وصار يكتب للرسول(ﷺ)أخبار قريش، توفي في دمشق، ابن سعد: الطبقات، رقم الترجمة 365، ج4، ص5؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص262.

2_المباركفوري: الرحيق المختوم، ص250؛ حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص68.

2- بعث الرسول(ﷺ) عينين هما (أنس ومؤنس) ابني فضالة، فاعترضا لقريش في العقيق[1]فسارا معهم فوجدوا أنهم أرسلوا خيلهم وإبلهم لتأكل وتشرب من الزروع المحيطة بالمدينة، فأتيا رسول الله(ﷺ) فأخبراه. [2]

3- بعث الرسول(ﷺ) الحباب بن المنذز[3] عيناً سرية إلى قريش، وطلب من ألا يخبره بحضور أحد من المسلمين، فدخل الحباب في قريش وحزر ونظر إلى جميع ما يريد ثم رجع وأخبر الرسول(ﷺ) أن عدد قريش ثلاثة ألاف تقريباً والخيل مائتي فرس، وسبعمائة درع، [4] وهي نفس الأرقام التي أفاد بها العباس من قبل، وهذا التطابق في المعلومات دليل على صحتها، وطلب الرسول (ﷺ)من الحباب ألا يخبره شيئاً بحضور أحدٍ من المسلمين إلا تطبيقاً لمبادئ السرية والكتمان

4- قيام عمرو بن سالم الخزاعي[5] ومعه مجموعة من الرجال بإخبار الرسول(ﷺ) بتحشد قريش ثم عادوا إلى مكة حيث وجدوا قريشاً ببطن رابغ، [6] وكانت هذه المبادرة تدل على حبهم وتعاطفهم مع الرسول (ﷺ)والدعوة العربية الإسلامية.

1_ العقيق: يقع في الجهة الغربية من المدينة،وسمي بذلك إما لكونه شقاً طبيعياً في الأرض أجراه السيل فحدد مساره، أو بسبب لونه الذي يشبه الخرز الأحمر بلونه العقيقي المعروف، الأنصاري (عبد القدوس): بين التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 2000م، ص76.

2_ الواقدي: المغازي،ج1،ص207؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، ص251.

3_الحباب بن المنذر(31ق.هـ_.../591م_...): صحابي من الأنصار من الخزرج، شهد المشاهد كلها مع الرسول(ﷺ)، كان ذو رأي ومشورة، وأخذ الرسول(ﷺ) برأيه يوم بدر، وكان من المشاركين بالرأي يوم السقيفة، توفي في خلافة عمر بن الخطاب، وكان قد تجاوز الخمسين من عمره، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة288،ج3،ص525.

4_الواقدي: المغازي، ج1،ص207.

5_عمرو بن سالم الخزاعي: كان شاعراً من بني خزاعة، وكان يحمل أحد ألوية بني كعب الثلاثة التي عقدها الرسول (ﷺ)لهم يوم فتح مكة، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة857،ج5،ص198.

6_ الواقدي: المغازي،ج1،ص205.

5- خروج سلمة بن سلامة[1] بادنى العرض فوجد طليعة خيل المشركين عشرة أفراس فركضوا على أثره فراشقهم مرة بالنبل ومرة بالحجارة حتى قطع التماس معهم، وأوصل خبرهم إلى قومه.

6- عملية التمويه التي قام بها سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذ أن الرسول(ﷺ) أمره بعد موقعة أُحُد، أن يقتفي أثر المشركين ويستطلع نواياهم، فوجد أنهم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فعرف أنه عائدون إلى مكة، فعاد وأخبر الرسول (ﷺ)بذلك. [2]

عندما بدأت المعركة انتصر المسلمون في البداية، لكن عدم التزام المسلمون بأوامر الرسول(ﷺ) بعدم ترك مواقعهم حول نصرهم إلى هزيمة حيث قام خالد بن الوليد[3] بعملية الالتفاف على معسكر المسلمين مما أدى إلى جرح الرسول(ﷺ) واستشهاد عمه حمزة وأكثر من سبعين من أصحابه، لكن الهزيمة لم تكن بسبب نقص في المعلومات التي قدمها الرصاد والعيون في هذه الغزوة، لكن عدم التزام الصحابة بأوامر الرسول(ﷺ) أدى إلى هذه النتيجة. [4]

1_سلمة بن سلامة بن وقش(25ق.هـ_45هـ/585_665م): صحابي من الأنصار من بني عبد الأشهل، شهد بيعتا العقبة، هاجر إلى المدينة المنورة، وشهد المشاهد كلها مع الرسول(ﷺ)، قيل استعمله الخليفة عمر بن الخطاب على اليمامة، توفي في المدينة المنورة وعمره سبعون سنة، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة114،ج3،ص405.

2_الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2،ص528.

3_خالد بن الوليد(25ق. هـ-21 هـ/597-642م) : هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن كعب ، لقبه رسول الله(ﷺ) بـ(سيف الله)، أسلم قبل فتح مكة وشارك في فتحها(8 هـ/630م)، قضى على المرتدين (11-13هـ /632-634م)، فتح العراق (13هـ/634م)، وفتح دمشق(14هـ/635م)، وهزم الروم البيزنطيين في معركة اليرموك(15هـ/636م)، توفي في المدينة المنورة ودفن في حمص، الذهبي: سير أعلام النبلاء،رقم الترجمة1919،ج2،ص1604؛ابن حجر العسقلاني:الإصابة،رقم الترجمة2236،ص378.

4 _ المغلوث: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول (ﷺ)، ص145.

غزوة الخندق أو الأحزاب(5هـ/626م):

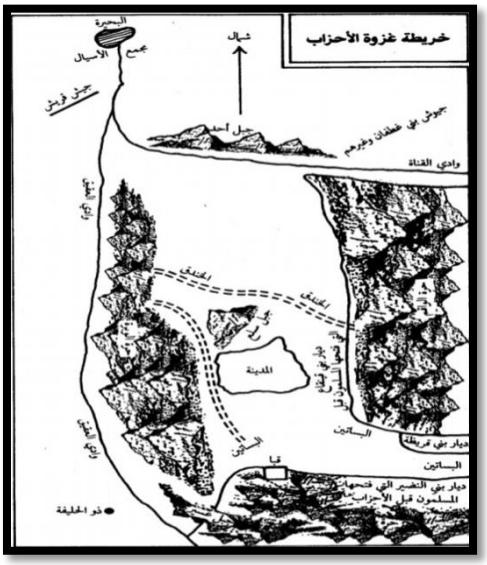

تدهور الصراع بين الطرفين وسرعان ما تحول إلى حرب فعلية، كانت قريش أكثر ما تخشاه أن تهاجم قوافلها التجارية وتتعرض تجارتها في شبه الجزيرة العربية إلى خطر، لذا توقفت في هذه الأثناء التجارة المكية، وركز المكيون جهودهم على هزيمة الرسول(ﷺ) ليتمكنوا من معاودة تجارتهم بصورة مألوفة فحركوا حلفاءهم ووجهوا أعظم هجوم لهم على المدينة المنورة، وجاء فشل هذه المحاولة في معركة الخندق(5هـ/626م) نصراً كبيراً للرسول(ﷺ)، لن يتم التطرق لتفاصيل وأحداث الغزوة، لكن سيتم شرح دور الرصاد والعيون في هذه الغزوة والذي تجلى بـ:

1- بعد معركة أُحُد لم تكف قريش عن إرسال عيونها إلى المدينة المنورة لمعرفة قوة المسلمين، فأرسلت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، يتجسس على المسلمين وظل متخفياً في المدينة ثلاثة أيام يتابع أخبار المسلمين حتى يمد بها قريشاً، ولكن الرسول (ﷺ)أمر عيونه من الصحابة بتحسس طرقات المدينة المنورة حتى كشف أمره، فأمر الرسول(ﷺ) بهدر دمه ففر هارباً حتى لحق به زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقتلاه،[1] وهذا يدل على حرص الرسول(ﷺ) على عدم تسرب الأخبار إلى العدو.

2- كان العباس عم الرسول(ﷺ) عين المصطفى المغروسة في قلب صناعة القرار في مكة، فبعد أن علم بتحركات قريش لغزو المدينة المنورة، أرسل رسالة إلى

1 _ الواقدي: المغازي،ج1،ص334.

الرسول(ﷺ) وقد تضمنت رسالة العباس بأن قريش واليهود وقبائل غطفان[1] وبني أشجع[2] يستعدون لغزو المدينة،مما أتاح الفرصة للرسول بأن يحفر الخندق ويفشل مخططات أعدائه.

3- خرج ركب من خزاعة قاصداً المدينة المنورة، ليبلغ الرسول(ﷺ) ما جمع له المشركون فقد تحالفت قريش وغطفان واليهود ضد رسول الله(ﷺ) وضم هذا التحالف عشرة آلاف مقاتل،[3] فكانت لعيون الرسول(ﷺ) دوراً كبيراً في تجنب كارثة كانت ستحل بالمسلمين لو أن الأحزاب قد باغتوا المسلمين في المدينة، فالقيادة تعاملت مع الأخبار وحفرت الخندق وحمت المدينة من خطر الاجتياح.

4- برزت إبداعات الرسول(ﷺ) الاستخبارية وتكليفه للرصاد والعيون ففي هذه الظروف الحرجة نور الله قلب نعيم بن مسعود [4] فأعلن إسلامه أمام الرسول(ﷺ) ، فطلب منه الرسول(ﷺ) أن يكتم إسلامه ليقيم بأهم دور استخباري كعين مكلفة سراً من قبل الرسول(ﷺ)، وبما أن الحرب سجال وعثراتها لا تقال الحرب خدعة، [5] فقال له الرسول(ﷺ):"إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا فإن الحرب خدعة"، فذهب نعيم إلى بني قريظة وكان نديمهم في الجاهلية وحذرهم: إن هزمت قريش فنجت بنفسها فإنها ستترككم تحت رحمة محمد وصحبه،

1_بنو غطفان: بطن من قيس عيلان، من العدنانية، وهم بطنٌ متسع كثير الشعوب والبطون، منازلهم بنجد، القلقشندي (أحمد بن علي، ت: 821هـ/ 1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980م، ص388.

2_ بنو أشجع: حي من غطفان، من العدنانية، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم: أشجع، وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان ، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص40.

3 _ الرشيد(عبد الله): القيادة العسكرية في عهد الرسول(ﷺ)، دار القلم، دمشق،1990، ص173.

4 _ نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني: يكنى أباسلمة، لقب بالداهية فهو الذي أوقع الخلاف بين القبائل المتحالفة ضد الرسول، قيل توفي في عهد الخليفة عثمان بن عفان، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة832، ج5،ص166.

5_ الثعالبي : التمثيل والمحاضرة، ص153.

ونصحهم أن لا يطمئنوا لقريش إلا أن يأخذوا الرهائن من السادة والأشراف، ثم ذهب إلى قريش وأوهمهم أن بني قريظة نادمة على نقض العهد مع محمد مؤكداً ذلك لأبي سفيان، وطلب إليهم أن لا يفشوا ذلك عنه، وقال: تعلمون أن معشر اليهود ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: أنا ندمنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم، ثم ذهب إلى غطفان وأوهم بما أوهم به قريشاً، فاستعجلت قريش وعد قريظة لها نصرتها فكان جوابهم ما يؤكد كلام نعيم بن مسعود من أنهم بيتوا الغدر،[1] ونجح ابن مسعود في الايقاع بهم جميعاً، وأفشل هذا التحالف بفضل العين السرية للرسول(ﷺ) حيثُ قام ببث دعاية في صفوف العدو مثبطة لهمته، ومؤثرة في معنوياته، وبذلك جنب نعيم دولة المدينة خطراً قد لا تكون قادرة على تحمله.

5- برز اهتمام الرسول(ﷺ) بالجانب الأمني الاستخباري باختياره أكفأ العناصر ليكونوا رصاداً وعيوناً لنصرة الدعوة العربية الإسلامية، وأهم هذه العناصر حذيفة بن اليمان [2] وكانت مهمته رصد وتتبع المنافقين الذين يعملون بالخفاء ضد الدولة العربية الإسلامية، وقد لقب بكاتم سرِّ الرسول(ﷺ)، أراد الرسول(ﷺ) أن يعلم مايدور في معسكر الكفر ويتأكد من انصراف الأحزاب، فأرسل حذيفة بن اليمان عيناً له لاستطلاع الأمر، وأوصى حذيفة أثناء المراقبة ألا يتصرف تصرفاً ينفرهم على المسلمين ويدعوهم إلى إثارة الذعر،فقال له الرسول(ﷺ): " ياحذيفة، فاذهب فادخل في القوم فانظر مايفعلون، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا، ولا تذعرهم عليّ"، وبالفعل ذهب حذيفة وراقب، وبينما هو كذلك رأر ظهر أبي

1 _ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج5،ص166؛الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج2، ص578.

2_ حذيفة بن اليمان(...-36هـ/...-656م): صحابي ولد في مكة وعاش في المدينة المنورة، صاحب سر الرسول(ﷺ)، ائتمنه على أسماء المنافقين ولم يعلمهم أحداً إلا هو،توفي بالمدائن، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة2656، ج8،ص137.

سفيان كاشفاً له فأجهز سهمه وكاد يطلقه عليه لكنه تذكر قول الرسول(ﷺ) له:" لا تذعرهم عليّ"،[1] وكان الرسول(ﷺ) يختار لهذه المهام شخصيات تعرف بالقدرة والشجاعة وإطاعة الأمر وتنفيذه والتقيد به تماماً، وأن لايتكلم بالمعلومات التي يحصل عليه إلا لمن أصدر له الأمر.

6- أراد الرسول(ﷺ) أيضاً بعث عينٍ له إلى يهود بني قريظة ليستطلع الأخبار فعرض على الصحابة المهمة بقوله:" من يأتينا بخبر القوم؟"، فقال الزبير بن العوام:أنا، فقال الرسول(ﷺ):" إن لكل نبي حواريَّ، وأنا حواريَّ الزُّبير"، [2]فذهب الزبير فنظر ثم رجع، فقال: يا رسول الله (ﷺ)رأيتهم يُصلحون حُصونهم، ويدربون طُرقهم وقد جمعوا ماشيتهم،[3] وبذلك علم الرسول(ﷺ) بنوايا أعدائه من خلال المعلومات التي حصل عليها من العيون التي بعثها إليهم، وقد أسند الرسول(ﷺ) هذه المهمة لمن يتصف بصفات خاصة أهمها الصدق، وقد اعتمد الرسول(ﷺ) على المعلومات التي كانت تأتيه من الزبير وغيره من الصحابة.

7- ثم قام الرسول(ﷺ) بإرسال سعد بن معاذ[4] وسعد بن عبادة[5] إلى بني قريظة فقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً، فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء

---

1 _ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج2، ص580.

2_ البخاري (محمد بن إسماعيل، ت: 256هـ / 869م): صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 2002م، كتاب المغازي، رقم الحديث 4113، ص1010.

3 _ الرشيد(عبد الله): القيادة العسكرية في عهد الرسول(ﷺ)، ص173.

4 _ سعد بن معاذ(32ق.هـ_5هـ/590_627م):كان سيداً للأوس في يثرب قبل الهجرة النبوية، أسلم على يد مصعب بن عمير، شهد بدر وأُحُد والخندق،مات بعد الخندق بشهر،ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة19،ج3،ص388.

5_ سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة الخزرجي(..._ 14هـ / ..._ 635م): كان سيد الخزرج، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، لقب بالكامل لمعرفته بالكتابة والسباحة والرمي، كان مشهوراً، مات بالشام، ابن حجر العسقلاني: الإصابة، رقم الترجمة3236، ص558؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص85.

بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فرجعوا إلى الرسول(ﷺ) فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة، أي كغدر عضل والقارة وهي القبائل التي غدرت بالمسلمين عند ماء الرجيع،[1] ولقد كان الرسول(ﷺ) حريصاً على استخدام هذا الأسلوب الرموز والشيفرة خوفاً على معنويات المسلمين من الانهيار.

كانت غزوة الخندق حد فاصل في حياة الدولة العربية الإسلامية، حيث قال الرسول(ﷺ) بعدها:" اليوم نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم".[2]

كما أن الرسول(ﷺ) كان يستقي معلوماته الاستخبارية من مصادر أخرى كالتجار حيث عمل التجار في العهد النبوي كرصاد وعيون للدولة العربية الإسلامية سواء على المستوى المحلي أو العالمي، وربما كان ذلك لقاء أجر معين أو تسهيلات من قبل الدولة العربية الإسلامية لهم، وقد ساعدهم على ذلك وجودهم الدائم في الأسواق، وأيضاً بسبب سهولة تنقلهم بين البلدان واختلاطهم بالسكان دون ريبةٍ أو شكٍ، والدليل على ذلك وصول الأخبار للرسول(ﷺ) عن طريق التجار الأنباط [3]القادمين إلى المدينة المنورة من بلاد الشام، حتى قيل إنه كانت أخبار بلاد الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط.

---

1 _ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج2، ص572.

2 _ البخاري: صحيح البخاري،كتاب المغازي، رقم الحديث4110، ص1010.

3_ الأنباط(أوائل القرن 4ق.م _ 106م): أقدم الدول الشمالية، عاصمتها البتراء التي تعني الصخرة أو الحجر، ومن مدنهم بصرى_ صلخد، كانوا تجاراً مهرة يجوبون بمتاجرهم البلاد القريبة والبعيدة، قضى الرومان على دولتهم، سموا بالنبط: إما لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، أو لأن النبط يرجعون إلى نبيط بن ماش بن أرم بن سام بن نوح ﷺ، كانت لغتهم العربية وكتبوا بالخط الآرامي،وظلت قائمة حتى استولى عليها الإمبراطور تراجان سنة 106م، عبودي (هنري س.): معجم الحضارات السامية،جروس برس،طرابلس، لبنان،ط1991،2م، ص837.

وهم من أخبر الرسول(ﷺ) أن:" هرقل [1] عظيم الروم قد هيأ جيشاً عرمرماً قوامه أربعون ألف مقاتل، وأنه جلب معه قبائل لخم وجذام وغسان وغيرهما من متنصرة العرب، وأن مقدمتهم بلغت إلى البلقاء"،[2] فكانت غزوة تبوك[3] سنة(9هـ/630م) لم يحدث فيها اشتباك بين الروم والمسلمين، فصالح الرسول(ﷺ) قبائل الشمال على الجزية، وهي آخر غزوة غزاها الرسول(ﷺ)، ومنها يستدل على أن التجار كان لهم دورٌ مهمٌ في الحدث السياسي، إما دعماً له، أو تحريكه عن طريق نقل الأخبار من الرصاد والعيون.

وقد قامت عيون الرسول(ﷺ) في تفكيك أوكار المنافقين، ومن يناصرهم في المدينة المنورة من اليهود، حيث كانت المعلومات التي يجمعها الرصاد والعيون عن تحركاتهم تستثمر في توجيه ضربات استباقية لهم، إذا وصلت المعلومات منهم للرسول(ﷺ) بعد عودته من تبوك (9هـ/630م) أن أناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ليثبطوا الناس عن الجهاد،فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله مع نفر من أصحابه وأمرهم أن يحرقوا بيت سويلم.

3- الدور الأبرز الرصاد والعيون في عمليات الاغتيال:

الاغتيال لغةً: من غول وغاله غولاً أهلكه، أي أخذ الإنسان على حين غرة من حيث لا يدري وقتله، واصطلاحاً: يستعمل لوصف عملية قتل منظمة ومعتمدة تستهدف شخصية

1_ هرقل فلافيوس أغسطس(...-21هـ/...-641م): يعد هرقل من أعظم الأباطرة في التاريخ البيزنطي، وهو إمبراطور الشرق (12ق.هـ-21هـ/ 610 – 641م) توج في الخامس من شهر أكتوبر سنة (610 م) بعد أن أطاح بسلفه الإمبراطور فوقاس،أرسل إليه النبي (ﷺ) بكتابٍ يدعوه وقومه إلى الإسلام، وبعث بكتابه مع دحية بن خليفة الكلبي في أواخر سنة(6هـ /627م)،هزم العرب قواته في معركة اليرموك سنة(15هـ-636م)، البعلبكي: معجم أعلام المورد، ص472.

2_الواقدي: المغازي، ج3، ص909.

3_ ابن سعد:كتاب الطبقات الكبير،ج2،ص165؛ المغلوث: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول (ﷺ)، ص149.

مهمة ذات تأثير فكري أو سياسي أو عسكري، ويكون مرتكز عملية الاغتيال لأسباب عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو انتقامية،[1] والجدير ذكره أن الإسلام يدين عمليات الاغتيال، ولم يلجأ لها المسلمون إلا في حالات نادرة ضد مجرمي الحرب ممن لطخت أياديهم بدماء المسلمين، أو قاموا بمؤامرات كبرى ضد الدولة العربية الإسلامية فجميع من اغتالهم الرسول(ﷺ) كانوا من كبار الأعداء الذين خططوا للقضاء على الإسلام وأهله، و وأبرز عمليات الاغتيال:

1- **اغتيال الشاعر كعب بن الأشرف**[2]: وهو رجل من طيء وأمه من بني النصير وهو شاعر يهودي ناصب العداء للإسلام والمسلمين، فعندما أمر الرسول(ﷺ) الصحابة أن يبحثوا عن مكان مناسب في المدينة المنورة ليصبح سوقاً للمسلمين، فذهب الرسول(ﷺ) إلى مكان قريب من سوق بني قينقاع، وضرب خيمة كبيرة لتكون رمزاً وعلامة يتجمع حولها المسلمون للبيع والشراء، فاغتاظ اليهود من ذلك، لأن هذا السوق سيكون تهديداً مباشراً لأسواقهم ولتجارتهم فقام كعب بن الأشرف بهدم الخيمة وقطع أطنابها،[3] ولكن الرسول(ﷺ) لم يشأ أن يجعل لهذا التصرف الصغير قيمة،[4]فقال:" والله لأضربن له سوقاً هو أغيظ له من هذا"،[5] ثم اتخذ كعب بن الأشرف من شعره ولسانه سلاحاً يؤذي به الرسول(ﷺ) ونساء

1_ رواس قلعه جي(محمد): معجم لغة الفقهاء، ضبطه لغوياً،حامد قنيبي، دار النفائس،بيروت،1996م،ص59.

2_ كعب بن الأشرف(...3هـ/...624م): شاعر جاهلي من بني نبهان، كانت أمه من بني النضير، فدان باليهودية، أكثر من هجو الرسول(ﷺ) وأصحابه، وحرض القبائل عليهم وإيذائهم، أمر النبي(ﷺ) بقتله، فقتله المسلمون، الزركلي: الأعلام، ج5، ص225.

3_ الأطناب: وهي الحبال الطويلة التي تُشدُ بها الخيمة إلى الوتد، رضا: متن اللغة، ج3،ص635.

4_ بدر(عبد الباسط): التاريخ الشامل للمدينة المنورة، تقديم، محمد السيد الوكيل، د.د، المدينة المنورة، 1993م، ج1، ص236.

5_ السمهودي (علي بن أحمد، ت: 911هـ / 1505م): وفا الوفا بأخبار دار المصطفى، تح ، خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت،2006م، ج3، ص83 .

المسلمين، ويحرض قريش على الثأر لهزيمة غزوة بدر، فأمر النبي(ﷺ) بقتله وأوكلت مهمة اغتياله لأحد عيون الرسول(ﷺ) وهو محمد بن مسلمة[1] ونفر من أصحابه، وقد وضع محمد بن مسلمة مخططاً مناسباً لهذه المهمة فقد انتحل شخصية عدائية للرسول(ﷺ)، استطاع من خلالها التمويه والتضليل على عدو الله كعب بن الأشرف،ليسلم رأسه بكل يسرٍ وسهولةٍ لسيف محمد بن مسلمة، لينهي بذلك حياة هذا الطاغية الذي حرضت وآذت ودعمت الحرب ضد الرسول(ﷺ).[2]

2- **اغتيال سلام بن أبي الحقيق**[3]: حرص الرسول(ﷺ) على تمكين العيون ممن يعملون أواسط اليهود من إجادة اللغة العبرية قال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله (ﷺ) أن أتعلم له كلمات من كتاب اليهود بالسريانية قال:" إنِّي والله ما آمن يهود على كتابي"، قال: " فما مرَّ بي نصف شهرٍ حتَّى تعلَّمتهُ لهُ"، قال:" فلمَّا تعلَّمتهُ كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم، وإذا كتبوا إليهِ قرأتُ لهُ كتابهم"،[4]وأبرز مثال على ذلك: عملية اغتيال سلام بن أبي الحقيق زعيم خيبر، فقد كان فريق العيون ومن نفذ العملية يجيدون اللغة العبرية إجادة تامة، إذ بعث الرسول(ﷺ) عدداً من

1_ محمد بن مسلمة(31ق.هـ_46هـ/591-666م): صحابي من بني حارثة، من الأوس، كان حليفاً لبني عبد الأشهل، أسلم قديماً، وشهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك، كان المبعوث الخاص لعمر بن الخطاب إلى ولاته، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة7973،ص1370.

2_ البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، رقم الحديث 4037، ص990؛ الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج2، ص487؛ ابن كثير: البداية والنهاية،ج5،ص326.

3_ سلام بن أبي الحقيق: ويقال له أبي رافع بن عبد الله، شاعر يهودي، أحد الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين في غزوة الأحزاب، وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة،فرَّ بعد غزوة الأحزاب إلى يهود خيبر محتمياً بهم، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، ج7، ص340؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، ص319.

4_ الترمذي: الجامع الكبير، أبواب الاستئذان والآداب، رقم الحديث2715، ج4، ص439.

العيون السريين بقيادة عبد الله بن عتيك[1] الذي يجيد اللغة العبرية ونفر من أصحابه، مما مكنهم من الدخول في صفوف اليهود في خيبر والتمويه عليهم وسماعه لما يقولون بلغتهم وتنفيذ المهمة الموكلة لهم من الرسول(ﷺ) بنجاح،فذهبوا إلى خيبر وكمنوا له، ونزلوا منزله، ففتحت امرأته التي خاطبها عبد الله بن عتيك باليهودية، وأخبرها بأنه يحمل لزوجها هدية، غير أنها ارتابت من كونهم مسلحين، فهمت بالصياح غير أنهم لوحوا لها بالسيوف أن اصمتي، ودخلوا البيت وقتلوه، فقد كان محرضاً لغطفان ومن حوله لحرب رسول الله(ﷺ).[2]

3- **اغتيال الشاعرة عصماء بنت مروان:** [3] وهي من بني أمية، وكانت تعيب الإسلام وأهله، وتؤذي الرسول وتحرض عليه،قامت بتأليف قصائد شعرية، وقامت فيها علناً بتشويه سمعة الرجال الذين انقلبوا للإسلام، وتحالفوا مع الرسول(ﷺ)، كما نادت بقتل الرسول(ﷺ)، وسخرت في قصائدها من أهل المدينة المنورة لموالاتهم قائداً ليس منهم، اعتادت أن تسبَّ الإسلام، وقد قامت بتأليف الآيات، وكان يرد عليه شاعر الرسول(ﷺ) حسان بن ثابت،[4] فأمر الرسول(ﷺ)

1_ عبد الله بن عتيك بن قيس: صحابي من الخزرج، استشهد في معركة اليمامة في خلافة أبو بكر الصديق سنة (11هـ/632م)، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة584، ج4،ص299.

2_ البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، رقم الحديث4039، ص991؛ الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص493.

3_ عصماء بنت مروان بن أمية بن زيد: كانت متزوجة رجل من قبيلة بني خطمة يدعى يزيد بن زيد، والذي كان يلوم الإسلام والمسلمين، كان لديها خمسة أبناء، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير،ج4،ص317.

4_ حسان بن ثابت(60 ق. هـ – 54هـ /564– 673م):هو ابن المنذر بن حزام بن عمرو الأنصاري الخزرجي النجاري من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام،ويقال بأنه عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين أخرى، أسلم لما هاجر الرسول (ﷺ)إلى المدينة مع الأنصار وقصر شعره على مدح الرسول(ﷺ) والدفاع عنه؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة 625، ج4، ص322؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة، رقم الترجمة 1844، ص312.

بقتلها، فاغتالها أحد عيون الرسول(ﷺ) وأنصاره وهو: عمير بن عدي[1] حيث أتى في جوف الليل فقتلها في سنة(2هـ/623م)، فقال رسول الله(ﷺ) فيه:" إذّا أحببتم أن تنظروا إلى رجلٍ نَصَرَ الله ورسوله بالغيب، فانظروا إلى عُمير بن عَديّ"، وكان ضرير البصر، فسماه الرسول(ﷺ) بعد هذه الحادثة عميراً البصير.[2]

4- **أبو عفك اليهودي:**[3] وهو شاعر يهودي من بني عمرو بن عوف، كان يحرض على عداوة رسول الله(ﷺ) ويقول الشعر في ذمه،فقال الرسول(ﷺ):" من لي بهذا الخبيث"، فتطوع أحد عيون الرسول(ﷺ) وأنصاره وهو: سالم بن عمير العمري،[4] فقتله في سنة(2هـ/623م).[5]

5- **خالد بن سفيان الهذلي:**[6]وصلت المعلومات للرسول(ﷺ) من العيون التي جندها لجمع المعلومات عن تحركات الأعداء أن خالد بن سفيان يجمع الحشود من هذيل وغيرها، لغزو المسلمين في المدينة المنورة بعد غزوة أحد، فأراد الرسول(ﷺ) التأكد من صحة المعلومات فأرسل الصحابي عبد الله بن أنيس

1_ عُمير بن عديّ:إمام بني خطمة، وقارئهم الأعمى، أمه أمامة بنت الراهب بن عبد الله، كان أول من أسلم، وهو ممن كسرَ أصنام بني خطمة،مات في حياة الرسول (ﷺ)، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة6792، ص1147.

2_ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير،ج4،ص317؛ الأسمري: الفكر الاستخباري الإسلامي،ص135.

3_ أبو عفك اليهودي(...-2هـ/504-623م): وهو من بني عمرو بن عوف، كان شيخاً كبيراً قد بلغ من العمر مئة وعشرين سنة، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير،ج3،ص445.

4_ سالم بن عمير العمري: صحابي من بني ثعلبة، من الأوس،شهد بيعة العقبة وغزوة بدر وما بعدها، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان،ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة3101، ص535.

5_ الأسمري: الفكر الاستخباري الإسلامي،ص136.

6_ خالد بن سفيان الهذلي: قائد بنو لحيان وزعيمهم، وهو من الكارهين للدعوة الإسلامية، وعمل على حشد الناس ضد الرسول(ﷺ)، فأرسل له الرسول(ﷺ) عبد الله بن أنيس لقتله وإخماد فتنته سنة(3هـ/624م)، الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج3، ص156.

الجهني[1] إليه وقد اشتهر بالشجاعة والفطنة، فبعثه يترصد حقيقة الخبر، وكلفه بمهمة قتله إن كان الخبر صحيحاً، سار عبد الله حتى التقى بخالد، واستطاع أن يوهمه بأنه سمع تجمعه لمحمد، فجاء ينضم إليه، فلما تأكد من صحة ما علم المسلمون غافله حتى قتله سنة(3هـ/624م)، وعاد إلى المدينة وأخبر الرسول(ﷺ)، وهدأت بنو لحيان بعد موت زعيمها زمناً. [2]

لم يمض وقت طويل حتى قبلت مكة بشروط الرسول(ﷺ) فكان فتح مكة(8هـ/ 629م)، وكان الرسول(ﷺ) يدرك قيمة صلات المكيين ومهارتهم التجارية، فقرر دخول مكة سلمياً منعاً لإذلال أهلها وإحياء تجارتهم المتوقفة، وكان استسلام مكة نصراً كبيراً للرسول(ﷺ)، وما إن انتشرت أخبار هذا النصر في شبه الجزيرة العربية حتى توافدت القبائل القوية إلى المدينة المنورة لعقد الاتفاقات مع الرسول(ﷺ).[3]

وقبل وفاة الرسول (ﷺ)بسنتين ونصف السنة شهد الناس يدخلون في دين الله أفواجاً....وكان الإسلام قد انتشر في جنوب شبه الجزيرة العربية ،[4] توفي الرسول محمد (ﷺ) يوم الاثنين 13 ربيع الأول 11هـ / 8 حزيران 633 م، وعمره ثلاث وستون سنة،[5] منها أربعون قبل الدعوة وثلاثة وعشرون نبياً ورسولاً(ﷺ)، بعدما بلغ الرسالة وأدى الأمانة

1_ عبد الله بن أنيس الجهني: صحابي جليل، شهد بيعة العقبة وغزوة أحد وما بعدها، كسر أصنام بني سلمة، روى عن الرسول(ﷺ) أربعة وعشرين حديثاً، مات بالشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان(54هـ/673م)، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة705،ج4،ص398.

2_ ابن هشام: السيرة النبوية، ج4، ص265.

3_ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2،ص153_162.

4_ هارت (مايكل): الخالدون المئة، تر،أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1978م، ص15.

5_ البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم الحديث 3536، ص873.

وأكمل الله به الدين،[1] قال ﷻ:﴿ الْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾.[2]

الخاتمة:

برع المسلمون في الاستخبارات عن طريق الرصاد والعيون، وكان الرسول(ﷺ) قبل أي سرية أو غزوة يحرص أن تكون لديه حصيلة وافية من المعلومات عن قوات العدو وأرضه، وقياداته وطباعه، وكان هذا أحد أسرار الانتصارات الإسلامية الكبرى، فلقد اهتم الرسول(ﷺ) بالجانب الأمني، ومتابعته لتحركات الأعداء ومؤامراتهم، ووضع الحلول المناسبة للمشكلات والأزمات في وقتها الملائم، حيث عمل على القضاء على الفتنة بحزم وهي في أيامها الأولى وذلك بسبب القدرة العالية للرصاد والعيون، وحكمة الرسول(ﷺ)في اختيار الكفاءات من أصحابه للقيام بهذه المهمة، وهكذا استطاع الرسول(ﷺ) بحكمته ودقة تفكيره، وحسن تدبيره، أن يبث الرعب في قلوب الأعداء، ويفوت عليهم الفرصة، ويأخذ بزمام المبادرة، وأن يلفت أنظارهم إلى قوة المسلمين، ويحفظ للدولة العربية الإسلامية هيبتها، فقد استخدم الرصاد والعيون كجند من الجنود في الحرب وكان لها دوراً بارزاً في تحقيق نصر المسلمين في أكثر المواقع رغم قلة عددهم.

النتائج التي توصل إليها البحث:

1- إن بث الرصاد والعيون مهنة قديمة جداً قدم الإنسان ذاته، ظهرت مع ظهور الأمم والدول ومع بروز الصراع من أجل البقاء بين هذه الأمم وتلك الشعوب

2- عمل الرصاد والعيون له ميزات خاصة، لذا كان من الضروري أن يمتلك العاملون في هذا المجال مواصفات خاصة، لأن لديهم مهام خاصة لا يستطيع تنفيذها أي شخص.

1 _ الفداء(إسماعيل بن علي، ت: 732 هـ/ 1331م): المختصر في أخبار البشر، تح،محمد زينهم عزب، يحيى سيد حسين، محمد الوصيف، دار المعارف، مصر، 1998م ، ج1، ص183.

2_ القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية(3).

3- كانت من عادة العرب قبل الإسلام أن يستعينوا بالعيون ليجمعوا لهم مايمكنهم من معلومات استخبارية من أجل الدفاع عن الأرض والعرض، أو الاستعداد لشن غارة انتقامية، أوحملة تأديبية لاستعادة حقّ أو إغاثة ملهوف أو غير ذلك من أسباب الاحتراب.

4- التخطيط السليم للمعركة يتوقف على معرفة أسرار العدو، ورصد تحركاته، وكشف مخططاته، ولا سبيل إلى التخطيط السليم المدروس إلا بالمعرفة المبكرة للحصول على المعلومات بواسطة الرصاد والطلائع، وبث العيون، لاستخدام كل الوسائل الممكنة للحصول على المعلومات من مصادرها الأولية.

5- عندما جاء الإسلام استمرت حركة جمع المعلومات عن طريق بث الرصاد والعيون في عهد الرسول (ﷺ) في مكة والمدينة المنورة، وذلك نتيجة وجود العداوات المتنامية من القبائل العربية في الجزيرة العربية ضد المسلمين والإسلام، فضلاً عن الجغرافيا الإقليمية التي كان يحتلها الفرس[1] والروم،[2] وقد تركز عمل الرصاد والعيون في الحصول على المعلومات عن العدو وفرز هذه المعلومات وفحصها وتقدير مدى صحتها، وتفسيرها لتحقيق الأهداف المرجوة، وكان هذا النظام بسيطاً يلبي حاجات الدعوة الإسلامية.

6- نجاح الرصاد والعيون في غزوة بدر بجمع المعلومات، وأسر سقاء المشركين وقيام الرسول(ﷺ) باستنطاقهم، فعرف قوة العدو ومكانهم من دون إكراه،

1_ الفرس:جماعة هندو أوروبية جاءت إلى بلاد فارس من روسيا الجنوبية والقوقاس خلال الألف الثاني ق.م، والإمبراطورية الساسانية حكمت خلال (224-651م)، عبودي : معجم الحضارات السامية،ص 452-645.

2_الروم: أطلق عليهم العرب اسم بنو الأصفر نسبة إلى جدهم الأول الذي كان أصفر اللون، وعرف البيزنطيون في الجزيرة العربية باسم الروم، ووردت في القرآن الكريم سورة باسمهم، وهم بنو رومي بن بزنطي بن يونان بن يافث بن نوحعليه السلام وسموا بالروم نسبة لمدينتهم رومية، وكانت الإمبراطورية البيزنطية تحكم دول اليونان والبلقان وسورية ومصر وإفريقيا الشمالية، وكانت عاصمتها القسطنطينية، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص97-100.

بينما لم يفلح الذين من قبله في الحصول على المعلومات رغم قيامهم يضرب السقاء، وهذا يؤكد على ضرورة اعتماد الأساليب المنطقية والموضوعية التي تجعل الأسير يدلي بما يعرف دونما الاعتماد على الأسلوب القسري.

7- تفرد الأسلوب النبوي بسمو منهجه في كل شيء، ومن سمات هذا التفرد أنه أوجد مفهوم (الحرب خدعة) إلا أن هذه القاعدة ليست مطلقة وعامة إنمَّا قيدها بضوابط تقوم على الآتي: (استعمل الحيلة ما أمكنك فإن أعيتك الحيلة فقاتل) إلا أن يكون في المخادعة واستعمال الحيل نقض عهد أو خيانة فإن الإسلام لا يقبل ذلك.

8- أدان الإسلام عمليات الاغتيال، ولم يلجأ لها المسلمون إلا في حالات نادرة ضد مجرمي الحرب ممن لطخت أياديهم بدماء المسلمين، أو قاموا بمؤامرات كبرى ضد الدولة العربية الإسلامي فجميع من اغتالهم الرسول(ﷺ) وكانوا يسيئون إلى الإسلام ويهاجمون العقيدة، ويتواطؤون ويتآمرون على تهديد حياة الرسول(ﷺ) والتحريض على الانشقاق، وإثارة الفتن ونشر الفوضى، وكون الرسول(ﷺ) راعي الأمة وولي أمرها، بأمر بما يوحى إليه، ليدفع الضرر والأذى عن المسلمين من أعدائهم الذين يحاربون الله ورسوله(ﷺ) ويسعون في الأرض فساداً بأيديهم أو ألسنتهم، أو التحريض المستمر على المسلمين.

9- أدرك الرسول(ﷺ) أهمية المعلومات وجمعها في المعركة عن العدو عن طريق الرصاد والعيون، وتقوم بذلك دوريات خاصة تُشكل من أفراد قلائل يجمعون المعلومات عن العدو، ويختار من فيه الجرأة والشجاعة للقيام بهذه المهمة كاختيار عبد الله بن جحش لما يتصف به من صفات الطاعة والانضباطية والخبرة، واستخدام الرسول(ﷺ) للرسائل المكتومة كان له هدف وهو: التكتم على الناس حتى لا يشيع أمر السرية بينهم فيعرفون اتجاهها ومقاصدها فيبلغ ذلك العدو فيحتاط لنفسه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر:

1- ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد، ت:630هـ/ 1233م): الكامل في التاريخ، تح،عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

2- الأزرقي(محمد بن عبد الله ت: 250هـ/ 864م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار،تح،عبد الملك بن دهيش،مكتبة الأسدي، د.م،2003م.

3- الألوسي(محمود شكري): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، صححه وضبطه، محمد الأثري، د.د، د.م،ط2، 1314هـ.

4- الأنصاري(عمر بن إبراهيم ت:815هـ/1412م): تفريج الكروب في تدبير الحروب، تح، جورج سكانلون،منشورات الجامعة الأمريكية، القاهرة،1961م.

5- البخاري (محمد بن إسماعيل، ت: 256هـ / 869م): صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 2002م.

6- الترمذي(محمد بن عيسى، ت:279هـ/ 892م): الجامع الكبير، تح، بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

7- الثعالبي (عبد الملك بن محمد ت:429هـ/1037م): التمثيل والمحاضرة، تح، عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، د.م، 1983م.

8- الثعالبي (عبد الملك بن محمد ت:429هـ/1037م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح، إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، 1994م.

9- ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي، ت: 852هـ / 1448م): فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تح، محمد فؤاد عبد الباقي،تصحيح وإخراج، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، د.ت.

10-الحميري (محمد بن عبد المنعم، ت: 900هـ/1494م):الروض المعطار في خبر الأقطار، تح،إحسان عباس،مكتبة لبنان،بيروت،ط2، 1984م.

11-ابن سعد (محمد بن منيع الزهري ت: 230هـ / 845م): كتاب الطبقات الكبير، تح، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.

12-السمهودي (علي بن أحمد، ت: 911هـ / 1505م): وفا الوفا بأخبار دار المصطفى، تح ، خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت،2006م.

13-الزيلعي(فخر الدين عثمان بن علي ت:743هـ/1342م): تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وبهامشه حاشية أحمد الشلبي، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر،1895م.

14-الطبري (محمد بن جرير، ت: 310هـ/ 923م) :تاريخ الرسل والملوك، تح،محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،ط2، 1967م.

15-ابن عبد ربه(أحمد بن محمد ت:328هـ/939م): العقد الفريد، تح، مفيد قمحية،دار الكتب العلمية، بيروت،1983م.

16-ابن عساكر(علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، ت: 571 هـ/ 1176 م): تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح، محب الدين العمروي، دار الفكر، دمشق،1995م.

17-أبو الفداء(إسماعيل بن علي، ت: 732 هـ/ 1331م): المختصر في أخبار البشر، تح،محمد زينهم عزب، يحيى سيد حسين، محمد الوصيف، دار المعارف، مصر، 1998م .

18-القرطبي (ابن عبد البر يوسف عبد الله محمد ، ت:463هـ /1070م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح،محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م .

19-القلقشندي (أحمد بن علي، ت: 821هـ/ 1418م): صبح الأعشى في كتابة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.

20-القلقشندي (أحمد بن علي، ت: 821هـ/ 1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980م.

21-ابن كثير(إسماعيل بن عمر، ت:774هـ/1373م): البدايةوالنهاية، تح، عبد الله التركي، دار هجر، مصر، 1997م.

22-ابن كثير(إسماعيل بن عمر، ت:774هـ/ 1373م):الفصول في سيرة الرسول(ﷺ)،تح، محمد الخطرواي ،محي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط3، 1982م.

23-الهرثمي(صاحب المأمون أبو سعيد الشعراني ت: 234هـ/848م): مختصر سياسة الحروب، تح،عبد الرؤوف عون، مراجعة،محمد زيادة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة،1964م.

24-ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت: 218هـ/ 833م): السيرة النبوية، تح، عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1990م.

25-الواقدي (محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ت: 207 هـ/823م): المغازي، تح، مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

قائمة المراجع:

1- الأسمري(عبد العزيز): الفكر الاستخباري الإسلامي،د.د، الرياض،2018م.

2- الألباني (محمد ناصر الدين): سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م.

3- الأنصاري (عبد القدوس): بين التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 2000م.

4- الأيوبي (الهيثم): الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1977م.

5- بدر(عبد الباسط): التاريخ الشامل للمدينة المنورة، تقديم، محمد السيد الوكيل، د.د، المدينة المنورة، 1993م.

6- حميد الله (محمد): مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط4، 1983م.

7- الدغمي(محمد راكان): التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 1985م.

8- الرشيد(عبد الله): القيادة العسكرية في عهد الرسول(ﷺ)، دار القلم، دمشق،1990، ص173.

9- رفعت باشا(إبراهيم): مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1925م.

10-سحاب (فكتور): إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف،المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م.

11-الشافعي(محمد): مخابرات دولة الرسول(ﷺ)، د.د، مصر، 1996م.

12-شوقي عبد الرحمن(أحمد): في محيط الدبلوماسية الملحق العسكري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

13-علي(جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة بغداد، بغداد، ط2،1993م.

14-الغضبان(منير): المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن،1990م.

15-غلوش(أحمد): السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة،القاهرة، 2003م.

16-القمى(محمد رضا بن أبي القاسم): الكنى والألقاب، تقديم، محمد الأميني، مكتبة الصدر، طهران، ط4، 1977م.

17-الكتاني (محمد عبد الحي الفاسي): نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تح،عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، د.ت.

18-كرد علي(محمد): الإسلام والحضارة العربية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1934م.

19-المباركفوري (صفي الرحمن): الرحيق المختوم، بحث فائز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية لرابطة العالم الإسلامي، دار إحياء التراث، الهند،2007م.

20-المغلوث (سامي): الأطلس التاريخي لسيرة الرسول (ﷺ)،مكتبة العبيكان، الرياض، ط3، 2004م.

21-هارت (مايكل): الخالدون المئة، تر،أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1978م.

قائمة المعاجم والقواميس:

1- ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد، ت: 630هـ/ 1233م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح،علي معوض، عادل الموجود،تقديم، محمد البري،عبد الفتاح أبو رستة، جمعة النجار،دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت.

2- البكري (عبد الله بن عبد العزيز، ت: 487 هـ / 1094م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح وضبط، مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945م.

3- البعلبكي (منير): معجم أعلام المورد، إعداد: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.

4- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت: 852هـ / 1448م): الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية، بيروت،2012م.

5- الحموي(ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، ت: 626هـ / 1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993م.

6- أبوالدهب(أشرف طه): المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة،2002م.

7- رضا(أحمد): معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.

8- الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط15،د.ت.

9- رواس قلعه جي(محمد): معجم لغة الفقهاء، ضبطه لغوياً،حامد قنيبي، دار النفائس،بيروت،1996م.

10-عبودي (هنري س.): معجم الحضارات السامية، جروس برس،طرابلس، لبنان،ط2، 1991م.

11-الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب ت: 817هـ / 1415م): القاموس المحيط، تح ،محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م.

12-كحالة (عمر): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1997م.

13-مجموعة مؤلفين : المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م.

14-معلوف (لويس):المنجد في اللغة والأدب والعلوم،المطبعة الكاثوليكية،د.ت.

15-ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم، ت: 711هـ/ 1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1993م .

16-وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الموسوعة الفقهية، طبعة أوقاف الكويت، الكويت، 2007م.

قائمة الدوريات والمجلات:

1- شعث(شوقي): طريق البخور والحرير، مجلة الحوليات الأثرية السورية، د.ع، دمشق ،1996م.

قائمة رسائل الماجستير:

1- حماد(أحمد): العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي(522-648هـ/1128-1250م)،الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، غزة، 2011م.